جامعة بنـها
كلية الآداب
قسم اجتماع

برنـامج دراسة المجتمع

علـم الاجتمـاع العائلي

المستوى الأول – فصل دراسي أول

كود (513)

تأليف

د/ زينب إبراهيم العزبي

مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب

جامعة بنـها

مقدمة :

يقوم هذا الكتاب على الربط بين التنشئة الاجتماعية وحاجات الطفل باعتبــار الصلة العضوية التي تربط بين عملية التنشئة الاجتماعية كعملية اجتماعيــة تبادلهــا علم الاجتماع ومن المعروف أن الأطفال يمثلون المادة الخام لهذه العملية.

فقد كانت وما تزال الأسرة المصرية تحرص على تنشئة أطفالها تنشئة سليمة تضمن لهم نجاحاً ليس فقط في المدرسة الابتدائية بل في مراحل التعليم كلها ، وفي الحياة العملية أيضاً إلا أن الأسرة المصرية الشابة ، على اختلاف اوضاعها ، وفي الغالب ، لم تتعرف بعد على الدور التربوي الفعال الذي يجب أن تقوم بــه لإعــداد الطفل اعداداً تربوياً ، وتدفعه للنجاح في المدرسة والحياة.

فمازلنا نجد كثير من الأسر تتسابق إلى دفع أطفالهم الصغار بطــرق غيــر مقبولة تربوياً، إلى تعلم القراءة والكتابة والحساب والعلــوم واللغــات الأجنبيــة ، متصورين أن هذا هو المطلوب ، وهذا التصور خاطئ دون شــك ، إذ أن الثابــت علمياً الآن هو أن الطفل يجب أن لا يتعرض للتعليم النظامي المنهجي قبل بلوغــه سن المدرسة الابتدائية أي قبل بلوغه سن السادسة في أقصى الحالات.

ويكون التحضير أو الإعداد في هذه السنوات عن طريق التنشــئة الصــحية والاجتماعية والفكرية السليمة التي من شأنها أن توصل الطفل إلى ســن المدرســة الابتدائية والتعليم المنهجي وهو مرتاح جسمياً وذهنياً وانفعالياً ، فنجاح الطفل فــي المدرسة يتطلب طفلاً قادراً نشاطاً وواثقاً بنفسه وراغباً في الاســتطلاع وتقصــي المعلومات. والإعداد الصحيح والمجدي للطفل يكون بمساعدته على التوصــل فــي نموه إلى مثل هذه الاستعدادات.

ومن هنا تحدد عدة نصائح تقدم للآباء والأمهات في الأسرة توضح دورهــم

في تنشئة الطفل وتربيته تلبية حاجاته الأساسية.

أولاً : الاعتناء بتغذية وصحة الطفل :

أن الممارسات الصحية اليومية والواجبات المغذية هي التي تضـــمن للطفـــل النشاط والوعي المطلوبين للتعلم في المدرسة ، ولذلك يجب الابتعاد عن الحلويـــات وغيرها من الأكلات التي تملأ المعدة بالطعام غير المغذي ، وأن نعود الأطفال من السنة الأولى على نظام في الأكل ونظام في النوم ، مع الاعتناء دائمـــاً بـــإجراءات الوقاية من الأمراض كالتطعيمات والنظافة والبعد عن مصادر العدوى.

ثانياً : إفساح مجال الحركة الحرة للأطفال :

فالحركة الحرة تنمي عضلات الطفل وعظامه وتكسبه طولاً وقـــوة جســـدية يحتاجها الطفل عند الاجتهاد في طلب العلم.

ثالثاً : مساعدة الأطفال على خدمة أنفسهم :

تساعد الاستقلالية والمقدرة على خدمة الذات على تأقلم الطفل في المدرســـة الابتدائية إذ أن والديه لن يذهبوا معه إليها ، فيجب أن نسهل على الطفـــل عمليـــات خدمة ذاته ، ونشجعه عليها ، ونعلمه كيف يعتمدون على أنفسهم بـــدون مســـاعدة ، كما يجب أن يتعلم أيضاً كيف يساعد في الأعمال التي تقوم بها الأم لخدمة الأسرة.

رابعاً : التعبير عن الرأي واثبات الذات :

في هذه المرحلة العمرية بالتحديد تبدأ عند الطفـــل ظـــاهرة فـــرض الـــرأي وتثبيتها ، وهذه الظاهرة ليست عناداً بالمعنى السيئ للكلمة ، ففـــي هـــذه المرحلـــة يشعر الطفل بنفسه لأول مرة ، فيحاول أن يفرضها على الغير ، وهو بالطبع لـــيس ماهراً بهذه العملية ، فيجب أن تساعده على القيام بها بمهارة ، فالمســـاندة والقبـــول من الأسرة تجعله واثقاً من هذه القدرة التي لم يكن يعرفها من قبل ، أمـــا إذا أحـــيط

باستمرار فإنه يفقد الثقة بنفسه ، وفاقد الثقة بالنفس هو إنسان غير قابـل للـتعلم ، والمهم هنا أن الطفل لا يثبت رأيه في الأمور الضارة به أو بمن حوله ، لذا يجـب أن نشجع أطفالنا على التعبير عن أرائهم ، والسماح لهم بتنفيذ رغباتهم ، حتى لـو كان ذلك على حساب راحتنا في بعض الأحيان.

خامساً:قراءة كل ما يقع تحت أنظارنا مما يكتب عن حالات الطفولة ونمو الطفل :

فالطفولة أصبحت علماً والذي يكتب عنها كثير ، ويجب أن نتعود أن ننفذ مـا نقرأه ، فالأسرة أقرب الناس إلى الطفل وأعرف الناس بحاجاته ، ومن هنـا يجـب الاقتناع بما نقرأه بما يتوافق مع خبراتنا ، فالقراءة تفتح باب المعرفة وتعلم الأسـرة الكثير مما قد يخفي من الأمور الخاصة بالطفل.

سادساً : الكلام مع الطفل في كل المواضع :

فالكلام أداة الذكاء والتفكير عن الطفل خاصة، والإنسان عامة وهو الرمـوز التي يعبر بها الطفل عن الأشياء التي في محيطه، وعن الأفكار التي في رأسه ، في المدرسة سيتعلم الطفل رموزاً أخرى متطورة هي الرموز الكتابية، وبالتالي استيعابه لهذه الرموز الكلامية، فالكلام مع الطفل منذ شهره الأول يجعله يستجيب بأصـواته سواء التي يطلقها من حنجرته أو لسانه وبعد بضعة شهور ينطق كلمته الأولى.

سابعاً : معاملة الأطفال باللطف والمحبة :

فالطفل يحتاج دون شك إلى التوصية أحيانا ، ونحن نريده أن يعمل بموجـب هذا التوجيه لأنه يفهمه لا لأنه انصاع إلى ما نريده منه بالقوة ، فإفهـام الطفـل لا يكون إلا إذا جاء التوجيه بصوت منخفض ولهجة لطيفة وفـي جـو مـن الحـب والمصلحة المتبادلة بين الموجه والطفل.

أما القسوة واللوم والغضب والعنف فإنها تبعد الطفل عـن المعنـى الحقيقـي

للتوجيه ، وتعلمه فقط أن للكبير حقاً في إيذاء الصغير وبـدون سـبب ، والقسـوة المتكررة تولد لدى الطفل فقدان الثقة بالكبار وتجعله غيـر قـادراً علـى التفاعـل بإيجابية مع الآخرين.

ثامناً : إفساح وقتا محدداً كل يوم للاستمتاع بعمل مشترك مع الطفل :

فالطفل يحتاج لأن يقضي بعض الوقت كل يوم قريباً من أمه ومن أبيه هـذا الوقت يمكن أن يقضيه الطفل بمشاركة أحد أبويه في عمـل لخدمـة الأسـرة ، أو برحلة تمشيه قصيرة خارج البيت لمدة خمس أو عشر دقائق ، ويمكن قضـاء هـذا الوقت أحياناً باللعب والضحك مع الطفل، فمثل هذه الخبرة تعلم الطفل التفاعل مـع الآخرين لاسيما التفاعل مع الكبار ، والتفاعل في المدرسة.

تاسعاً : إفساح مجال اللعب أمام الأطفال :

فاللعب هو الأداة الوحيدة للتعلم والنمو في هذه السن المبكرة يجب أن نتـرك الطفل يمسك بالأشياء ويتفحصها ويقلبها ويشمها ويتذوقها لأن هذا ينمـي حواسـه ويعلمه كيفية استعمالها، ونحو الحواس يزيد من حساسية الطفل ووعيه فيصبح أكثر قدرة على التعلم والاستيعاب واسمحوا للطفل أن يقلد الكبار فالتقليد وتمثيـل الأدوار تلقائياً يدربه على العمل المجد المطلوب منه ، ووفرا له ظروف التعامل مع الأشياء بأصابعه ويديه فهذا يقوي عضلاته ؛ ولا تمنعوه من اللعب أبداً بل شجعوه وابتكروا له ألعاباً جديدة.

عاشراً : القراءة للأطفال في الكتب المصورة :

يجب أن ينشأ الطفل على حب القراءة منذ سنواته الأولى ، ففـي أول الأمـر يحب الطفل النظر إلى الصورة والإشارة إلى ما يعرفه فيها (عينة – ودنه- قطة – كلب -..الخ) وهكذا يتصرف الطفل على أن الكتاب يحتوي علـى أشـياء جميلـه وممتعه يدركها ، فيحب أن نشتري للطفل كتباً مصورة وملونة ، مع القـراءة لهـم

بانتظام ، على الأقل قصة قبل النوم كل يوم ، وتأكدوا بأن الطفل الذي تعود على الكتاب يقبل على المدرسة بشغف ليس له مثيل.

ومن هنا فإن هذا الكتاب سوف يحرص على تزويد الطلاب والطالبات بقسط وافر من المعلومات التي تدور حول التنشئة الاجتماعية وحاجات الطفل.

- فيتناول الفصل الأول مجموعة من المفاهيم الأساسية فمفهوم التنشئة الاجتماعية والحاجات والأسرة والمدرسة والطفولة.
- أما الفصل الثاني فيهتم بدراسة الأسرة كجماعة أولية ، يعرض فيه الأسرة نظام اجتماعي ، والأنماط المتغيرة في حياة الأسرة ، ثم يركز على وظائف الأسرة ، والعمليات الاجتماعية للأسرة ، وأهم المشكلات الأسرية ، وخصائص الأسرة العربية.
- أما الفصل الثالث فيتناول التنشئة الاجتماعية والنمو الاجتماعي للطفل ، من خلال عرض أهم نظريات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية والطفل ، ثم يتناول العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي للطفل ، وأهم عمليات تنشئته الاجتماعية ، ثم يتناول المؤسسات المختلفة لتنشئة الاجتماعية.
- ويركز الفصل الرابع على أهمية رعاية الطفولة من خلال تناول رعاية الطفولة والأسس المختلفة لرعاية الطفولة ، وحاجات الطفولة.
- أما الفصل الخامس فيتناول حاجات الطفل من خلال تناول الحاجات الجسمية والنفسية والعقلية والدينية والترويحية والطرق والأساليب السوية لإشباعها عند الطفل ثم يركز على دور الأسرة والمدرسة وإبراز العلاقة بينها بغرض التعاون لإشباع حاجات الطفل بشكل سوي.

المؤلف

الفصل الأول

مفـــاهيم أســــاســـية

أولاً: التنشئة الاجتماعية.

ثانياً: الحاجات.

ثالثاً: الطفولة.

رابعاً: الأسرة.

خامساً: المدرسة.

أولاً : مفهوم التنشئة الاجتماعية Socialization:

عملية التنشئة الاجتماعية ، عملية يهتم بدراستها علم النفس ، خاصة النفس الاجتماعي وعلم نفس النمو والصحة النفسية , وعلم الاجتماع وعلم التربية ويعتبرها بعض المهتمين بدراسة علم النفس الاجتماعي موضوع محوري للمادة الدراسية لهذا العلم . نظراً لارتباطه بأصول وديناميات السلوك الاجتماعي وما يتعرض له هذا السلوك من تأثيرات بفعل أنماط التنشئة واختلافها من حضارة أو ثقافة إلى أخرى.

ويمكن تعريف التنشئة الاجتماعية على أنها علاقة تفاعلية بواسطتها يتعلم الفرد المتطلبات الاجتماعية والثقافية التي تجعل منه عضواً فعالاً في المجتمع ، وتتضمن هذه العلاقات من الناحية النفسية العادات والسمات والأفكار والاتجاهات والقيم ، ومن وجهة النظر السوسيولوجية ، فإن التنشئة الاجتماعية تعني أن الفرد يتماثل مع الأشياء المسموح بها في الثقافة والتوقعات الثقافية التي يعبر عنها في ألفاظ وطرائق وتقاليد وطرق أخرى خاصة بالحياة الاجتماعية.

وقد تعني التنشئة الاجتماعية أيضاً أن الفرد ينمي إحساسا بالتوحد ويأخذ أدواراً ومكانات بين الجماعات المنتمي إليها وبهذا يكتب ويتعلم الفرد الاتجاه المضاد لأي جماعة معارضه خارجه عنه والتي قد يكون للجماعات التي ينتمي إليها اتصال بها . باختصار فإن التنشئة الاجتماعية التي ينتمي إليها اتصال بها. وباختصار فإن التنشئة الاجتماعية تحدث في السنوات المبكرة للحياة من وجهة النظر الخاصة بالتفرقة بين المجتمع والثقافة من ناحية وبين التكيف الشخصي – الاجتماعي والتكيف الثقافي من ناحية أخرى ، فإن مفهوم التنشئة الاجتماعية غير كاف لوصف هذه العملية ، وبالتأكيد فإن المفهوم يستخدم ويشير إلى الجوانب الاجتماعية للتعليم سواء كانت ثقافية أو غير ثقافية ، وإذا قبلنا هذا التفسير فإن

المصطلح على هذا النحو لا غبار عليه ولا يوجد اعتراض على استخدامه كمصطلح عام ومتسع في علم الاجتماع.

وعلى أية حال ، فإنه يمكن استخدام مفهوم التنشئة الاجتماعية بمعناه الواسع أي تكيف الفرد لمكانه في عالمه الاجتماعي – الثقافي وكما أشرنا فإن الأشكال الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية تحدث منذ الاحتكاكات الأولى للطفل مع أمه ، ثم في علاقته مع زملائه ، وفيما بعد عن طريق الأصدقاء والزملاء ورفاق اللعب، وفي الحقيقة ، أن الفرد خلال حياته يستمر في الشعور بأثر مجتمعه وثقافته عليه[1].

أما في علم النفس الاجتماعي وعلم نفس النمو فتعرف عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد (طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها ، وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.

وهي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد ، وعملية استدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية ، كما أنها عملية تطبيع المادة الخام للطبيعة البشرية في النمط الاجتماعي والثقافي ، وبمعنى أخر هي عملية التشكيل الاجتماعي لخامة الشخصية.

وهي عملية تحول الكائن الحيوي (البيولوجي) إلى كائن اجتماعي ، ذلك الكائن الذي مكث في رحم الأم ينمو حيوياً إلى قدر معلوم وخرج منه لا يعلم شيئاً ليلتقطه (رحم الجماعة) ينمو فيه اجتماعياً.

وهي عملية إكساب الإنسان صفة الإنسانية،فالإنسان لا يكتسب هذه الصفة بفضل خصائصه التشريحية البيولوجية وحدها ولكن بفضل عملية التنشئة الاجتماعية.

وهي عملية تعلم اجتماعي ، يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل التـــي تحـــدد هذه الأدوار، فهو يكتسب الاتجاهات النفسية ويتعلم كيف يسلك بطريقـــة اجتماعيـــة توافـــق عليهـــا الجماعـــة ويرتضـــيها المجتمـــع ، ولهـــذا يـــرادف نيوكومـــب Newcomb(1959) بين مصطلح التنشئة الاجتماعية ومصطلح التعلم الاجتماعي.

وهي عملية نمو يتحول خلالها الفرد من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته، لا يهدف في حياته إلا إشباع حاجاته الفسيولوجية ، إلى فرد ناضـــح يـــدرك معنى المسئولية الاجتماعية وكيف يتحملها، ويعرف معنـــى الفرديـــة والاســـتقلال، يسلك معتمداً على ذاته، لايخضع في سلوكه إلى حاجاتـــه الفســـيولوجية فحســـب ، ويستطيع أن يضبط انفعالاته ويتحكم في إشـــباع حاجاتـــه بمـــا يتفـــق والمعـــايير الاجتماعية ، ويدرك قيم المجتمع ويلتزم بها ويستطيع أن ينشئ العلاقات الاجتماعية السليمة مع غيره.

وهي عملية مستمرة لا تقتصر فقط على الطفولة ، ولكنها تستمر في المراهقة والرشد وحتى الشيخوخة ، فالفرد خلال مراحل نموه ينتمي باستمرار إلى جماعات جديدة يتعلم دوره الجديد فيها ويعدل سلوكه ويكتسب أنماطاً جديدة من السلوك.

وهي عملية دينامية تتضمن التفاعل والتغير / فالفرد في تفاعله مـــع أفـــراد الجماعة يأخذ ويعطي فيما يختص بالمعـــايير والأدوار الاجتماعيـــة والاتجاهـــات النفسية والشخصية الناتجة في النهاية هي نتيجة لهذا التفاعل.

وهي عملية معقدة ومتشعبة تستهدف مهام كبيرة وتتوسل بأســـاليب ووســـائل متعددة لتحقق ما تهدف إليه.[2]

ثانيا : مفهوم الحاجات Needs :

الحاجة افتقار إلى شيء ما وإذا وجد حقق الإشباع والرضا والارتياح للكائن الحي. والحاجة شيء ضروري إما لاستقرار الحياة نفسها (حاجة فسيولوجية) أو للحياة بأسلوب أفضل (حاجة نفسية) فالحاجة إلى الأوكسجين ضرورية للحياة نفسها وبدون الأوكسجين يموت الفرد في الحال ، أما الحاجة إلى الحب والمحبة ، فهي ضرورية للحياة بأسلوب أفضل وبدون إشباعها يكون الفرد سيء التوافق ، والحاجات توجه سلوك الكائن الحي سعياً لإشباعها.

وتتوقف كثير من خصائص الشخصية على حاجات الفرد ومدى إشباع هذه الحاجات.

ولاشك أن فهم حاجات الفرد وطرق إشباعها يضيف إلى قدرتنا على مساعدته للوصول إلى أفضل مستوى للنمو النفسي والتوافق النفسي والصحة النفسية.

وأهم الحاجات الفسيولوجية للفرد الحاجة إلى الهواء والغذاء والماء ، ودرجة الحرارة المناسبة ، والوقاية من الأمراض والسموم ، والتوازن بين النشاط والراحة.

ومن أمثله الحاجات النفسية الأساسية : الحاجة إلى الحب والمحبة والحاجة إلى التقدير الاجتماعي ، والحاجة إلى الحرية والاستقلال ، والحاجة إلى التحصل والنجاح ، والحاجة إلى تأكيد واحترام الذات ، والحاجة إلى الأمن ، والحاجة إلى اللعب.

ويفضل علماء النفس المحدثون،الحديث عن الدوافع والرغبات والميول والحاجات أكثر من الحديث عن الغرائز، فكل هذه المصطلحات تحمل معنى الدفع والتحريك، وأصبح من المصطلح عليه أن مصطلح الدافع هو الشائع استعماله الآن.

ونحن الآن لم نعد نرجع السلوك البشري إلى الغرائز فحسب بل إننا نصف السلوك في ضوء تكامل أهدافه وضرورة سعي الفرد لإشباع الحاجات وتحقيق الأهداف وخفض التوتر، ولاشك أن الأهداف والحاجات تنعكس عليها خلال القوى الاجتماعية والثقافية ويحددها المجال النفسي الذي يعيش فيه الفرد والجامعة. فغاية السلوك البشري ليست فقط إشباع الغرائز وخفض التوترات الفسيولوجية ، ولكنها أيضاً تحقيق حاجات الجماعة ، ونحن نرى أن التعليم الاجتماعي في عملية التنشئة الاجتماعية والنمو الاجتماعي ، يعدل الغرائز ويحولها إلى دوافع للسلوك الاجتماعي، ويبرز دوافع اجتماعية جديدة ، ويلاحظ أن المجتمع يوجه الغرائز والحوافز ويحدد طريقة إشباعها ويحولها إلى سلوك مقبول اجتماعياً ومرغوب فيه، والإنسان يسعى دائما لإشباع حاجاته إلى الأمن وتحقيق الذات والنجاح والحب... الخ ليس بطريقة الكائن الحي الأقرب إلى الحيوان ، ولكن بطريقة الكائن الاجتماعي الإنسان الذي يستجيب لاتجاهات وقيم الإنسان كذلك فإن الجماعة تبرز دوافع جديدة وحاجات جديدة واهتمامات جديدة ، فالجماعة إذاً قوة مبتكرة إبداعية في السلوك البشري. لذلك يفضل علماء النفس الاجتماعي الآن مصطلح (الدوافع) ، أكثر من مصطلح (الغرائز).

ويمكن تعريف الدافع بأنه حالة جسمية أو نفسية داخلية تؤدي إلى توجيه الكائن الحي تجاه أهداف معينة ومن شأنه أن يقوي استجابة محددة من بين عدة استجابات يمكن أن تقابل مثيراً محدداً . هذا ولا يمكن إخضاع الدوافع للملاحظة المباشرة ، وإنما نلاحظها عن طريق السلوك الناتج عنها.

وهكذا نرى أن الدوافع الفسيولوجية التي تنشأ عن حاجات جسمية أو نفسية داخلية تؤدي إلى توجيه الكائن الحي تجاه أهداف معينة ومن شأنه أن يقوي استجابة محددة من بين عدة استجابات يمكن أن تقابل مثيراً محدداً. هذا ولا يمكن إخضاع

الدوافع للملاحظة المباشرة ، وإنما نلاحظها عن طريق السلوك الناتج عنها.

وهكذا نرى أن الدوافع الفسيولوجية التي تنشأ عن حاجات جسمية ليست هي وحدها الدوافع التي تحرك وتوجه النشاط أو السلوك ، ولكن نجد أن الدوافع الاجتماعية من أهم ما يمكن في هذا الصدد.

هذا ويمكن التحدث عن الدوافع بالنسبة للحاجات الأساسية التي تشبعها الدوافع ، ويهمنا هنا أن نفرق بين نوعين رئيسيين من الدوافع :

1- **الدوافع الأولية (الفطرية)** :

هذه الدوافع يولد الفرد مزوداً بها ، وهي التي يلزم إشباعها وتحقيقها لحفظ بقاء الكائن الحي – مثل الحاجة إلى الغذاء (الجوع) والحاجة إلى النوم والراحة ، ويعتبر الدافع الجنسي من الدوافع الأولية التي تعمل على بقاء النوع والإنسان هنا يشترك مع الحيوان فيما يختص بالدوافع الأولية.

2- **الدوافع الثانوية (المكتسبة)** :وهي التي تضبط سلوكنا الاجتماعي وهي مكتسبة أو متعلقة ، مثل الحاجة إلى الانتماء إلى جماعة ، والحاجة إلى المشاركة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي ، والحاجة إلى إثارة انتباه الآخرين ، والحاجة إلى الأمن والتقدير والميل إلى السيطرة.

والدافع الاجتماعي : عبارة عن دافع يثيره ويشبعه ولو جزئياً أشخاص آخرون ، على العكس من الدافع الفسيولوجي الجسمي الذي يثيره ويشبعه تغير في الوظائف الفسيولوجية ، ولكننا غالباً ما نجد تداخلاً بين هذين النوعين من الدوافع.

وتعتبر الدوافع الاجتماعية دوافع معقدة لأنها تنشأ وتنمو في ظل الظروف المختلفة للفرد،وتتأثر بالبيئة المحيطة وما تسيطر عليها من عادات وقيم ونظم وقوانين.

وتأتي الدوافع الذاتية أو الشخصية ضمن الدوافع الثانوية ومن أمثلتها الحاجة إلى النجاح، والحاجة إلى الاستقلال ، والحاجة إلى التملك.

وهكذا يمكن القول أن الدوافع والحاجات تختلف من جماعة لأخرى ، ومن بيئة لأخرى، وتتعدد بقدر ما هناك من أوجه النشاط والسلوك البشري.

وفيما يلي مناقشة حول بعض الحاجات الأساسية :

- **الحاجة إلى الانتماء :**

يسعى الفرد إلى الانتماء إلى الجماعة لأنه كائن اجتماعي بالطبع ، لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الجماعة وهو يتلمس في الجماعة إشباع حاجاته إلى الانتماء وحاجته إلى التقدير الاجتماعي والاحترام والمكانة الاجتماعية ، ويتضح الميل إلى الاجتماع وينشأ نتيجة تفاعل الفرد مع الآخرين في المجتمع على مستويات مختلفة. ويزيد هذا الدافع في ها الميل إلى الفرد وهو ينمو ويزداد شعوره بكيانه الاجتماعي وبرغبته في التفاعل والتعاون مع غيره من الأفراد ، ولذا يمكن القول أن الدافع إلى الاجتماع يستند في الأساس على عوامل مكتسبة وتنطوي الحاجة إلى الميل إلى الاجتماع على عواطف نحو الأفراد الآخرين من سماتها أنها توسع نطاق العلاقات الاجتماعية للفرد ، ويتضح هذا الاجتماع في الفترة الأولى من حياة الطفل في الأسرة ثم في المدرسة ثم في ميدان العمل ، ثم في الجماعات والتنظيمات والنقابات، ومن العوامل التي تؤثر في درجة استجابة الفرد للمجتمع درجة نضجه العقلي والجسمي والانفعالي وتشبع الجماعات دافعاً قوياً عند الفرد ، يطلق عليه بعض العلماء (الجوع الاجتماعي) هذا الدافع يبلغ من القوة أنه يستطيع أن يعدل كثيراً من سلوك الفرد ، فعندما ينضم الفرد إلى جماعة ما يجد نفسه في كثير من الأحيان مضطراً إلى التضحية بكثير من مطالبه الخاصة ورغباته في سبيل الحصول على القبول الاجتماعي من أفراد الجماعة ، فهو يساير معايير الجماعة

وتقاليدها وقوانينها. وإذا كان سلوك الفرد لا يتفق مع سلوك واتجاهات الجماعة فإن هذه الجماعة تعبر عن عدم قبولها للفرد بطر كثير ومختلفة مثل العزل والاستنكار.

وبذلك يجد الفرد نفسه أمام أحد الأمرين :

- إما أن يعدل سلوكه بحيث يتفق مع سلوك ومعايير الجماعة.
- وإما أن يترك هذه الجماعة ليبحث له عن جماعة أخرى تقبله.

ومن هذا يتضح لنا معنى القبول الاجتماعي أو ما نسميه الجوع الاجتماعي وهو الذي يدفع إلى التنشئة والتطبيع الاجتماعي أي أن يأخذ أفراد الجماعة كلهم صبغة واحدة ويكتسبون اتجاهات عاملة للجماعة يضاف إلى هذا الميل إلى التوحد مع الجماعة ، أي تمثل وتبني أهداف الجماعة واتجاهاتها ومعاييرها ، وهنا نجد أن الفرد يرى الجماعة وكأنها امتداد لنفسه يسعى من أجل مصلحتها ويبذل كل جهده من أجل إعلاء مكانتها.

- **الحاجة على الحب والمحبة** :

يشترك جميع أفراد النوع البشري في الحاجة إلى الاستجابة العاطفية والحب والمحبة والقبول أو التقبل الاجتماعي والأصدقاء والشعبية ، وهي من أهم الحاجات النفسية التي إذا لم تتوافر شعر الفرد بالعزلة التي تؤدي إلى ظهور أنماط السلوك المختلفة لديه ، ولاشك أن كل فرد يسعى إلى أن ينضم إلى جماعة تلائمه من حيث ميوله وعواطفه وأهواءه ويجمع بينهم رباط متين ، وهؤلاء الأفراد يشبهونه ويشاركونه في صفاته وعواطفه ، يستجيبون بسهولة لعواطفه ويظهر ذلك جلياً في جماعات وشلل المراهقين مثلاً.

- **الحاجة إلى الأمن** :

ويقصد الحاجة إلى الشعور بأن البيئة الاجتماعية بيئة صديقة ، وشعور الفرد

بأن الآخرين يحترمونه ويقبلونه داخل الجماعة ، وهي من أهم الحاجات الأساسية اللازمة للنمو النفسي والصحة النفسية للفرد ، وتظهر هذه الحاجة واضحة في تجنب الخطر والمخاطر وفي اتخاذ هذه الحاجة واضحة في تجنب الخطر والمخاطر وفي اتخاذ الحذر والمحافظة ، وتتضح الحاجة إلى الأمن في الطفل الذي يحتاج إلى رعاية الكبار حتى يستطيع البقاء ، والحاجة إلى الأمن تستوجب الاستقرار الاجتماعي والأمن الأسري ، والفرد الذي يشعر بالأمن والإشباع في بيئته الاجتماعية المباشرة في الأسرة يميل أن يعمم هذا الشعور ويرى البيئة الاجتماعية مشبعة لحاجاته ، ويرى في الناس الخير والحب ويتعاون معهم ، والعكس صحيح ، وكلا ولا شك في حاجة إلى الأمن الجسمي والصحة الجسمية والشعور بالأمن الداخلي وتجنب الخطر والألم والاسترخاء والراحة والشفاء عند المرضى والخير في والحماية ضد الحرمان من إشباع الدوافع والمساعدة في حل المشكلات الشخصية ، وكلنا في حاجة إلى التقبل والقبول الاجتماعي ، والشخص الآمن يشعر بإشباع هذه الحاجة ويشعر بالثقة والاطمئنان ، أما الشخص غير الآمن فهو في هذا ويؤدي إتباع حاجات الفرد إلى تحقيق الأمن النفسي فالحرمان المبكر من الرعاية الأسرية يطهر الحاجة الماسة إلى الأمن ، ويؤثر تأثيراً انفعالياً وجسميا خطيراً ، ويؤدي إلى ظهور اضطرابات نفسية مختلفة ، هذا ومن أهم المظهر التي يحتاج فيها الفرد إلى الأمن هي الهدف الذي يسعى لبلوغه ، والوسيلة التي يتبعها لبلوغ هدفه ، والمهنة والآخرين ، وبالثقافة القائمة ، فالحاجة إلى الأمن تدفع الشخص إلى التجمع مع الآخرين وعمل كل ما من شأنه تحقيق تقبل الجماعة له ، ولاشك أن الجماعة فيها اتحاد وفيها يحسن الفرد بكيانه ، والرباطة التي تربطه بالجماعة كفيلة بأن تحقق له الأمن والطمأنينة.

- **الحاجة إلى تأكيد الذات** :

يميل الفرد إلى معرفة وتأكيد ذاته بدافع من الحاجة إلى التقدير والاعتراف والاستقلال والاعتماد على النفس وإظهار السلطة على الغير وبالرغبة في التزعم والقيادة ، وتدفع هذه الحاجة الإنسان إلى تحسين الذات ، وحاجته إلى التقدير تدفعه إلى السعي دائماً لإحراز المكانة والقيمة الاجتماعية ، وهذه حاجة أساسية تدفعه الناس دائماً إلى عضوية الجماعات ، وأحسن مثل لها بعض الأعضاء من الجمعيات الدينية والنقابات والمنظمات... الخ ، فالفرد الذي لا يستطيع أن يؤكد ذاته وأن ينال تقديراً في المجتمع ما ينضم إلى جماعة أخرى تقدره وتشبع له هذه الحاجة كذلك الطلبة في انتمائهم إلى الاتحادات والجمعيات يشعر فيها كل منهم بتقديره أكثر منه وهو طالب عادي.

- **الحاجة إلى اللعب** :

وهو يوجد عند جميع الأفراد في كل الأعمار ولكن بصور مختلفة وهناك فرق بين اللعب من حيث هو دافع أو حاجة وبين اللعب من حيث هو سلوك ، واللعب له وظيفة حيوية هي إعداد الطفل الصغير لحياة الكبار ، وهو أيضاً يساعد على التخفف من القلق ، وهو أسلوب للتعليم وللتشخيص والعلاج ، وهناك عدد كبير من نظريات اللعب تحاول تفسير لماذا لابد أن يلعب كل الأشخاص وفي كل الأعمار ، ومن النظريات (النظرية الغريزية) التي يقول أصحابها أن بعض الغرائز لا تتضح دفعة واحدة ولكن بالتدريج ، وعلى هذا يكون التعبير عنها وإشباعها في شكل لعب يتيح فرصة تهذيب وتدريب وممارسة الأنشطة الغريزية الضرورية في حياة الرشد والنضج. وفي هذا يقول جروس(Groos) أن الغريزة معلمة بعيدة النظر تعمل حساب المستقبل فتعلم الطفل عن طريق اللعب أن يعد نفسه له ، ومن نظريات اللعب أيضاً نظرية التلخيص ، والتي تفترض أن كل طفل يكرر تاريخ

الجنس البشري في لعبة , وتعتبر نشاط اللعب ملخصا للعـادات ولحركـة الجـنس البشري في ماضيه حتى حاضره ، يقول أحد أصحاب هذه النظرية أنظر إلى الطفل وهو يعوم ، وهو يبني الكهوف وهو يتسلق الأشجار ، أنه يلخص ما كـان يعملـه أجداده ، ومن نظريات اللعب كذلك نظرية الطاقة الزائدة ، حيث ينظر إلـى اللعـب على أنه تنفيس غير هادف للطاقة الزائدة عند الفرد ، وهناك أيضاً نظريـة تجديـد النشاط باللعب ، حيث ينظر إلى اللعب ، على أنه وسيلة لتجديد النشـاط والتسـلية والترفيه حين يشعر الفرد بالتعب والإجهاد في العمل.

- **الحاجة إلى الاستطلاع** :

يثير دافع الاستطلاع الأشياء والمواقف والخبرات الجديدة وهو ينزع بـالفرد إلى استطلاع الشيء أو الموقف وفحصه وبحثه وانظر إلى الطفل وهـو يسـتطلع ويستكشف العالم المحيط به وينتقل من خبره إلى أخرى ، إنه يمسك بكل ما تصـل إليه يداه ويسأل عن كل شيء، إن هذا الدافع من أهم الدوافع التـي أدت إلـى نمـو واطراد العلم والمعرفة ، ويشتمل هذا الدافع على عدة مستويات :

- **المستوى الحسي** :

الرغبة في الرؤية والسمع والتذوق والشم والتحسس... الخ.

- **المستوى الحركي**:

ويشمل الرغبة في تعلم المهـارات الحركيـة كالمشـي والعـوم والتسـلق والتزحلق... الخ.

- **المستوى المعرفي**:

وهو الرغبة في المعرفة والفهم والتعلم والتحصيل.

- **المستوى الانفعالي**:

وهو الرغبة في اكتساب خبرة المشاعر الجديدة[3]

ثالثاً : مفهوم الطفولة :

ليس من اليسير وضع تعريف جامع مانع للطفولة وذلك لأن حياة الإنسان وحدة متصلة ومتداخلة ، وان النظر إليها مجزأ في مراحل عمرية مختلفة لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع بل فقط يمكن كناحية إجرائية لبحث ولفهم نمو وتطور الإنسان أن يقسم عمره تقسيماً إجرائيا إلى مراحل مختلفة "طفولة ، شبابا ، رجولة ، شيخوخة وكهولة ، وأيضا فإنه من الصعوبة بمكان الاتفاق على مرحلة زمنية بعينها كنهاية لمرحلة الطفولة في حين يمكن الوصول إلى شبه اتفاق عن بداية هذه المرحلة.

ويمكن إرجاع صعوبة تحديد مفهوم الطفولة إلى العوامل الرئيسية التالية :

1- لم يتمكن المختصون والمتخصصون من الوصول إلى رأي قاطع حول اعتبار مرحلة ما قبل الولادة ، بحيث اختلف العلماء والمشرعون حولها فمنهم من يعتبرها جزءاً لا يتجزأ من مرحلة الطفولة وركزت على أهمية تقديم الرعاية اللازمة للطفل قبل ولادته ، أما المشرعون ورجال الدين وبعض الباحثين فيطلقون اسم الجنين على الطفل قبل ولادته ويعتبرون ساعة ولادة الطفل هي ساعة بداية عمره الزمني وبداية اعتبار مرحلة الطفولة.

2- ليس من اليسير وضع حد فاصل دقيق بين نهاية مرحلة الطفولة وبداية مرحلة الشباب لأن الأطفال يختلفون في نموهم ، وهناك فروق فردية لبلوغ مرحلة الشباب ، فمثلا قد يصل العمر الزمني للطفل مرحلة الشباب ، ولكن عمره العقلي لا يزال دون ذلك ، وقد يصل العمر الاجتماعي إلى مرحلة

الشباب وتحمل مسئوليات اجتماعية ترتبط بمرحلة الشباب في حين لـــم يبلـــغ الطفل العمر الزمني لمرحلة الشباب.

3- إن حياة الإنسان ونموه يعتبران وحدة متصلة الحلقـــات وأن تجزئتهـــا إلـــى مرحلة دقيقة هو أمر اصطلاحي إجرائي ، ولا ينتقل الطفل من مرحلة نمـــو إلى أخرى انتقالا فجائياً أو عن طريق الطفرة ، فهو لا يصير شابا بين يـــوم وليلة ، وإذا تبدأ نهاية مرحلة الطفولة تدريجياً وتبدأ مرحلة الشباب تدريجياً ، فكل مرحلة من مراحل نمو الكائن البشري تمثل اتصالا واستمرار لخصائص مرحلة النمو السابقة لها وتعتبر أيضا تمهيداً وبدايـــة لخصـــائص ومميـــزات مراحل النمو اللاحقة لها.

4- إن طول أو قصر فترة الطفولة مرتبطة ارتباطاً وثيقـــا بظـــروف المجتمـــع والفترة اللازمة لتأهيل الفرد لمرحلة الشباب والإنتـــاج ، حيـــث أن مرحلـــة الطفولة في المجتمعات البدائية والمتخلفة تنتهي في فترة زمنية مبكـــرة مـــن حياة الفرد عنها في المجتمعات المتقدمة ، فالكائن الإنساني فـــي المجتمعـــات البدائية وبعض المجتمعات المتخلفة يحمـــل مســـئوليات أســـرية واجتماعيـــة واقتصادية في سنوات مبكرة من عمره. في حين تعتبر المجتمعات المتقدمـــة هذه المرحلة العمرية المبكرة من عمر الإنسان مرحلة أساســـية مـــن عمـــر الطفل الذي لا يزال في طور الإعداد.

وعلى الرغم من صعوبة الوصول إلى تعريف جامع مـــانع للطفولـــة فـــإن محاولات بذلها العلماء والمتخصصون في رعاية الطفولة من أجل الوصـــول إلـــى تعريف يحدد مرحلة الطفولة بحيث يسهل من خلالها معرفة هـــذه الفئـــة وبالتـــالي رعايتها ، ويمكن حصر أهم هذه التعريفات لمرحلة الطفولة في التالي :

أولاً : الطفولة لغة تعني المولود وجمعها أطفال[4]

ثانياً : يعرف روبرت شال وإليزابيث هال[5] **الطفولة** بأنها المرحلة التي تبـدأ مـن بعد سن الثانية أي بعد مرحلة الرضع وتستمر حتى بلوغ الرضيع سن الثانية تقريباً حيث يبدأ الأطفال في تعلم بعض مفردات اللغة ورموزها.

ويقسم روبرت شال وإليزابيث هال مرحلة الطفولة إلى :

أ- الطفولة المبكرة Early Childhood وتبدأ هذه المرحلة من عصر الطفـل عند بلوغه سن الثانية وتستمر حتى سن السادسة ويقسم مرحلة الطفولة وفقاً لذلك إلى المراحل التالية :

ب- الطفولة المتأخرة Late Childhood وتبدأ عند بلوغ الطفل سن السادسـة وتنتهي بنهاية السنة الثانية عشرة من عمره.

ثالثاً: يعرف أولسن الطفولة بأنها المرحلة التي تبدأ منذ الولادة وحتى بلوغ الطفـل سن الثالثة عشر ويقسم مرحلة الطفولة وفقاً لذلك إلى المراحل التالية :

أ- **حديث الولادة** :

وهي المرحلة التي تبدأ منذ اللحظة الأولى للولادة وحتـى الأسـبوعيين الأولين من عمر الطفل.

ب- **الرضع** :

وهي المرحلة التي تستمر بعد مرحلة حديثي الولادة وحتى بلوغ الطفـل السنة الأولى من العمر.

ج- الطفولة المبكرة :

وتبدأ من بلوغ الطفل السنة الأولى من عمره وحتى بلوغه سن ست سنوات ، ويرى أولسن أن مرحلة الطفولة المبكرة تتميز بالنمو السريع في شتى الأبعاد الجسمية والعقلية ، ففي هذه المرحلة يتعلم الطفل المشي وتناول الطعام ، كما أنه يفطم من الرضاعة ويتعلم الكلام وتتخذ عملية التخلص من الفضلات عنده صيغة اجتماعية ، وينمي مدركاته عن العالم الخارجي المحيط به ، ويرتبط انفعالياً برفاقه ويأخذ في التمييز بين الصواب والخطأ.

د- مرحلة الطفولة الوسطى :

وتبدأ عند بلوغ الطفل سن السادسة وحتى بلوغه سن العاشرة من العمر ، ويضمن النمو فيها تعلم المهارات الجسمية اللازمة للألعاب العادية ولتكوين الاتجاهات الاجتماعية وتعلم الوفاق مع الغير ، وممارسة الأدوار الاجتماعية وتنمية المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب والمفاهيم الضرورية للحياة اليومية.

ه- مرحلة الطفولة المتأخرة :

وهي المرحلة التي تبدأ من بلوغ الطفل عشر سنوات من العمر وحتى بلوغه الثالثة عشرة من العمر ، ويتميز نشاط النمو لدى الطفل في هذه المرحلة بأنه استمرار لما حدث في مراحل الطفولة المتوسطة ، كما يتميز أيضاً بالنمو الجسمي والعقلي السريعين وبظهور الخصائص الجنسية.[6]

رابعاً : **يعرف هنري سيلفر**[7] **الطفولة** بأنها المرحلة التي تبدأ منذ الولادة وتستمر حتى سن الثانية عشر ، ويقسم مرحلة الطفولة إلى المراحل التالية :

أ- **مرحلة الرضيع** :وهي التي تبدأ منذ الولادة وحتى بلوغ الطفل الشهر الثامن عشر من عمره، ويرى أن هذه المرحلة تعتبر من المراحل المهمة في حياة الطفل واستمرارية وجوده.

ب- **الطفولة المبكرة** :وتبدأ من الشهر الثامن وحتى سن خمس سنوات حيث يتعلم الطفل الكثير من المهارات ويوسع من محيطه الاجتماعي ويبدأ نوعاً من العلاقات الاجتماعية والفهم لكثير من الأمور الحياتية.

ج- **الطفولة المتأخرة** :

وتبدأ ببلوغ الطفل خمس سنوات من عمره وتستمر حتى بلوغه اثنا عشرة سنة ، ويحقق الطفل في هذه المرحلة نمواً جسمياً وعقلياً سريعين ، ويتعرف على الكثير من الأمور الاجتماعية ويتحصل على الكثير من المعلومات والمهارات ويكون أكثر قدرة على تكوين علاقات مع الغير.

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا العرض السريع لبعض التعريفات المختلفة والمتعلقة بتحديد مرحلة الطفولة تعريفاً جامعاً مانعاً ليس بالأمر اليسير، وأن الهدف من الوصول إلى تعريف دقيق للطفولة هو بقصد الفهم الدقيق لهذه المرحلة ومعرفة نوع الخدمة والرعاية اللازمة لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل مع ما يرتبط بذلك من التحسين والتطوير في برامج الرعاية والعناية الخاصة بالطفولة. ويلاحظ أن معظم التعاريف السالف الإشارة إليها تتفق على أن مرحلة الطفولة من المراحل الحياتية الهامة التي تستوجب ضرورة تلبية احتياجاتها والرفع من مستوى ونوعية برامج رعاية وتربية الأطفال ضماناً لخلق جيل قادر على تحمل المسئولية وتنمية المجتمع.

رابعاً: مفهوم الأسرة :

الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع ، وبالتالي فإن المجتمع يتكون من الأسر المختلفة ، غير أن المجتمع في ذاته ليس أسره كبيرة لوجود فروق شاسعة تميز الأسرة عن المجتمع.

والأسرة اتحاد يتميز بصفة خاصة ، بطبيعة الخلقية والعاطفية ، بمعنى أن الناحية العقلية فيه ثانوية ، والمبدأ الذي تقوم عليه الأسرة يوجد في الوظائف العاطفية مثل الحنان المتبادل بين الزوجين ، وبينهما وبين أبنائهما وبين هؤلاء وبين بقية النسق القرابي Kinship System للأسرة

ويعرف (أرسطو) الأسرة بأنها أول اجتماع تدعوا إليه الطبيعة إذ من الضرورية أن يجتمع كائنات لا غنى لأحدهما عن الأخر وهما الرجل والمرأة ، أي اجتماع الجنسين للتناسل ، وليس في هذا شيء من التحكم ، ففي الإنسان كما في الحيوانات الأخرى والنبات نزعة طبيعية ، وهي أن يخلق بعده مولوداً على صورته/ فالاجتماع الأول والطبيعي ، وفي كل الأزمنة هو (العائلة) حيث تجتمع عدة عائلات فتنشأ القرية ، ثم المدينة ، فالدولة.

أما (أوجست كونت) فيرى أن الأسرة هي الخلية الأولى في جسم المجتمع ، وهي النقطة التي يبدأ منها التطور ، ويمكن مقارنتها في طبيعتها ومركزها بالخلية الحية في المركز البيولوجي (جسم الكائن الحي) ويرجع كونت ذلك إلى عدم اعترافه بالوضع الاجتماعي للفرد ، والفردية في نظرة لا تمثل شيئاً في الحياة الاجتماعية التي لا تتحقق بصورة كاملة إلى حيث يكون امتزاج عقول وتفاعل أحاسيس ، واختلاف وظائف ، والوصول إلى غايات مشتركة. وأن هذه الفردية لا تتحقق فيها شيء من هذا القبيل ولكن يتحقق ذلك من خلال الأسرة.[8]

ويعرف بيرجس ولوك Bungess E. W & Locke الأسرة بأنها مجموعة من الأشخاص ارتبطوا بروابط الزواج ،الدم ، التبنـــي ، مكــونين حيـــاة معيشـــية مستقلة، ومتفاعلة ، يتقاسمون الحياة الاجتماعية كل مع الآخر ، ولعل من أفرادها ، الزوج والزوجة ، الأم ، الأب ، الابن والبنت دوراً اجتماعياً خاصاً به ولهم ثقافتهم المشتركة.(9)

ويعرفها كنجزلي ديفز Kingsley Divis بأنها جماعة من الأشخاص الـــذين تقوم بينهم علاقات على أساس القرابة وخاصة العصب ويكون كل مـــنهم – بنـــاء علي ذلك صهر للآخر(10)

أما أوجبرن Ogburn فيعرف الأسرة بأنهـــا رابطـــة اجتماعيـــة مـــن زوج وزوجة وأطفالهما – أو بدون أطفال – أو من زوج بمفرده مع أطفاله ، أو زوجـــة بمفردها مع أطفالها ، كما يضيف أوجبرن أن الأسرة قد تكون أكبر من ذلك بمعنى أنها تشمل – بالإضافة إلى الأفراد السالف ذكرهم ، أفراداً آخـــرين مثـــل الجـــدود والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة مـــع الـــزوج والزوجة والأطفال.(11)

أما ماكفير Maciver فيعرفها بأنها اتحـــاد بـــين اثنـــين ، رجـــل وامـــرأة وأولادهما.(12)

ويرى مصطفى الخشاب أن الأسرة اتحـــاد تلقـــائي تـــؤدي إليـــه القـــدرات والاستعدادات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماعي وهي بأوضـــاعها ومراسيمها عبارة عن مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة والطبيعة التقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية , وهي ضرورة حتمية لبقاء الجـــنس البشـــري ودوام الوجود الاجتماعي ، فقد أودعت الطبيعة في الإنسان هذه الضرورة بصفة فطرية ،

ويتحقق ذلك بفضل اجتماع كائنين لاغني لأحدهما هن الأخر وهما الرجل والمرأة ، والاتحاد الدائم المستقر بين هذين الكائنين بصورة يقرها المجتمع هو الأسرة ، فالحصول على ثمرات لهذا الاتحاد شرط ضروري لاستكمال الأسرة مقوماتها الذاتية.[13]

والأسرة على هذا النمو عبارة عن جماعة أولية باعتبارها الوحدة الأساسية في المجتمع ، وهي عريقة في القدم ، حيث تمتد جذورها إلى نشأة الحياة الإنسانية، وتعاصر نشأة الإنسان الأولي ، وهي جوهرية في تكوين الفرد ، حيث تشبع حاجاته الأساسية ، وهي عامة وتلقائية بين أفراد النوع الإنساني كافة في مختلف بقاع الأرض وخلال الأجيال المتعاقبة.

وفي جماعة الأسرة تبرز وتتشكل إلى حد كبير شخصية الفرد ففي نطاقها الضيق يتلقى الفرد مؤثراته الاجتماعية الأولى وبتلق لأول مرة نماذجه الثقافية والمعايير الاجتماعية والخلقية وبتعلم بعض الاتجاهات النفسية والاجتماعية.

والأسرة كظاهرة اجتماعية ليست من صنع فرداً أو أفراد ، ولا هي خاضعة في تطورها لما يريده لها المشرعون وإنما تنبعث من تلقاء نفسها عن العقل الجمعي واتجاهاته وتخلقها طبيعية الاجتماع وظروف الحياة ، وتتطور وفق نواميس عمرانية ثابتة لا يستطيع الأفراد تغييرها أو تعديلها.

والأسرة كمنظمة اجتماعية تختلف عن المنظمات الاجتماعية الأخرى ببعض المميزات التي تدل دلالة قاطعة على وحدتها كنظام اجتماعي مستقل ذات صفات وخصائص اجتماعية فريدة ، كما توضح هذه المميزات مكانتها في المجتمع.

ومن أهم هذه المميزات الأربعة هي :-

1- تمتاز الأسرة كمنظمة اجتماعية بأنها تمارس نفوذاً كبيراً على أفرادها ، على اعتبار أن الأسرة أول منظمة اجتماعية تتلقى الفرد وتوفر له الرعاية والغذاء وكل متطلبات التنشئة الاجتماعية ومن هنا فإنه في داخل هذه المنظمة يتشرب قواعدها التنظيمية ، ويخضع لسنتها الاجتماعية وعاداتها وأعرافها وتقاليدها ، ويتعامل تفاعلاً مباشراً مع بقية أفرادها. ولا ريب أن هذه الميزة قد أعطت الأسرة أسبقية ، بل وأحقية في ولاء الأفراد لها ، والتعاطف مع أفرادها ، وضرورة التمسك بها كنظام اجتماعي لا غنى للفرد أو الجماعة أو المجتمع عنه.

2- تمتاز الأسرة كمنظمة اجتماعية من حيث الحجم بأنها أصغر أحجام المنظمات الاجتماعية المعروفة ، وذلك أن متوسط حجم الأسرة في مصر طبقاً لتعداد نوفمبر 1986 هو 5.2 نسخه ، وهو متوسط يقل على متوسطها في الدول العربية الشقيقة , ويزيد كثيراً عن متوسطها في الدول الأوربية المتقدمة.

3- تمتاز الأسرة كمنظمة اجتماعية بأنها حجز الزاوية في البناء الاجتماعي باعتبارها نقطة الارتكاز التي ترتكز عليها بقية منظمات المجتمع الاجتماعية الأخرى ، ذلك أن الأسرة كنظام اجتماعي تصلح من بقية النظم الاجتماعية ، وإذا فسدت كل النظم الاجتماعية الأخرى في المجتمع.

4- تمتاز الأسرة كمنظمة اجتماعية بأنها تمارس ضبطاً اجتماعياً له أهميته على أفرادها ، وهذا الضبط يأتي من جهة – من التنشئة الاجتماعية التي توفرها الأسرة لأفرادها وكلما كانت تنشئة الأطفال على أساس الأمانة والإخلاص والصدق والإيثار... كانت تلك الصفات صفات أفرادها فيما بعد ، والعكس

صحيح ومن جهة أخرى فإن سلوك العائلة التي تعتبره الأسرة إحدى وحـــدتها ينعكس على أفرادها فكلما تمسكت العائلة بأنمـــاط الســـلوك الســـليمة أضـــطر أفرادها إلى مجاراتها حتى لا يتعرضوا لعقوباتها والعكس صحيح.

ومن هذه التعاريف السالف ذكرها يمكن تحديد الخصائص التي تتميـــز بهـــا الأسرة وهي:-

- قيامها على أساس علاقات زواجيه أصطلح المجتمع على مشروعيتها.
- تكوينها من أفراد ارتبطوا بروابط الزواج والدم أو التبني طبقـــاً للعـــادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع.
- معيشة أفرادها جميعاً تحت سقف واحد ، واشتراكهم فـــي اســـتخدام نفـــس المأوى لممارسة حياتهم السرية ، وتحقيق مصالحهم وحاجاتهم الحياتية.
- تفاعل أفرادها كوحدة اجتماعية تفاعلاً متبادلاً ، يتفق مع أدوار كـــل مـــنهم ومع الظروف السائدة في الأسرة من جهة الظروف السائدة في الأسرة مـــن جهة ومع نظم المجتمع من جهة أخرى ، وبالصورة التي تتفق مع إشـــباع الحاجات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية لكل أفرادها.
- انتساب أفرادها إلى اسم عائلي يحظي باحترامهم جميعاً، ويرتبطـــون بـــه برباط القرابة الدموية ، بمعنى أن يكون هو الجد الأكبر لأفراد الأسرة.

خامساً : مفهوم المدرسة :

أولاً : المدرسة كمؤسسة اجتماعية :

- المدرسة : مؤسسة اجتماعية اتفق الجميع على إنشائها بقصد المحافظة على ثقافة ونقل هذه الثقافة من جيل إلى جيل كما أنها تقـــوم بتـــوفير الفـــرص

المناسبة للطفل كي ينمو جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً إلـــى المســـتوى المناسب الذي يتفق مع ما يتوقعه المجتمع من مســـتويات ومـــا يســـتطيعه الفرد.

والمدرسة كمؤسسة ثقافية هي وسيلة المجتمع ، للأخذ بيد الطفل أثناء نمـــوه ، والمزج به في التراث الثقافي ليصاغ ويتشكل ، والتعلـــيم هـــو وظيفـــة المدرســـة الأساسية ، فهي تمده بالمعلومات والمهارات التي سوف يحتاج إليها لكي ينجح فـــي الحياة.

وتنمي المدرسة عقل الطفل ، وحواسه الخمس ، والتي هـــي أداة الحصـــول على المعرفة، وكذلك فهي تثقل اتجاهاته وميوله ، وتنمي شخصيته وإدراكه وخياله، وتحرره من المنزل، ومن الاعتماد على الغير ، كما تعلمـــه مســـئوليات المـــواطن وترشده إلى اختيار وظيفته في المستقبل.

وتحقق المدرسة للطفل النضـــج الانفعـــالي والصـــحة النفســـية ، والتوافـــق الشخصي والاجتماعي ، فالمدرسة تستطيع أن تقوم بدور مؤثر في مواجهة حاجات التلاميذ النفسية والاجتماعية ، وذلك بما توفره للتلاميذ من أنشطة وخبرات مختلفة، كذلك فهي تعطيه القدرة على ضبط النفس وتقدير انجازاته.

وتعالج المدرسة بسلوك المضطرب والمنحرف لبعض التلاميذ ، وذلك بتقوية دافع الانتماء لديهم ، وتصحيح مسار سلوكهم بمساعدتهم على تقبل أنفسهم ، وتقبـــل الجماعة بقيمها ومعاييرها وقواعد سلوكها.[14]

وإذا كانت الأسرة كمؤسسة اجتماعية طبيعية لها أبعادها وظروفها المميـــزة ، فإن المدرسة لا تقل عنها أهمية من حيث المساهمة في عملية التنشـــئة الاجتماعيـــة عند الطفل ، ففي بداية المدرسة الابتدائية لتحرر الطفل من العلاقة والتبعية الأسرية

والغير الأخوية ليجد فنسه في عالم اجتماعي جديد يقوم على النشاط الذهني والـتعلم والمنافسة والنجاح والنظام والانضباط والثواب والعقاب ، ويضاف إلـى ذلـك أن المدرسة تساهم في تنمية الانتباه والإرادة عند الطفل فالطفل ملزمـاً ببـذل الجهـد وتحمل الثقل والمسئولية واحترام السلطة والنظام ، بالإضافة إلـى انفتاحـه علـى الآخرين والتي تتم من خلال اللعب المنظم مع الرفاق ، هذا اللعب يؤدي من جهـة إلى تلبية بعض الحاجات النفسية عند الطفل مثل الشعور بالفرح والحيويـة وتأكيـد الذات ، ومن جهة أخرى إلى السيطرة على الذات واحترام الآخرين ، لأن اللعـب هنا يقوم على مجموعة من الأنظمة والقواعد بحيث نخضع لها جميع الرفـاق ، إذا هناك اتجاه من الأنوية التي تطفي على سلوك الطفل قبل السابعة إلـى المحوريـة الاجتماعية أي الانفتاح على الآخرين واحترام قواعد اللعب والسلوك.

وترتبط عملية الانفتاح لنمو العمليات الذهنية المتبادلة التي تبرز عند الطفـل بعد السابعة من عمره ، والتي تتصف بالتعاون والتفاعل مع الآخـرين ، لـذلك لا يمكننا الفصل بين المدرسة وعالم الأسرة ، فهناك ترابط وتشـابك بـين المدرسـة والأسرة خاصة في المجتمع الحديث ، نظراً لتعددية التعليم واخـتلاف مسـتوياته ، فهناك المدارس الرسمية والمدارس الخاصة ، وهناك المدارس الدينيـة والمـدارس غير الدينية ، ولكل مدرسة خصائصها من حيث الطبقة الاجتماعيـة ومـن حيـث الاتجاه ، ومن حيث المناخ والكتب ، وينتج عن ذلك أن القيم الاجتماعية والأخلاقية والثقافية التي تقوم المدارس بنقلها إلى الأطفال تختلف تماماً مـن حيـث طبيعتهـا وأهدافها.

ثانياً : المدرسة وبناء الشخصية :

إذا كانت الأسرة هي أولى وسائط التنشئة الاجتماعية فإن هناك العديد من تلك الوسائط مثل المدرسة وجماعات اللعب والمراهقين والصحف والمجـلات والكتـب

والراديو والتلفزيون والسينما ودور العبادة ... الخ.

من خلال تلك الوسائط نود أن نوضح مدى أهمية المدرسة كوسيط من وسائط التنشئة الاجتماعية اتفق المجتمع على إنشائها بقصد المحافظة على ثقافة ونقل هذه الثقافة من جيل إلى جيل ، كما أنها تقوم بتوفير الفرص المناسبة للطفل كي ينمو جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً إلى المستوى المناسب الذي يتفق مع ما يتوقعه المجتمع من مستويات وما يستطيعه الفرد.

والطفل حينما ينتقل من الأسرة إلى المدرسة يجد هناك فرقاً كبيراً بين الموقعين ، لقد نشأ في أسرة بين والديه وأخوته وكان محاطاً بالكثير من الرعاية والاهتمام ، والمدرسة موقف اجتماعي يختلف عن الأسرة، فهناك مدرسة لا تستطيع أن تعطيه من الرعاية والعناية ما ألف أن يلقاه من والديه، وهنا وجب عليه أن يوفق بين رغباته وما يحتاجه غيره ، وأن يرجئ إشباع حاجاته إلى وقت مناسب.

ولقد قامت المدرسة كمؤسسة ثقافية منذ الماضي البعيد وكان من أهم أسباب قيامها ازدياد حجم الثقافة وتعقدها بدرجة تستلزم قيام مؤسسة متخصصة مسئولة عن تنظيم المحتوى الثقافي وتقدمه بطريقة مناسبة للأجيال الناشئة وأخذت مسئولية المدرسة تزداد تدريجياً لعدة أسباب :

1- التغيرات المختلفة التي طرأت على الأسرة.

2- قضاء الطفل سنوات طويلة في المدرسة.

3- تأثير المؤسسات الثقافية الأخرى على الطفل وفي مقدمتها وسائل الإعلام يضاعف من مسئولية المدرس في إعداد الشخصية.

ولقد فقدت الأسرة الكثير من سلطاتها لذلك فيجب على المدرسة أن تسعى إلى إقامة التوازن الذي اختل نتيجة ذلك وإذا كانت المسئولية الأولى للمدرسة تتحدد من الناحية العلمية عن طريق المناهج الدراسية التي تعلم للطفل إلا أن المدرسة تظل مع ذلك هي المؤسسة التي تنمي في الطفل القيم الثقافة والأخلاقية المرغوب فيها وتمده بالخبرات المختلفة التي تعده ليكون عضواً فالحاً في الجماعة الكبيرة ونقصد بها المجتمع.

ومن المفيد أن نلقي ضوءاً على المميزات التي تميز المدرسة عن غيرها من المؤسسات وتعطيها الدور الذي يعلق عليه المجتمع أهمية كبيرة في بناء شخصيات أبنائه :-

1- تنمية الشعور بالانتماء والولاء لدى التلاميذ.

2- نقل ثقافة المجتمع إلى التلاميذ من خلال التقاليد المدرسية واللوائح والتفاعل.

كذلك لقد وضع التقدم الحضاري والثقافي على عاتق المدرسة مسئوليات كثيرة نجملها فيما يأتي:

1- نقل التراث الثقافي.

2- تبسيط التراث الثقافي.

3- تطهير وتنقية التراث الثقافي.

4- تطوير التراث الثقافي.

5- تحقيق الانسجام الاجتماعي.

ونتيجة لأن التغيرات الثقافية في معظمها تحدث نتيجة للسياسة العامة التي ترسمها الدولة وبما يتفق مع فلسفتها الاجتماعية وأي حديث عن قيادة المدرسة للتغيير الثقافي أو عن خطط ترسمها المدرسة لأحداث تغيرات ثقافية يعتبر ضرباً من الوهم أو الخيال والسبب في ذلك هو أن المدرسة ليست سلطة تنفيذية تستطيع أن تعمل ما تريد بالطريقة التي تريدها. وإنما هي تنفيذ بطريقة ذكية وبأسلوب علمي ما ترسمه لها السلطة التنفيذية من خطوط عريضة فالمدرسة تعمل على تحقيق الأهداف التي يرسمها المجتمع من تصوره لصورة المواطن الصالح ، والمعلمون في داخل المدرسة هم المندوبون الموكلون عن المجتمع لتحقيق هذه الأهداف والدور الحقيقي للمدرسة يجب أن يتجه إلى تدعيم التغير الثقافي والإسراع به وتوجيه فهمه وذلك من خلال تعريف التلاميذ بالتغيرات الثقافية وتنمية العادات والاتجاهات الجديدة وإعداد الأجيال التي تصنع التغير وتتقبل كل إيجابي جديد وترحب به.[15]

مما سبق يتضح أهمية دور المدرسة كوسيط لبناء الشخصية الإنسانية وإعداد جيل واعي منتمي إلى وطنه ومجتمعه الذي يعيش فيه.

ثالثاً : المدرسة وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية :

يخرج الطفل من مجتمع الأسرة الصغيرة المتجانس إلى المجتمع الكبير الأقل تجانساً وهو المدرسة وهذا الاتساع في المجال الاجتماعي وتباين الشخصيات التي يتعامل معها الطفل يزيد من تجاربه الاجتماعية ويدعم إحساسه بالحقوق والواجبات وتقدير المسئولية ويعلمه آداب التعامل مع الغير.

والتعامل في المدرسة أساسه الندية يأخذ الطفل بقدر ما يعطي على عكس

الحياة في المنزل ، فالمعاملة الأسرية يشوبها التساهل والتسامح والتضحية وبعـض المشاكل لذلك نجد أن المدرسة تمثل مرحلة هامة من مراحل الفطام النفسي للطـف وتتعهد المدرسة القالب الذي صاغه المنزل بالتعديل والتهذيب بما فيها مـن نشـاط موجه مخطط.

فالمشكلات التي توضح بدورها في المنزل قد تساعد المدرسة في تخفيفها أو يفقدها إذا كانت الظروف فيها غير مواتية. ولكن نجاح المدرسـة فـي العـلاج أو تكوين أنماط سلوكية جديدة محددة الأبعاد لشخصية الطفل التي رسمتها الأسرة.

ومن أهم العوامل المدرسية التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية للطفل شخصـية المدرس فهو مصدر السلطة التي يجب طاعتها ، والمثل الأعلى الـذي يتمثـل بـه الطفل ومصدر المعرفة ومن ثم فإن مظهر السلطة بما تتضمنه من حزم وعطف أو تسلط وتحكم تؤثر في نظرة الطفل للسلطة العامة في مستقبل حياته.

كما أن الفضائل والرذائل الاجتماعية التي ينطوي عليها المثل الأعلى الـذي سيندمج فيه الطفل سوف يجد طريقه إلى بنائه الاجتمـاعي ، والتكـوين المعرفـي للمدرس له بالغ الأثر في توجيه الميول العقلية للطفل نحو العلوم والفنـون والآداب المختلفة وكم من الناس قد تغيرت حياتهم وتحدد مستقبلهم نتيجة الإنجاب بالمـدرس وتأثيره ، وكم من الناس كرهوا الحياة وهجروا المدارس بسبب المـدرس أيضـاً. والروح المدرسية عامل هام أيضاً في التنشئة الاجتماعية والروح الإيجابية تـرتبط بالإدارة الديمقراطية وتوفير الحكم الذاتي للطلاب والسماح ببعض الفرص للمشاركة في وضع النظم المدرسية ، كما ترتبط بالعدل الاجتماعي وأساسه تقدير واحترام كل تلميذ في المدرسة مهما كل مستواه الاجتماعي والاقتصادي أو الدراسي بمـا يـوفر الشعور بالعزة والكرامة والانتماء.

وترتبط الروح الإيجابية كذلك بثبات المعاملة فلا يجوز أن تعامـل المواقـف المتشابهة معاملات متناقضة ، كما لا يجب أن تبنى السلطة على القسوة والمبالغـة في التقييد أو على التساهل والتراخي ، ولكن سياسة ثابتة أساسها الحزم والعطـف. والبيئة المدرسية الصالحة هي التي توفر للتلاميذ ألوان مـن النشـاط الاجتمـاعي والرياضي والفني والثقافي والترويحي بجانب النشاط التعليمي حتى تنمو شخصـية الفرد ككل نمواً متزناً.

وانعدام العدالة وسوء استعمال السلطة وجو المدرسة الثقيل المفتقر لعناصـر التشويق يدفع الطالب للبحث عن اللذة غير الموجهة كالتدخين والمغازلة وممارسـة العادة السرية والانغماس في أحلام اليقظة فضلاً عن صور العصيان الاجتماعي.

وقسوة الامتحانات واعتمادها على العوامل الذاتية أكثـر مـن الموضـوعية تعرض التلميذ للفشل المتكرر والشعور بالنقص والقلـق والسـخط علـى الـذات والمجتمع. وقد يكون ذكاء التلميذ دون مستوى الدروس فيتعرض للفشل المستمر أو فوق مستوى الدروس فلا يجد فيها لذة الشعور بتفاهة العمل بالنسبة إليه ، أو يكـون التلميذ ذا موهبة ميكانيكية لا يستطيع المواد العلمية أو يكون هدفاً لسخرية زملائـه لفقره أو لعيب في شكله أو لسوء ملابسه ، أو يكون كبير الحجم خامل الذهن وسـط فصل من الصغار الأذكياء الأشقياء وكل من هذه العوامل وغيرها تمهـد للمشـاكل الدراسية والسلوكية وسوء التوافق الذاتي والاجتماعي والهرب من المدرسة.

وقد أطلق بيرت Burt على الهرب من المدرسة Truancy اسـم "روضـة أطفال الجريمة" إذ أنه يفتح أمام الطفل أبواب الجريمة ويسرع بـه إليهـا ، ولقـد أظهرت طائفة كبيرة من البحوث والإحصاءات أن نسـبة عاليـة مـن المجـرمين ينتسبون إلى طائفة التلاميذ التي أظهرت في المدرسة صعوبات سلوكية أو دراسية.

(أ) **التطبيع الاجتماعي** :

عملية التطبيع الاجتماعي هي عملية التفاعل الاجتماعي التي يتم من خلالها تحول الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.

وهي في أساسها عملية تعلم لأن الطفل يتعلم أثناء تفاعله مع بيئته الاجتماعية عادات وأسلوب حياة أسرته ببيئته المباشرة ومجتمعه عامة ، وهي تتضمن عدة عمليات نفسية تعتبر الوسائل التي عن طريقها تنتقل التأثيرات المختلفة بين أفراد الثقافة المعنية وبذلك فهي عملية معقدة تتضمن من وجهة كائناً بيولوجياً له تكوينه الخاص واستعداداته المختلفة ، ومن جهة أخرى شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم ثم من جهة ثالثة تفاعلاً ديناميكيا مستمراً بين البيئة والفرد يؤدي إلى نمو "ذات" الفرد تدريجياً.

(ب) **التطبيع والتعلم** :

تعتبر قدرة الفرد على التعلم وتعديل سلوكه من أهم الصفات المميزة للإنسان وليس معنى ذلك أن الإنسان وحده هو القادر على التعلم ، فقد أثبتت الدراسات أن هذه القدرة توجد بدرجات متفاوتة من السلسلة الحيوانية ، وأن هذا التفاوت يرجع إلى تفاوت في التكوين العصبي مرتبط بدرجة الارتقاء في سلم التطور البيولوجي ، بمعنى أن التكوين العصبي يعتبر الأساس الأول لقدرة الفرد على التعلم.

كما تتفاوت هذه القدرة عند الفرد نفسه تبعاً لدرجة نمو جهازه العصبي ، ويعني ذلك أن درجة نمو الفرد تؤثر في عملية التعلم ، فالوليد لا يستطيع أن يتعلم بنفس القدرة ولا نفس المهارات التي يمكن لطفل في السادسة أن يتعلمها.

ويعرف التعلم بأنه استجابة إيجابية نشطة يقوم بها الفرد إذا ما شعر بحاجة أو دافع ، ويكون التعلم واضحاً بمقدار وضوح الدافع أو الهدف. وهنا يجب أن

نفرق بين التعلم ونتائجه، فعملية التعلم تمثل ذلك النشاط العقلي الذي يحــدث حــين يمارس الإنسان نوعاً من الخبرة الجديدة التي لم يسبق له أن واجهها ، أمــا نتــائج التعلم فهي تعديل في السلوك بحيث يجعله يكتسب تنظيماً جديداً تحت شروط الخبرة والممارسة.

وقد ظهرت نظريات متعددة في تفسير عملية التعلم تختلف باختلاف محــاور الارتكاز عند المعنيين بدراسة هذا الموضوع ، فبينما ركز الســلوكيون اهتمــامهم حول الارتباطات العصبية بين المثيرات والاستجابات ، يهتم المجاليون بــالإدراك كمحور لعملية التعلم.

ومع تعدد النظريات إلا أنه يمكن على أساسها التمييز بين ثلاثة أنواع منهــا التعلم الشرطي ، والتعلم بالمحاولة والخطأ ، والتعلم بالاستبصار.

ومع أن الأسرة هي أول وسيط يتم من خلاله تقطير معايير الصنع وقيمه إلا أن هناك وسائط أخرى تؤثر على شخصية الفرد من خلال نوع العلاقــات القائمــة بين أفرادها وبالرغم من أهمية الأسرة في عملية التطبيع الاجتماعي وتكوين الذات فإن للمواقف الخارجية آثارها في تعديل سلوك الفرد أثناء حياته ، لأننا نعيش فــي حياة معقدة يتعذر نقلها كاملة إلى الطفل عن طريــق الأســرة فقــط ، ولــذا كــان للمؤسسات الاجتماعية الأخرى أهميتها في تعديل سلوك الفرد ، وبالتالي في تطبيعه الاجتماعي.

ومن أهم هذه المؤسسات المدرسة . ومع أن الطفل يخرج من نطاق الأســرة فقط ولذا كان للمؤسسات الاجتماعية الأخرى أهميتها في تعــديل ســلوك الفــرد ، وبالتالي في تطبيعه الاجتماعي.

ومن أهم هذه المؤسسات المدرسة ، ومع أن الطفل يخرج من نطاق الأســرة

وقد تأثرت شخصيته بها تأثراً عميقاً ، إلا أن أثر المدرسة هام في شخصيته ، فهي تستطيع أن تفعل الكثير من أجل الطفل إذا قامت بوظيفتها كما ينبغي ، إذ يمكنها أن تدعم كثيراً من المعايير والاتجاهات السليمة التي تكونت في الأسرة وأن تقوم ما أعوج فيه وتحصنه بكثير من المعايير والاتجاهات الاجتماعية السليمة.

كما يمكنها أن تعاونه على التغلب على أنواع الصراع التي يعانيها من جراء معاملة والديه ، فإذا فشلت في هذا فقد تسبب له من الصراع ما يؤدي إلى عدم تكيفه واختلال توازنه الاجتماعي.

والواقع أن انتقال الطفل من المنزل إلى المدرسة يعتبر حدثاً هاماً في حياته إذ ينتقل من بيئة ضيقة نسبياً إلى بيئة أوسع وأعقد وأكثر اتصالاً بالحياة يحتك فيها بعدد كبير من القرناء ، ويرى فيها من الكبار نماذج تختلف في قليل أو كثير عن والديه. كما أنها بيئة ذات نظم وقوانين جديدة ، فيرى نفسه مضطراً إلى تغيير وتعديل سلوكه في هذا الوضع الجديد ، فعاداته الاجتماعية التي تعلمها في الأسرة لم تعد تكفي لمواجهة المواقف الجديدة التي تتضمن مسئوليات وواجبات جديدة.

هذا مع العلم بأن حياة الفرد في المجتمع عامة تؤثر في تطبيعه الاجتماعي فعلاقته بأقاربه تؤثر على أنواع النشاط التي يمارسها وعلى اكتساب القيم والمعايير وقد دلت الأبحاث على أنه كثيراً ما يعدل الطفل من القيم والمعايير التي اكتسبها في المنزل تبعاً لما تتطلبه جماعة القرناء ، وهذا يجعل لتوجيه الآباء لأطفالهم في اختيار الأصدقاء أهمية خاصة ، إذ كثيراً ما تؤدي الصداقة الخاطئة إلى أنواع مختلفة من الانحراف.

كما أن أسلوب الحياة في المجتمع يؤثر في تطبيع الطفل ، فالتعاون والاستقرار الاجتماعي وعدم تصارع القيم يسهل عملية التكيف واكتساب المعايير.

أما إذا تصارعت المعايير والقيم كما يحدث في المجتمعات النامية التي يختار النشء بين المعايير القديمة والحديثة وكذلك في المجتمعات التي تمر بمرحلة تغيـــر ثقافي سريع فإننا نلاحظ كثرة مواقف الصراع مما يؤثر على شخصية الأفراد.

رابعاً : المدرسة ووظيفتها :

تختلف المؤسسات الاجتماعية بداخل المجتمع ، بما في ذلك النظام التعليمـــي لها ووظائفها الهامة فيما يتعلق بالنظام الاجتماعي ككل وأجزائه المختلفـــة. ولـــذلك نشير في هذا الجزء إلى أهم وظائف المدرسة :-

(1) **انتقال الثقافة** :

إن وظيفة المدرسة من وجهة نظر المجتمع هي المحافظة على الثقافة ، فهـــي تكشف عن قدرة الإنسان على التعلم ، وتنظيم التعلم في صورة رمزية ، وتوصـــيل هذا التعلم كمعرفة إلى أعضاء الجنس البشري ، والعمل على أساس من الـــتعلم أو المعرفة منبع كل الظواهر الثقافية. إن أي حضارة تقوم على أساس تلـــك الثقافـــة تشمل أكثر من مجرد "المعرفة المتراكمة في كل ميدان من ميادين المعرفـــة" فهـــي تتضمن القيم والمعتقدات والمعايير المتوارثة جيلاً بعد جيل وإن كان يحـــدث فيهـــا تعديلات فإن المدرسة تنقل ذخيرة الثقافة إلى الجيل التالي وهي التي تعمـــل علـــى مساعدة الصغار بالأخذ بوسائل الكبار المتصلة بالماضي.

(2) **المحافظة على تقاليد الثقافة الفرعية** :

فالجماعات ذات العرق الواحد أو العنصر الواحد أو الجماعات الدينية غالبـــاً ما تضع على عاتق المدرسة متطلبات نقل مجموعة معايير وقيم ومعلوما خاصة.

وقد أنشأت بعض الجماعات مدارسها الثقافية الخاصة – مثل المدارس الدينية

أو المدارس الخاصة – لكي تيسر تنفيذ أهدافها.

(3) **الإصلاح الاجتماعي** :

إن الجماعات والأفراد دائماً ما تبحث عن الإفادة من المدرسة بوصفها عاملاً فعالاً في تنفيذ التغيرات المرغوبة في البناء الاجتماعي أو فعالية المجتمع ومن هنا تصبح المدرسة بسبب نصيبها في عملية التنشئة الاجتماعية وأهميتها بوصفها نظاماً حيوياً في حياة كل عضو من أعضاء المجتمع البؤرة الأولى في نظر المصلح الاجتماعي ، سواء كان اهتمامه متجهاً إلى تخفيض عدد الجرائم على سبيل المثال أو تحسين المركز الاجتماعي للأشخاص أو الحد من الزيادة السكانية فإن للمدرسة نصيب في تشجيع أنواع أخرى من التغيرات المرغوبة في المجتمع.

(4) **أعداد الأفراد للعمل المنتج** :

نتيجة لزيادة الاتجاه نحو الاهتمام بالعنصر البشري في التنمية الاقتصادية والاجتماعية فإن وظيفة المدرسة اتجهت نحو إعداد أفرا د المجتمع من الطلاب للعمل المنتج في مختلف مجالات الحياة والتخصصات المختلفة ، ولكن لا يؤخذ ذلك على أن وظيفة المدرسة تنحصر في اكتساب المهارات المهنية أيضاً تقوم كما سبق أن أشرنا إلى الإعداد الثقافي وهو ما نسميه بالتربية الشاملة كهدف من أهداف إعداد الفرد للعمل المنتج في المجتمع.

(5) **إعداد المواطن الصالح** :

ويتأتي ذلك عن طريق إحساس الفرد بالانتماء إلى المجتمع ويبدو ذلك في اتجاهات القدر وسلوكه تجاه أفراد المجتمع الذي يعيش فيه والمواطنة الصالحة يمكن أن تتحقق من خلال إشباع ثقافة المجتمع لحاجات الفرد وتحقيق رغباته حيث يؤدي ذلك إلى الإحساس بالرضا الأمر الذي يتولد عنه الشعور بالانتماء إلى

المجتمع ، وذلك يؤدي إلى أن يتوفر لدى الفرد الاستعداد والرغبة في القيام بـــدوره في المجتمع توفر الإحساس لدى الفرد بأهمية هذا الدور ، وذلك مع وجود درجـــة من الثبات في القيم والأفكار والنظم التي يتميز بها المجتمع الذي يعيش فيـــه هـــذا الفرد.

(6) **تكامل الشخصية** :

والشخصية المتكاملة لا يمكن النظر إليها بمنآي عن البيئة التي يعـــيش فيهـــا الفرد حيث أن التكوين المتكامل للشخصية هو هدف التربية التي تعد الفـــرد للحيـــاة في مجتمع يحتاج إلى شخصيات متكاملة داخل الإطـــار الاجتمـــاعي والمدرســـة ، باعتبارها مؤسسة تربوية تهدف إلى إنتاج الشخصيات التـــي تعكـــس خصـــائص المجتمع فإنه يقع على عاتقها تلك الوظيفة في بناء وتكامل الشخصية الإنسانية[16].

المصـــــادر

(1) محمد علي محمد وآخرون، المجتمع والثقافة والشخصية، مــدخل إلــى علــم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985 ، ص ص 286 ، 287.

(2) حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، عالم الكتــب ، ط4، 1977، ص ص 213، 215.

(3) المصدر السابق ، ص 394.

(4) Robert Shall and Elizabeth, Development Psychology , 1979, P. 202.

(5) وبلارد أولسن ، تطور نمو الأطفال ، ترجمة إبراهيم حافظ وآخـــرون عـــالم الكتب ، القاهرة ، 1962.

(6) Hennery Silver, Current Pediatnic Diangnoic and Tneatmenf, California, 1979, PP. 36-38.

(7) مصطفى الخشاب ، دراسات في علم الاجتمـــاع العـــائلي ، ط1 ، القـــاهرة ، 1957، ص ص 13،11.

(8) Burgess E.W. and Locke , H.J. "The Family , N. 1955.

(9) Kingsley Dersons, Whose Relations to noe another based upon consanguinity and who ane therefore kin to another.

(10) Qgbur N W. and N. M. "A hand book of sociology , London , 1957. P. 459.

(11) Maciver, R. Society an Introductong analysis, New York , 1949, P. 238.

(12) مصطفى الخشاب ، مصدر مذكور ، ص ص 13-16.

(13) زيدان عبدالباقي ، الأسرة والطفولة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1980 ، ص ص 4 ، 10.

(14) لمزيد من التفاصيل حول المدرسة : انظر – حسين عبدالحميد رشوان ، الطفل في علم الاجتماع النفسي ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1992 ، ص ص 97، 98.

(15) غسان يعقوب ، التدامج الاجتماعي للطفل ، المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1980 ، ص ص 125 ، 126.

(16) محمد مصطفى أحمد ، التكيف والمشكلات المدرسية من منظور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1993، ص ص 47، 80.

الفصل الثاني

الأسرة كجماعة أولية

أولاً:الأسرة كنظام اجتماعي.

ثانياً:الأنماط المتغيرة في حياة الأسرة.

ثالثاً:وظائف الأسرة.

رابعاً:الأسرة والعمليات الاجتماعية.

خامساً:المشكلات الأسرية.

سادساً:خصائص الأسرة العربية.

أولاً:الأسرة كنظام اجتماعي :

عند دراسة التفاعل بين الفرد والجماعة ، نجد أن الأسرة تحتل المركز الأول، ليس فقط من جهة الزمن ، بالنسبة للطفل ، ولكن أيضاً من جهة الأهمية. ففي الأسرة نجد أن الطفل يحصل على علاقاته الاجتماعية الأولى ، التي بها ومن خلالها يكتسب خبرته وينظمها. وليس هناك نظام آخر له مثل هذا الدور الهام في نقل الطفل الحديث والولادة إلى حيث يصبح شخصاً ، أي نقله من طبيعته البيولوجية Biological Nature إلى طبيعته الإنسانية Human Nature وفقط في الأسرة ، نجد أن العمليات الاجتماعية تظهر في عرض مستمر ، يسير من حالة التكيف إلى حالة التعارف والتعاون ، إلى حالة الضبط الاجتماعي.

ومن المهم ، على ذلك أن كل الذين يهتمون بالتربية ، يجب عليهم أن يفهموا دور الأسرة في حياة الشخص ، لأنه في الوقت الذي فيه يبدأ الطفل في الالتحاق بالمدرسة ، نجده قد اكتسب فعلاً كثيراً من الأنماط الاجتماعية ، فهو قد كون لنفسه شخصية محددة ، كما اكتسب مجموعة من العادات والمعارف ، والاتجاهات التي تؤثر بشكل محسوس على كل تكيفه في المستقبل[1].

إن لفظ (أسرة) من وجهة نظر علم الاجتماع ، تشمل مفهومين : المفهوم الأول ، الذي يرى أن الأسرة تشتمل على كل الأفراد الذين تربطهم سلسلة نسب ، وعلى وجه الخصوص كل الأقارب الذين على قيد الحياة.

وهذا الاستعمال يتطابق مع مفهوم (القبيلة). ولكن مع زيادة تحركات السكان، يستخدم لفظ (الأسرة) بالمفهوم الثاني الوظيفي على أنه التجمع المستمر للآباء والأبناء والذي وظيفته الأولية هي عملية التشكيل الاجتماعي للطفل ، وإشباع حاجات الأفراد فيه للتقبل والاستجابة.

والأسرة الحديثة ، هي في الواقع ، أكثر من مجرد عدد الأشخاص الذين يعيشون في مسكن واحد ، إذ هي تعتبر مجموعة من الشخصيات المتفاعلة ، والتي نجد فيها لكل عضو دوراً محدوداً. وهذه الأدوار لا يمكن أن تظل ثابتة ، بل إنها تتغير في المواقف المختلفة ، وبمرور الزمن . ففي الموقف الذي يختص بالملابس مثلاً ، نجد غالباً دور الأم هو المسيطر، بينما في أمر آخر مثل استخدام سيارة الأسرة ، فقرارات الأب هي النهائية. ودور الطفل ينتقل من مجرد تقبل سلطة الآخرين ، إلى المشاركة في القرارات ، وأحياناً يكون هو العضو المسيطر في جماعة الأسرة.

والأسرة هي عبارة عن جماعة نحن مع مستويات محدودة من السلوك وبدرجات مختلفة ، تربط جميع أعضائها . ولا داعي لتتبع وراثة الأسرة إلى الآباء القدامى ولا حاجة بالأسرة أن تكون قديمة ومستقر ذات حسب ونسب ، ولكن الشيء المهم هو الطرق الشعبية العامة والأعراف التي تعتنقها الأسرة ، وتجعل منها شيئاً مختلفاً عن الأسرات الأخرى من حولها.

وهذه الاختلافات كثيرة ، فقد تستخدم أسرة لغة تتكون من ألف كلمة فقط ، وتستخدم أسرة أخرى لغة تتكون من عشرة ألاف كلمة ، وكل أسرة لها عادات كلام معينة ، وخرافات، واهتمامات خاصة. وقد يكون المستوى الاقتصادي عاملاً فعالاً، ولكن قد يكون أهم منه اتجاهات الأسرة نحو التوفير أو الإسراف ، وكذلك اتجاهاً نحو القيمة التي يعطونها للوقت. وبعض الأسر ليس عندها أي تعاطف نحو بعض الجماعات الدينية ، أو العنصرية. وهناك اختلافات أساسية بين الأسر ، فيما يختص بالمسئولية المتبادلة بين الأعضاء في الأسرة ، أو الأشخاص خارج جماعة القرابة.

وناحية أخرى ، في الأسرة كنظام اجتماعي هي الالتزامات والمسئوليات ، التي بدأت تطوعية في التفاعل الأسري ، ثم أخذت تفرضها حدود المجتمع المحلي

محرماته ، ثم أصبحت الآن تفرض بواسطة القوانين ، المنظمة مثلاً للزواج ، والطلاق ، وحقوق الملكية ، والميراث كما نلاحظ أن الدولة تمارس أيضاً سلطة تنظيمية لكي تجبر الآباء على تعليم أبنائهم، ومنع القسوة عليهم أو إهمالهم. ومع ذلك ، فالأسرة لا تعتمد على سلطة القانون الديني أو المدني ، بل الأمور يقرر بعمق العادات والمعايير والمثل والقيم كما تبدو في الطرق الشعبية والأعراف في المجتمع.

ثانياً:الأنماط المتغيرة في حياة الأسرة :

إن أصل وتطور الأسرة كان موضوع دراسات ومناقشات واسعة قام بها علماء الاجتماع ، والانثربولوجيا والوراثة ، والتاريخ ، وبتأثير نمو مفهوم التطور، فالدراسات التي قام بها ريفرز Rivers وفريزر Frazer وغيرهما تتبعت تطور الأسرة ، ابتداءً من الاختلاط غير المحدد ، إلى شكل الأسرة الأمية Matriarchal حيث كان القرابة من خلال الأم ، إلى شكل الأسرة الأبوية Patriarchal حيث السيادة لأكبر للذكور سننا ، وأخيرا إلى شكل الضبط الثنائي حيث يتقاسم الزوجان المسئولين والسلطة في الأسرة.

والنواحي الثلاث في موضوع تاريخ الأسرة ، والتي لها قيمة لعلم الاجتماع ، عبارة عن دراسة التغيرات ، في أنماط التفاعل الاجتماعي بخصوص :

(1) علاقة اللطف بالوالدين.

(2) علاقة الزوج والزوجة.

(3) انتقال وظيفة الأسرة في تفاعلها بالجماعات ، والمؤسسات ، والخدمات في المجتمع المحلي.

العلاقة بين الطفل والوالدين :

إن العلاقات المتبادلة بين الأطفال وآبائهم ، تختلف بشكل واسع ، لدرجة أنــه ليس هناك نمط عام ، بين القبائل البدائية ، فمن تجارة الأطفال ، إلى الحب الأبوي، ومن الإهمال التام ، إلى العناية البالغة. ولكن بصرف النظر عن الاختلافــات فــي الجماعات ، فهناك عنصر واحد يكاد يكون عاماً ، ألا وهــو أن الطفــل يجــب أن يخضع إلى النمط السلوكي لعلاقات الجماعة. ومن سوء الحظ أن معظم الدراســات الانثروبولوجية على البدائيين كانت تعنــي بناحيــة البنــاء الاجتمــاعي Social Structure في الاحتفالات والطقوس ، والنظم ، أكثر من عنايتها بالناحية الوظيفية Function التي تبدوا في حدود علاقات. ولكن لوحظ مــن المعطيــات والبيانــات المتفرقة عن القبائل البدائية ، أن معظم المواليد مرغوب فيهم ، وخصوصاً الذكور. ويسود عندهم الاعتقاد في المثل الذي يقول (بواسطة الابــن يــذهب إلــى الســماء وبواسطة ابن الابن يحصل على الخلود، وبابن ابــن الابــن يرتقــه ليســكن فــي الشمس،وإذا ماتت أسرة دون طفل ذكر ، فإن أبواب السماء تغلق دونها ، ويطــرد من السماء ، إلى الأبد ، الآباء والأجداد ، الذين كانت الأبواب قد فتحت لهــم مــن قبل[2].

وبالرغم من أن الأطفال في الثقافات البدائية قليل التنظيم ، إلى أنهم يتبعــون الأنماط السلوكية للكبار. فالطفل الصغير في أفريقيا ، وهو الأكثر تــدليلاً ، يظهــر درجة من ضبط النفس ، تفوق ما عند الطفل الأبيض ، في حين أن مــن مظــاهر التدليل نجد الأم لا يمكنها أن تعاقب طفلها ، وقد يضرب الطفل أمه ، حيث يعتبــر بذلك شجاعاً ، وعند قبائل البوشمان (من زنوج جنوب أفريقيــا) يتــرك الأطفــال لحالهم ، ويؤدي هذا إلى أن يشبوا معتمدين على أنفسهم في وقت مبكر.

وظاهرة فقدان النظام الواضح ، والمصحوب بالخضوع والتكيف العام لسلوك

الكبار عند القبائل البدائية ، تبدوا متناقضة مع ما نجده في علاقة الطفل بالأب في الحضارة الغربية. وقد يرجع ذلك ، في المجتمعات البدائية ، لوجود علاقة وثيقة بين الفشل في التكيف مع أنماط الكبار والفشل في إشباع الطفل لحاجاته ولكن حينما يكون السلوك المرغوب فيه ، قليل العلاقة بالرغبات المباشرة للطفل ، يصبح النظام هنا ضرورياً.

ونلاحظ أنه في العصور الوسطى ، سواء في العالم الغربي أو العالم الشرقي، كانت تسود القيم الدينية ، ونجد أن تيودورستودارد Stoddard في وصفه الشيق ، الذي ورد في كتابه ، قصة الشباب The Story of youth يقول : (أنه إلى منتصف القرن الماضي كان يعامل الأطفال بالشدة ، كانت معاملة غير عادلة وقاسية). وحسب ما ورد في كتابات العصور الوسطى ، كانت معاملة الأطفال بأي درجة من الرحمة والتقدير ، تعتبر (تدليلاً وفساداً) . ونحن نعرف ، أنه في الطبقة العليا ، على الخصوص ، كان الأطفال ولا يزالون إلى الآن ، يلبسون مثل ملابس الكبار ولكنهم يعاملون على أنه أقل فهم أخر ما يقدم على المائدة في حضور الضيوف كما أنهم يقدمون إلى الضيوف لكي يرونهم فقط ، ولكن لا يسمعونهم يتكلمون. وأمام القضاء ، وقانون العقوبات لم يكن هناك فرق في المعاملة بين الصغار والكبار المذنبين.

وخلال فترة المراهقة ، كان يتدرب الأطفال على مهن أبائهم وكانت تفلح الأرض ، خلال أجيال متعاقبة ، بنفس الأسرة. وحينما حلت الثورة الصناعية ، انتقلت العمالة من المنزل إلى المصنع ، نجد أن هذا النمط من التراث ، قلت أهميته ولكن مع ذلك بقيت مسئولي الوالدين في تحديد مهن أبنائها.

ونلاحظ أنه ، ولو أن الممارسات التربوية ، كانت تختلف باختلاف الجماعات، والطبقات الاجتماعية ، والطوائف الاجتماعية ، إلا أننا نلاحظ أن البنت

الشابة ، كانت لها القليل ، أو لم يكن لها على الإطلاق ، أي اختيار فيما يتعلق في اتخاذ أكبر القرارات في حياتها ، وهو الخاص باختيار الزوج. فالزواج كان يتم عن طريق الآباء ، وأحياناً بمساعدة الخاطبة. وغالباً كانت تتم الوعود بين الآباء لتزويج أبنائهم الصغار ، وغالباً ما كانت الابنة ترى زوجها إلا يوم الزفاف ، وتاريخ الخطبة وعقود الزواج وحفلات الزواج تعتبر من القصص الشيقة في العلاقات العائلية في الثقافات المختلفة. ولكن يمكن الوقوف هنا عند حقيقتين هما ، أولاً : أن الحضارة الغربية أعطت اعتبارا أكيد إلى أهمية علاقات الحب التلقائي ، وإعطاء الفرصة للاختيار الشخصي في الزواج ، بشكل أكبر ما هو موجود في البلاد الشرقية. ثانياً : الاتجاه نحو جعل الأعراف في القرية أو الجماعة ، مهما كانت ، تفرض بواسطة القوانين المدنية والدينية ، والضغط الاجتماعي المحكم.

وبالرغم من أنه لا يمكننا أن نحدد وقتاً معيناً ، فقد كان قرب أوائل هذا القرن، أن بدأ تحول جديد في علاقات الأطفال والآباء ، فاتساع ميدان علم النفس ، والتربية ، والعلاج النفسي ؛ قد أكد الاهتمام "بالتعبير عن النفس" Self Expression – في عملية نمو الطفل ، وإبراز الآثار الضارة التي تنتج من الكتب والحرمان. وقد كتبت الكتب عن الأبوة الحديثة تدافع عن المبدأ الذي يقول : "الآباء والأطفال شركاء" إلى الحد الذي جعل بعض الأبناء ينادون آباءهم بأسمائهم المجردة، وبالمبدأ الذي يقوم : "لا تقل للطفل لا" ، " والعائلة المركزة حول الطفل" ، وكذلك "ما هو الشيء الخطأ عند الآباء" ، أصبحت من الموضوعات التي يعني بدراستها المتخصصون في تربية الأطفال.

ومن حسن الحظ ، لم يلق هذا الرأي المتطرف قبولاً واسعاً ، وحل محله إلى حد كبير ، الأخذ بتأكيد المسئولية الاجتماعية Social فالطفل في مجتمع الأسرة الصغير ، يجب عليه أن يشترك ، ككائن بشري ذي اعتماد متبادل ، وبنفس

الطريقة التي يتخذها الكبير ، في اعتماده المتبادل ، مع الآخرين في المجتمع الكبير. وهكذا من خلال التفاعل الاجتماعي ، يمارس الأطفال والآباء القيام بأدوارهم المبنية على الفهم المتبادل ، والثقة والحب والاحترام.

العلاقة بين الزوج والزوجة :

إن دراسة العلاقات المتبادلة بين الزوج والزوجة ترينا اختلافات واسعة خلال حقبة التاريخ الطويلة . رغم أنها ، حددت بشكل واضح ، بواسطة العادات والقوانين بأكثر مما حددت علاقات الآباء والأبناء ، ولو أن العلاقات المحافظ عليها في بعض الجماعات ، مثل اقتناص الزوجات ، أو شراء الزوجة ، تعتبر خطأ المقياس الحاضر ، إلا أن الأعراف تجعل حتى من مثل هذه العلاقات شيئاً مقبولا عند هذه الجماعات . وكل المناقشات التي ترد هنا ، يمكن وضعها تحت عنوان المركز المتغير للمرأة ، مع ملاحظة أن التغير الذي حدث في دورها كان أكثر من تغير أي عضو في الأسرة ، وكل تغير في مركزها يتضمن ، حدوث تغيرات مصاحبة لكل أنماط العلاقات في الأسرة.

وبالرجوع إلى مصادر الحياة الابتدائية ، نجد أن هناك أدل كثيرة ذكرها (وستر مارك) Wastermarck وغيره ، عن جماعات لم يكن عند أفرادها علم عن العلاقة بين الحمل والجنس ، وكانوا يرجعون الحمل إلى الروح أو إله خاص. وفي مثل هذه الجماعات كانت تقع مسئولية رعاية الذرية على عاتق الأم ، وأدى هذا ، مع الصفة الفسيولوجية غير المفهومة لميلاد الأطفال ، إلى ما يسمى (برابطة الدم) Blood-bond أو عائلة القبيلة والتي كانت تشمل كل الذين يرتبطون بروابط الدم مع الأم.

وحتى بعد زمن طويل من معرفة العلاقة بين دور الأب وعملية الحمل فإن

هذا النوع السابق من التنظيم العائلي ، والذي يسمى بالنظام الأمــوي Matriarchal عند بين الأنثروبيولوجيين ، قد ظل قائماً عند بعض الجماعات ويتضمن هذا النظام العائلي أم يكون ، تسلسل السلطة ، وانتقال الملكية ، وتتبع النسب ، في ناحيــة الأم. وعدد الجماعات التي تأخذ بهذا النظام ، مع وضوح هذه العناصر الثلاثة الســابقة ، قليل ، وربما يكون أقرب نظام أموي كامل هو ما نجده عنــد قبائــل الإيروكيــوز Iroquois من الهنود الحمر في منطقة البحيرات العظمى بأمريكا الشــمالية وفــي الوقت الذي لا نجد فيه أمثلة تشير إلى أن عائلة الأم ، قد حلت محــل عائلــة الأب كانت تسبقها في الوجود ، و بينما نجد عددا كبيراً من الأخيرة قد حلت محل الأولى فإننا لا يمكننا أن نفترض أن نظام عائلة الأم يعتبر طورا ضــروريا ففــي تــاريخ تطور العائلة ، بل يمكن اعتبارهم نوعين مختلفين من التنظيم الاجتماعي ، أكثر من التفكير في آن واحد منهما قد تطور عن الآخر ويظهر الانثروبيولوجيين الثقــافيون اهتماماً كبيراً (للمكان) Place كأساس للتنظيم العائلي. وعنــد الجماعــات ، التــي كانت تسمح بالزواج من خارج القبيلة ، وحيث كان من الضروري أن يتــرك إمــا الزوج أو الزوجة القبيلة إلى أخرى نجد مع بعض الاستثناءات ، أن المرأة هي التي كانت تذهب إلى قبيلة زوجها. وسرقة الزوجة Wife-Stealing من قبيلة أخرى ، والذي كان عند كثير من الجماعات احتفالا مثيراً قد ساعد على أن يكون الزوج هو المسيطر. تحرر الزوج من مهمة تربية الأطفال. أعطاه وقتا ونشاطا ليصــبح هــو الحامي والكفيل وأيان كانت الأسباب ، فإننا نجد أن التراث الثقافي فــي الحضــارة الغربية ، وفي حضارات الشرق الأدنى ، قد اتخذ الشخص الأبــوي Patriarchal Form للتنظيم العائلي ، والذي فيه تترك الزوجة عائلتها وتنتقل لتعيش مع زوجها.

ونظام شراء الزوجة Wife-Purchase الذي يعتبر في منتصــف الطريــق بين نظام سرقة الزوجة ونظام الدوطة Dowry ومثال للعادة التي تجعل الزوجــات

من ممتلكات الأزواج ، وحينما تذهب الزوجة لتعيش مع زوجها فإن عائلتهـــا تفقــد إنتاج عملها ولتعويض هذه الخسارة ، فإن الزوج يدفع قدراً متفقاً عليه نظير لهـــا. ومثل هذا الدفع ، أو ثمن الشراء ، كان يتم وفقاً لمســـائل المقايضــــة بـــأن يكـــون بالمواشي أو الأغنام أو الودع ، أو أسنان الكلاب وتختلــف الكميـــة تبعـــا للحالـــة الاقتصادية للزوج وفي بعض الأحيان تشترك القبيلة كلها في الدفع. ونلاح أن نظام شراء الزوجة هذا كان يعطي لأفراد الطبقات العليا في هذه الجماعة إذا لم تمـــنعهم المحرمات ، فرصة أن يشتروا أحسن زوجات المرغوب فيهن.

وفي بعض الجماعات كان يدفع الزوج فقط جزئاً ويستمر في دفـــع أقســـاط لقبيلة زوجته لمدة تطول أو تقصر وفقا للطرق الشعبية للجماعة وفي حالات عديدة، لا يتم الدفع للقسط الأخير إلا إذا ولدت الزوجة مولودا حيا ، ممـــا يشـــير إلـــى أن المرأة لم تكن هي المقصودة من الشراء فقط ولكن أطفالها المتوقعين منها كذلك.

ومن الصعب تتبع الانتقال إلى نظام الدوطة ، الذي يحدث في شراء الـــزوج Husband Purchase وليس كل الجماعات قد مرت خـــلال اقتنـــاص الزوجـــة وشراء الزوجة والدوطة. وقد يكون من أمثلة مرحلة الانتقال إلى نظام الدوطة قيـــام والد الزوجة بإعادة جزء من ثمن ابنته للزوج كرمز لحقه في التدخل عند الحاجة ، ليحمي مصالح ابنته ، وكذلك صور الهدايا المتبادلة من كل من الـــزوج والزوجـــة وبين الوالدين في كلا العائلتين.

وكمية ونوع الدوطة تختلف تبعا لأعراف الجماعة وللحالة الاقتصـــادية فـــي العائلة، ولقد أشارت مارجريت ميد Margaret Mead إلى أن التعلـــيم الجـــامعي يعتبر دوطة الفتاة الأمريكية، ويعتبر نوعاً من الضمان لزوجها في المستقبل، وحتى إذا كانت لا تعرف أعمال المنزل وتربية الأطفال، فهي قادرة على معرفتها في فترة

معقولة من الزمن، ونفس هذا الكلام يمكن أن يقال عن مرحلة التعليم الثانوي[3].

ولقد لخص وليم سمنر Sumner والبرت كيلر Killer البيانات التي جمعاها عن التنظيم العائلي ، حينما أشارا إلى ذلك بقولهما :

" لقد كان المجتمع بطيئاً جداً في تدخله في أمر سيطرة الرجل على زوجته ، وطفله ، وعبده ، لأن القواعد المتبعة التي أعطته هذه السيطرة ، والتي كانت أحيانا مطلقة تقريبا في درجتها ، كانت عنيدة ضد التغير. ولو أن الأعراف والقوانين المستحدثة قد أعطت للمرأة حقوقاً ، إلا أنها لا يمكنها أن تتمتع بها ، إذا لم يمنحها لها الزوج ، والمطالبة بالحقوق في هذه الحالة عملية بطيئة ، وغالبة ، وصعبة ، وقد تقتضي أحيانا العلانية ، والفضيحة المكشوفة ، وهذا أمر ممقوت إلى درجة كبيرة"[4].

ولا ينبغي ، مع ذلك أن نتوهم أن ربط العامل الاقتصادي مع العلاقة الزوجية يقلل من نوعية عنصر الحب ، بل على العكس ، يمكن القول بأنها تقوية ، حيث أن التحديد الواضح للعلاقات ، عن طريق الأعراف ، يقلل من ميادين المنازعات المحتملة بين الزوجين. ولقد كان هذا حقيقة ، بالرغم من أن هناك اختلافات في التنظيم العائلي بين الجماعات ، وأن هناك أيضاً اختلافات واسعة بين العائلات في الجماعة الواحدة.

ثالثاً:وظائف الأسرة :

صحيح أن وظائف الأسرة ، أو على الأقل الوسائل التي بواسطتها تتحقق هذه الوظائف ، قد تغيرت بأكثر مما تغير التنظيم العائلي ، ولقد ذكر وليم أخبرن Ogbum سبع وظائف ، بناها على ما كانت تقوم به الأسرة في الماضي[5] وهذه الوظائف هي :-

(1) الوظيفة العاطفية.

(2) الوظيفة الاقتصادية.

(3) الوظيفة التربوية.

(4) وظيفة الحماية.

(5) الوظيفة الترويحية.

(6) الوظيفة الدينية.

(7) وظيفة المكانة العائلية.

ولقد قام هوارد بيكر Howard Becker بذكر الوظائف الآتية للأسرة : [6]

(1) الإنجاب.

(2) حماية ورعاية الأطفال.

(3) الإنتاج الاقتصادي للسلع والخدمات.

(4) التشكيل الاجتماعي للأطفال.

(5) تربية الأطفال.

(6) الترفيه.

(7) التفاعل العاطفي.

ونحن نلاحظ أن الوظائف السابقة كانت واضحة فيما تقوم به الأسرة في مراحلها الأولى ، وخصوصا العائلة القبلية . ولقد ظل الحال كذلك ، إلى حين حدوث التقدم في الحضارة الصينية ، وأخيرا في الحضارة الغربية ، وأخذت بعض

الوظائف السابقة للأسرة ، تقوم بها مؤسسات متخصصة.

وفي دراسة أجريت على عينة من الأسر المصرية لمعرفة الوظـائف التـي تقوم بها الأسرة في الوقت الحاضر تبين الآتي [7]:

(1) أن وظائف الأسرة المصرية لم تتغير كثيراً ، فمازالت نسبة لا بـأس بهـا تحتفظ بوظائف كانت تميز الأسرة الممتدة التقليدية ، وربما يرجع ذلك إلى التأثير السلبي (لفئات العينة) بالتغيير واسـتجابتها المتفاوتـة لـه ، تلـك الاستجابات التي تعكس المستوى الاجتماعي والمهني.

(2) تتحول الأسرة المصرية تحت تأثير الحياة والحضرية بالتدريج من وحـدة منتجة إلى وحدة مستهلكة ، كما أن إسهام الأسـرة ككـل فـي الأنشـطة الاقتصادية المتنوعة في المجتمع قد زاد من حيث معدل مقارنـة بالأسـرة التقليدية القديمة نظرا لاشتراك واحد أو أكثر من أعضائها وبطرق مختلفـة في أنشطة النظام الكلي للمجتمع.

(3) لا يظهر بصورة واضحة أن الأسرة المصرية كالأسرة فـي المجتمعـات الغربية مثلا تعتمد اعتمادا يكاد يكون مطلقات على السوق الخارجيـة فـي كل مطالبها المادية على وجه الخصوص ، فلازالت نسبة كبيرة من الأسر تصنع كثيرا من حاجاتها وخاصة في الغذاء والملبس داخل نطاق المنزل.

(4) أصبحت الأسرة المصرية تشارك في الوظيفة التعليمية عن طريق المتابعة والإشراف المنظم في كثير من الأحوال علـى تقـدم أبنائهـا المدرسـي وإنجازهم لواجباتهم المدرسية.

(5) تتغير أساليب التنشئة الاجتماعية إلا أن عملياتها المختلفـة لا تـزال أهـم وظائف الأسرة جميعاً ، وليس هناك شـك أن طـرق التربيـة والتنشـئة

الاجتماعية تتغير من فئة إلى أخرى حيث تعكس خبرة الوالدين ومستواها الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والمهني ، ويرتبط ذلك بأسلوب معاملة الأبناء ، والنظرة إلى السن ، والجنس ، وإبداء الرأي ، وحرية المناقشة ، وتكامل الشخصية ، تلك المسائل التي تبين تفاوت مواقف أسر الطبقات المختلفة بشأنها.

ويمكن تحديد أهم وظائف الأسرة فيما يلي [8]:

1- **دوام الوجود الاجتماعي** :

من وظائف الأسرة العمل على استمرار الجماعة والمجتمع ، عن طريق عده بأفراد جدد بصور يقرها المجتمع لكي يحلو محل آبائهم أو غيرهم ممن يختارهم الله إلى جواره ، فضلا عن تغطية حاجة المجتمع إلى أفراد جدد للانخراط في سلك الجدية ، أو العمل في مختلف النواحي الإنتاجية التي تزداد يوميا بزيادة السكان في المجتمع.

والذي يدفع الإنسان إلى الإنجاب عبر تلك الفطرة التي فرطنا الله عليها ، أن يكون لكل منا مولوداً على صورته ، أو يصطلح عليه باستمرارية الذات ، وتبدو خطورة هذه الفطرة في النمو السكاني . وهذه الفكرة هي التي تؤدي إلى زيادة معدلات المواليد على معدلات الوفيات. ومن هنا فإن المجتمعات الآخذة في النمو مثل المجتمع المصري ، من واجبها أن تعمل على تنظيم الأسرة بما لا يتعارض مع الإسلام.

2- **رعاية وتوجيه الصغار** :

يصل الوليد البشري إلى هذا العالم في حالة من العجز التام ، ومن ثم يبقى فترات طويل قاصرا على الاعتماد على نفسه ، وفي حاجة لرعاية وتوجيه الكبار

الذين يديرون له كل متطلبات حياته حتى ينمو ويكبر. هذا ويختلف المدى الزمني لهذه الإعالة باختلاف درجة التحضر ، وباختلاف المستوى الاقتصادي في المجتمع. ففي الريف المصري يعجز كثير من الآباء – اقتصاديا – عن الاستمرار في تعليم أبنائهم ، ومن ثم يلقون وهم صغارا في آتون العمل ، لاسيما وأن نطاق العمل في الريف لا يحتاج إلى مهارة دقيقة. ومن ثم يتحول الطفل في الريف المصري وهو في سن العاشرة – وأحيانا قبل ذلك – من وحدة مستهلكة إلى وحدة منتجة. على حين أن الطفل في المدنية – لارتفاع المستوى الاقتصادي من جانب ، ولعدم وجود مجالات عمل فسيحة للأطفال من جانب آخر – تستمر فترة الإعالة بالنسبة للطفل إلى ما بعد سن التخرج في المدارس المهنية مثل المدارس التجارية والزراعية والصناعية أو إلى ما بعد التخرج من الجامعة.

ولذلك فإن من واجب الأسرة في فترة الإعالة هذه أن توفر الغذاء والكساء ومختلف ألوان الرعاية الاجتماعية للأبناء الصغار ، وأهم من ذلك توفر له التدريب والتوجيه الذي يسمح له بممارسة حياته الاجتماعية بما يتفق مع القيم والمبادئ والمعايير السائدة في المجتمع.

3- **إخفاء المكانة الاجتماعية للأسرة على الصغار** :

يقوم محور القرابة في الأسرة معتمداً على ناحيتي الأب والأم ، مع أرجحيه ناحية الأب على ناحية الأم، فالشريعة الإسلامية ، وكذلك الشريعة المسيحية تعترف بقرابة الأسرتين ، ولكنها ترجحان قرابة الآباء على قرابة الأمهات. ويظهر هذا الترجيح في كثير من الحقوق والواجبات المتعلقة بالمثيرات والنفقة وتحمل مسئولية الأقارب والاشتراك في دفع الدية والولاية ، وما إلا ذلك.

ومن هنا فإن الطفل يحمل أسم أسرة أبيه ، ومن ثم ينعكس مكانتها على

مكانته الاجتماعية . وتظل هذه المكانة كما هي أو ترتفع طبقا للحراك الاجتماعي الأفقي والرأسي للأسرة.

وفي المجتمع المصري ، لا حرج على من يكد ويكدح من أجل الانتقال من وضع اجتماعي أاقتصادي أدنى ، إلى وضح اجتماعي اقتصادي أعلى ، حيث نجد أبناء العمال والفلاحين وصغار الحرفيين ينتقلون في السكن (حراكاً أفقياً) من الأحياء الشعبية إلى الأحياء الراقية ، وينتقلون في الوظائف – أو في الدخول – أرضا (حراكا رأسيا) إلى أرقى المناصب الكبرى أو إلى مستوى الأثرياء.

4- **تنظيم وإشباع الدوافع الجنسية والأبوية** :

لعل الوظيفة الحيوية الرئيسية للأسرة هي إتاحة الفرصة المشروعة للزوجين "طرفي الأسرة" للإشباع الجنسي من جانب ، ولإنجاب الأطفال إنجاباً شرعيا من جانب آخر ، فالأسرة هي الوسط الذي اصطلح عليه المجتمع لتحقيق الغرائز الإنسانية والدوافع الطبيعية والاجتماعية، وذلك مثل حب الحياة ، بقاء النوع ، وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعي ، وإشباع الدوافع الجنسية ، وتحقيق العواطف، والأخوة ، والغيرية وما إلى ذلك.

وهذه كلها عبارة عن قوالب ومصطلحات يحددها المجتمع للأفراد ، ويستهدف من ورائها الحرص على الوجود الاجتماعي ، وتحقيق الغاية من المجتمع الإنساني.

5- **إشباع دوافع الوجدان والعاطفة** :

كل إنسان كان صغيرا أو كبيرا في السن يحتاج إلى إشباع مجموعة من الحاجات الفسيولوجية ، الأمنية ، تقدير الذات... الخ . والأسرة كجماعة أولية هي التي تشبع كل تلك الحاجات. بمعنى أن الإنسان من أجل إشباع حاجته إلى التقدير

في حاجة إلى أن يحب وإلى أن يحب ، والأسرة هي خير من يوفر ذلك ، فالزوجة تحب زوجها ولا تتكامل سعادتها ما لم يبادلهـا زوجهـا الحـب ، كـذلك الـزوج والأبناء... وفي ظل تلك المحبة المتبادلة ينشأ الأطفال نشـأة طيبـة تجعـل مـنهم مواطنين صالحين. على حين أن الأطفال الذين ينشأون في ظل الكراهيـة والحقـد وتبادل الشتائم... الخ لن يكونوا مواطنين صالحين ، فالأسرة السليمة ، محبة ورفقة وطيبة وإشباع عاطفي متبادل.

6- **إشباع دوافع الوجدان والعاطفة** :

كل إنسا لديه دافعاً للتملك والتمليك لأبنائه من بعده ، والوجه الاجتماعي لهـذا الدافع هي عادة اجتماعية لدى كل منا تدفعه إلى أن يرث ما كان في حوزة آبائـه ، وأن يورث ممتلكاته لأبنائه. والحديث النبوي يقول : "لأن تدع أبناءك أغنيـاء عـن سؤال الآخرين ، خير من أن تدعهم فقراء يتكفلون الناس" والإنسـان لا يـرث إلا أبويه وأجداده وأشقائه في حالة عدم وجود ورثة شرعيين لهم ، ومن ثم فإن الإنسان عن طريق الأسرة يرث أبويه ويورث أبناءه طبقاً لشروط الميراث فـي الشـريعة الإسلامية.

7- **التنشئة الاجتماعية للفرد** :

أوضحنا من قبل أن الوليد البشري يصل إلى هذا العالم في حالة عجز كامـل بحيث تستحيل حياته ما لم تتولى رعايته والدته أو أم بديل ، لكي تـوفر لـه كـل حاجاته الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية...

والمقصود بالحاجات النفسية والاجتماعية ، أن الطفل تسيطر عليه رغبته في الاستحواذ على كل شيء ، ووظيفة الأسرة ممثلة في الأم هي ترويضه واستئناسـه وتدريبه على كيفية التعامل مع الآخرين وتكوين علاقات طيبة معهم. ومن ثم يتكون

لديه الشعور بالمسئولية نحو الجماعة ، فنحن إن نتعهد الطفل بـــالتعليم والتثقيـــف ، وإذ نلقنه مبادئ حسن المعاملة واللياقة والأدب والقراءة والكتابة ، إنما نحولـــه مـــن شخص خلق ليعيش لنفسه وبنفسه ، على شخص صالح لمشاركة الجماعـــة حياتهـــا وتحمل تبعاتها... وذلك هو جوهر عملية التنشئة الاجتماعية.

ومن هنا فإن على الأسرة أن تعطي عملية التنشئة الاجتماعيـــة حقهـــا مـــن الإخلاص والتضحية ، والبذل ، وبمعنى أن تسخر كل جهودها وإمكاناتها من أجـــل تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سليمة ، على ما اصطلح عليه المجتمـــع مـــن نظـــم وعادات وأعراف وتقاليد ومبادئ وقيم ومعايير ، فتلك هي أهم وظـــائف الأســـرة لاسيما وأن إهمال الأسرة لواجبات تلك الوظيفة يؤدي إلى إنتاج مـــواطنين لـــديهم نزعة تدميرية ضد رؤوس الأموال الاجتماعية في المجتمع ، ومن ثم إلـــى تفكيـــك المجتمع وتخلفه ، كما يؤدي تخلفهم عن القيام بأعباء الأعمال التي تسند إليهم عندما تكون لهم وظائف فيما بعد.

رابعاً:الأسرة والعمليات الاجتماعية :

من الضروري أن نحدد العمليات الاجتماعية التي تظهر في ميـــدان الحيـــاة الأسرية ، وأن نربط بين العمليات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي ، ويرى كثيـــر من علماء الاجتماع أن التفاعل الاجتماعي هو عملية اجتماعيـــة تتميـــز بهـــا كـــل العلاقات الإنسانية.

ولو رجعنا إلى قاموس علم الاجتمـــاع[9] ، نجـــده يـــذكر أشـــكالا للتفاعـــل الاجتماعي منها التعـــارض Opposition والتنـــافس Competition والصـــراع Conflict (التمثل) Assimilation أما الانعزال Isolation فيمكن النظر إليه على أنه نقطة الصفر Zero Degree في التفاعل الاجتماعي.

ويمكن الإشارة هنا إلى أن التفاعل الاجتماعي عبارة عن عمليات اجتماعية ، وهو ينتج من الاتصال الاجتماعي ، الذي يعتبر الركيزة الأولى لكل تفاعل اجتماعي ، وهو ، أي التفاعل الاجتماعي ، عملية في حالة تدفق وجريان ، تتميز بها كل العلاقات الإنسانية.

وقبل أن ندخل في تفصيل هذه العمليات الاجتماعية ، لابد لنا من أن نشير إلى نقطة هامة ، تظهر لنا اختلاف وجهة نظر كل من علم الاجتماع وعلم الاجتماع التربوي ، بخصوص نقطة التركيز في كل منهما ، إزاء استعمال كثير من أشكال العمليات الاجتماعية المختلفة.

فعلم الاجتماع يهتم في المقام الأول بالثقافة الكلية وتأثيرها في تحديد الاجتماع التربوي يهتم أيضاً وبعمق بالثقافة سواء كانت مادية أو لا مادية ، ولكن أولاً وقبل كل شيء من أجل معرفة تأثيرها على نمو الشخصية. هكذا نجد أن عملية مثل عملية التوافق ينظر إليها علم الاجتماع على أنها التغير في العلاقات بين الأفراد والجماعات ، لكي تنادي ، أو تقلل أو تستبعد الصراع ، وتنمي التكيف المتبادل ، بينما علم الاجتماع التربوي لا ينصب اهتمامه على عملية التوافق في ذاتها ، ولكن التركيز يكون أكثر ، على تأثير الثقافة على نمو الشخصية ، ومكن أهم العمليات الاجتماعية هنا ، التكيف الاجتماعي ، والتعارض ، والتعاون.

(1) **التكيف الاجتماعي** Social Adjustment:

نعني بالتكيف الاجتماعي العمليات التي من خلالها تصبح العلاقات بين الأفراد ، والجماعات ، وعناصر الثقافة ، قد أرسيت على أسس متبادلة مرضية. والنموذج الذي يقابل هذا في الحياة العضوية ، هو ما يسمى بعملية التلاؤم Adaptation ، والذي بواسطته نجد أن الكائن العضوي يلاءم نفسه لبيئته ، من

خلال التطور ، وكذلك عملية التغير في سلوك الفرد ، نتيجة للعوامل المناخية وغيرها.

في أيام الطفولة الأولى نجد أن التكيف يشتمل على كثير من عمليات التلاؤم هذه. وفي مفهوم السلوكيين من العلماء ، يشار إلى التكيف على أنه عملية تشريط Conditioning . ويصف زورباو Zorbaugh التكيف الاجتماعي على أنه تلاؤم سلبي وإيجابي ، وهي يعني بالتلاؤم السلبي الطرق التي بواسطتها ينقطع استمرار حدوث الأنماط السلوكية الأولية (والوراثية احتمالا) مثل :

(1) عدم الاستعمال.

(2) تكرار التعرض للمؤثر.

(3) التغير التدريجي في شدة المؤثر.

(4) الفشل في الحصول على استجابة مجزية.

(5) عمليات العقاب المصاحب.

ويتمثل عدم الاستعمال في اختفاء نمط الرضاعة عادة عند سن الثانية من عمر الطفل، إن لم يكن قبل ذلك في الغالب . ويتمثل تكرار التعرض للمؤثر في الحقيقة التي تقرر أنه لو كان هناك شيء يخافه الطفل بالطبيعة ، تعمد إلى تكرار عرضه أمامه ، فإن ذلك يجعل استجابة الخوف عند الطفل تقل أو تختفي. ويتمثل التغير الطفل الذي يخاف من الظلام. ويتمثل الفشل في الحصول على استجابة مجزية فيما يشيع في كل منزل بالنسبة للطفل الصغير ، فإذا بكى لمجرد أنه ترك وحيدا يكون رفض الالتفات إليه كفيلا عقاب في هذه الحالة ، أما حالة العقاب المصاحب فإنها تنتج عن ربط استجابتين متعارضتين لمثير واحد ، وهي تتمثل في

ربطنا للعقاب البدني،مع استجابة قد تكون مؤدية للسرور . ويرى زوربـــاو، أنه لو تمكن مخترع من عمل جهاز عن طريقه يتعرض الطفل إلى صدمة كهربائية خفيفة حينما يعبث بالأشياء الغالية والقابلة للتلــف مثــل الغـــازان ، والنظـــارات ، والساعات ، والتلفونات لأمكنه الحصول على مكسب هائل يدفعه الآباء المصـــابون بالسهو والنسيان[10].

وفي التلاؤم الإيجابي ترتبط الاستجابات بمؤثرات لم تكن في الأصل مرتبطة بها. ولذلك طرق مثل :

(1) الاستجابات الشرطية.

(2) الانتقال.

(3) تكوين سلسة استجابات.

وتتمثل الاستجابات الشرطية في تجارب بـــافلوفPavlov علـــى الكـــلاب ، فنزول اللعاب كان يرتبط مع رؤية قطعة من اللحم ، ودق جرس مصاحب في كـــل حالة ، تكون نتيجة أخيرا أن مجرد دق الجرس وحده يكفي لتدفق اللعاب. وبالمثـــل يستخدم الآباء تعابير الوجه ، والأصوات ، وأخيراً الكلمات للوصول إلى اســـتجابة معينة ، وكثير من الأطفال الذين بلغوا الشهر الواحد من عمرهم يبتسمون اســـتجابة لابتسامات أمهاتهم ، وفيما بعد هذه الابتسامات استجابة لمؤثرات أخرى. والانتقال ، قد يكون على شكل انتشار لعملية التشريط ، أي انتشار نفس الاستجابة نحو مواقف أخرى مشابهة. فإذا كانت استجابة الطفل سارة عند رؤيته لأرنب مثلا ، فإنه يميـــل إلى القيام بمثل هذه بانتقال أثر التدريب Transfer of training في علـــم الـــنفس التربوي نجد أن التنظيم المنطقي الذي يدخل في دراسة الرياضيات يدعو إلى تنظيم العقل بخصوص كل الموضوعات الصعبة التي تحتاج إلى قـــدرة تنظيميـــة. ومـــن

الممكن أن نقبل ، قياسا على ما سبق ، انتشار المهارات ، والقدرة علـــى التـــذوق الجمالي من ميدان معين إلى الميادين المشابهة له. أما الاستجابات المتسلسلة فإنهـــا تتمثل في مجريات الحياة اليومية ، حينما نجد أن كل عملية في لبس الملابس تصبح بمثابة مؤثر للعملية التالية لها[11].

ويتفق معظم الباحثين على أن الطفل يقوم بعمل توازن واضح بـــين الأنمـــاط المتضاربة ، يمتد من الاكتفاء الذاتي إلى الروح الاجتماعية ، ومـــن العنايـــة إلـــى الإهمال ، ومن الطاعة إلى التمرد ، ومن الصداقة إلى الانفرادية.

ويلعب التقليد Imitation دورا هاما في عملية التكيف الاجتماعي. ونلاحـــظ أن أنماط السلوك المبكرة ، تكتسب ، إلى حد كبير ، بطريـــق لا شـــعوري. وفـــي عملية التكيف الاجتماعي كلها ؛ وبالخصوص خلال السنوات الأولـــى مـــن حيـــاة الطفل، نجد أن الكبار في الأسرة ، وكذلك الأنماط الثقافية في البيئة ، تعتبر عوامل رئيسية هامة ، نظر لحالة الطفل الاستقبالية.

والتكيف الاجتماعي لا يقف عند مرحلة الطفولة المبكرة ، وإن كنـــا نلاحـــظ تناقض السلبية ، بشكل تدريجي ، كلما كبر سن الطفل. والفرد في خـــلال حياتـــه ، يشترك مع كثير من الجماعات ، ولكي يحتفظ بمكانته في الجماعة ، عليه أن يقبـــل ثقافتها.

وتعتبر الاتجاهات Attitudes وجهاً آخر لتقبل نمط الجماعة وقبل أن يحصل الطفل الصغير على خبرات ، تكفي لأن يطور لنفسه قدرة على الحكم ، بينما علـــى الحقائق المتعلقة بالمواقف المختلفة ، نجد أن ، مثل هذا الطفل ، يكتســـب اتجاهـــات مختلفة نحو المركز الاقتصادي ، ونحو الدين ، ونحو التمييز الطبقي ، وغير ذلـــك من قيم الجماعة.

وهناك نوع من الاتجاه يصعب على الأفراد تغييره ، يسمى بالاتجاه المجسم Stereotype. وهو اتجاه يتجسم في وصف مبسط غاية التبسيط. فقد يكون رسما كاريكاتوريا أو لفظاً يعبر عن حقائق دقيقة أو عن خبرة فردية. ويحدث أن يتغير الاتجاه المجسم وفقا لارتباطه الشديد بالاتجاهات العامة الجماهيرية ، فكلمة تركي في أمريكا ، وكلمة عربي في أوروبا ، وكلمة بلشغي في أمريكا ، وكلمة زنجي في جنوب أفريقيا ، حملت خلال التاريخ اتجاهات تراوحت بين التقبل والرفض ، تبعا لتغير موقف الاتجاهات العامة الجماهيرية.

(2) التعارض Opposition :

والتعارض لا مفر منه سواء بين أعضاء جماعة الأسرة نفسها ، أو بين الأسرة ، كجماعة نحن "We-Group" وبين الأشخاص والجماعات خارج الأسرة. لو أن العلاقات البشرية تكون دائما غاية في التعقيد ، ودوافعها لا تكون أبدا ذات سبب واحد ، إلا أنه يوجد عاملان يسببان فالتعارض بين الطفل ووالديه هما :

أ- الاختلاف في خبرتهم الثقافية.

ب- إسقاط طموحات الآباء على الأبناء.

وتبعاً للبحوث الكثيرة التي عملت في هذا الميدان ، وجد أنه ، مع احترامنا للفروق الفردية ، أن روح التعارض لا تظهر إلا عندما يصبح الطفل على اتصال بأشخاص أو جماعات لها إطارات ثقافية مختلفة عن الإطار الثقافي في أسرة الطفل الخاصة. وهنا فقط يبدأ الطفل في مناقشة ثقافته التي تربى فيها.

ويتوقف مدى جدية التعارض أولاً على الدرجة التي إليها قبل الطفل أنماط أسرته بحيث جعلها أنماطه الخاصة ، وثانياً ، درجة الإخلاص التي يمكنها الطفل في علاقاته مع الجماعات خارج أسرته ، وثالثاً ، مدى الاختلاف الموجود في

الأنماط السلوكية في هذه الجماعات المختلفة. إذا كان الشعور "بجماعة نحن" أقوى من الأسرة عنه في الجماعات الأخرى غير الأسرة ، فسوف يكون التعارض فيه قليلاً ، وإذا كان الشعور "بجماعة نحن" ليس قوياً في الأسرة ، نجد أن التفاعل بين الطفل ووالديه يصبح موضع تعارض مستمر. وأمثلة للتعارض، الذي ينشأ من الاختلاف الثقافي بين الوالدين والأبناء ، والذي غالباً ما يزداد بازدياد الفارض في التعليم ، تظهر في العلاقات مع الأفراد من الجنس المضاد ، والذي يكون التعارض بسبب أكثر شيوعا ، بين الفتيات وآبائهن ، أكثر من الأولاد وآبائهن.

ومما يعقد الأمور في الأسرة عدم وجود تحديد واضح لظاهرة النضج ، أي عدم تحدد الوضع أو السن الذي إذا بلغه الفرد اعتبر مسئولا مسئولية كاملة عن تصرفاته. والملاحظ أن هناك اختلافات واضحة في اتجاهات الآباء والأمهات نحو ظاهرة النضج عند أبنائهم وبناتهم ، تتفاوت بين هؤلاء الذين يعتقدون أن نظام المنزل يجب أن يظل ساريا حتى الزواج وبعده في بعض الأحيان ، وبين هؤلاء الذين يرون أن يعطي الأطفال نفس روح المسئولية مثل الكبار تماماً.

والسبب الهام الثاني في التعارض بين الطفل و والديه هو بوصف بإسقاط طموح الوالدين ، وقد يكون من المهم أن نعرف كم من أطفال كثيرين يضطرون إلى أخذ دروس في الموسيقى لأن أحد الوالدين كان يأمل أن يكون نفسه موسيقيا. ولا تذهب بعيداً فكانا يحس مواقف التعارض على الثانوية العامة لمكتب تنسيق الالتحاق بالجامعات المصرية.

وعامل أساسي في وجود التعارض بين أطفال الأسرة الواحدة هو المنافسة التي توجد بين أطفال الأسرة ، للحصول على مركز اجتماعي فيها. ويتمثل ذلك في حالة طفل يصغر أخاه الأكبر بخمس سنوات ، لاحظ أن المنزل كان مسرحا لاستقبال زملاء أخيه من أطفال الجيران ، ولما يئس الطفل الصغير ، على مدى

سنوات ، من الوقيعة بين والديه وهؤلاء الضيوف الصغار ، وكـذلك فـي قـراءة الكتب ، كما كان يحلو له دائماً أن يظل وحيداً.

وهذه التعارضات ، وإن كانت توجد في داخل الأسرة إلا أنها تؤثر في سلوك الطفل في علاقاته خارج المنزل ، ويصبح مثل هؤلاء الأطفال موضع انشغال كـل الأفراد في المجتمع المحلي.

والتعارض بين الزوج والزوجة تسببه عوامل متعـددة . ولكـن يلاحـظ أن الاختلاف في أنماط الثقافة عند الشباب في وقت الـزواج يصـبح عـادة مصـدرا للصراع. وحينما تكون هناك فتاة ذات اتجاهات اجتماعية محافظـة ودينيـة قيمـة واتجاهاته ، أو أن واحدا منهما أو الاثنين معا ، يجـب عليهمـا أن يجـدا طريقـة للتكيف، إذا أرادا لحياتهما الأسرية أن تنجح . وفقـدان الاتفـاق بـين الـزوجين بخصوص الطموحات والاهتمامات والعادات ، وكل منها تكون نتيجة لنوع ثقافتـه الأسرية أو ثقافة مجتمعه المحلي ، يكون سببا في إثارة نفس الخلافات .

وأخيرا يمكن أن نخرج بنتيجة هي أن التعارض أمر لا مفر منه ، سواء كان داخل الأسرة ، أو بين الأسرة والجماعات خارجها . ويرى البعض أن التعـارض في ذاته أمر مرغوب فيه ، ولكن بشرط أن يكون صادرا عن تفكيـر ، وأن يوجـه بمهارة ، إذا أريد له أن لا يؤدي إلى تفكك أسري. وعلى المدرسة مسئولية مباشـرة وهامة وهي أن تسهم بشكل متزايد في تحويل التعارض إلى مسالك مرغوبة ، وفي أن تعمل على إثارة العمليات الاجتماعية الأخرى مثل عملية التعاون وعملية الضبط الاجتماعي.

(3) **التعاون** Cooperation :

يتساوى التعاون في أهميته مع التعارض في نمو الشخصية ، وإن كان الفرد

لا يعرف ذلك. وتعتبر الأسرة الموقع المثالي لإنشاء وزيادة أهمية التعاون. وهنا توجد الفرصة لكي يشترك الشاب في مسئوليات الأسرة ، ويتزايد هذا الاشتراك مع تقدم سن الشباب نحو مرحلة النضج. فجماعة الأسرة بما فيها من الشعور بنحن تعتبر أهم المؤسسات في المجتمع للقيام بنشاطات واهتمامات عامة. ونلاحظ دائماً أن الأسرة كانت دائما المؤسسة الأولى ، والأكثر دوما من جميع المؤسسات ، في تكوي اتجاهات التعاون وعدم الأنانية.

وفي الأسرة نجد الطفل يشارك في تفاعل جماعة أسرته مع الأسر الأخرى ، ومع النظم والمؤسسات والمنظمات ، بل ومع المجتمع المحلي ككل.

ويتمن مثل هذا التعاون علاقة الأخذ والعطاء ، والرغبة في التفاهم لأجل الصالح العام ، والعمل معاً لتحقيق غرض عام ، كما أن إعطاء الفرصة للتفاعل الاجتماعي الأسري الذي يؤدي للنمو الشامل للشخصية يعتمد من مسئوليات الأسرة الهامة. وهذا التفاعل لا يقف عند مجرد الحصول على رخصة ، أو عقد زواج ، ولكنه يقوم على ما يأتي :-

1- إيجاد إطار غني متزايد من المعرفة.

2- الوعي بأهمية الخبرات المستمرة في الحياة اليومية.

3- نمو الإحساس العميق بالقيم التي تشمل تقدير الوقت والمال ، والقيم الخاصة بالجنس ، والصداقة الشخصية ، والقيم الأخرى الكبيرة في الأسرة.

وهكذا نجد أن كل أسرة يمكن النظر إليها كميدان لشخصيات متفاعلة ، كل فرد منهم يحاول تحقيق حاجاته الأساسية في إطار مسايرة نمط الحياة الأسرية والتي هي بدورها تساير تفاعل المجتمع الأكبر الذي هي جزء منه. والآباء برغم أن لهم حاجاتهم الضرورية ، يقومون بعمل معظم التكيف وإيجاد الأدوار المتكاملة

بين أنفسهم وأبنائهم. ولو وضعنا الأسرة كلها في بؤرة الملاحظة ، لوجد أن معظم المشاكل بين أفراد الأسرة ، خلال دورة حياتها ، ترجع إلى عدم الانسجام بين رغبات أعضائها المختلفة وخصوصا في أوقات أزمات النمو. وبنفس المنطق يمكن القول بأن وحدة وتكامل أفراد الأسرة تنتج من مراعاة تبادل حاجات أعضائها في داخل إطار الأسرة. وهذه هي القوى التي تعمل في ديناميكية التفاعل الأسري كما تبدو على مسرح الحياة منذ تكوينها إلى نضجها(12).

خامساً:المشكلات الأسرية:

طالما أن الوظيفة الأساسية للأسرة هي تنشئة الأبناء وتربيتهم التربية السليمة، فمن الطبيعي الحكم على وضع الأسرة ومكانتها من خلال إنجازها لهذا الدور الهام ، فالطفل في ظل أسرته يحتاج إلى رعاية فائقة وحماية كاملة لكي يواجه حياته المستقبلية الصعبة ، خاصة وأنه يعيش اليوم في عالم يموج بالمشكلات بمختلف أنواعها ، فهناك الموت بسبب الجوع ، والترك في الصحراء بسبب الفضائح الأخلاقية ، والأمراض ، والإيذاء الجسدي أو الإهمال ، كل ذلك محتمل الوقوع في هذا العصر.

وفي هذا المجال ، نحاول أن نعرض لأنماط معينة من المشكلات الأسرية السائدة في أيامنا الحاضرة ، ومن أهم هذه المشكلات :

1- **سوء المعاملة** :

تعتبر هذه المشكلة من أخطر المشكلات الاجتماعية السائدة في وقتنا الحاضر، سواء أكانت هذه المعاملة تتعلق بالزوجين ، أو بالأطفال. وسنتناول هذه المعاملة على هذين المستويين على النحو التالي :-

أ- **سوء معاملة الأطفال** Child Abuse :

إن المعاملة السيئة للأطفال ظاهرة قديمة وليست وليدة هذا العصـــر وســواء أكانت هذه المعاملة من جانب الآباء ، أو المدرسين ، أو "الأوصياء" ، فقــد كانــت تبرر الاعتقاد بأن العقاب البدني المبرح أمر ضروري سواء في حفظ النظام أو في طرد الأرواح الشريرة. أما اليوم فتعتبر المعاملة السيئة للأبناء مشــكلة اجتماعيــة خطيرة تتطلب الاهتمام. ففي أمريكا مثل ، نجد – طبقــا لنتــائج الدراســات التــي أجريت حول هذه الظاهرة – أن أكثر من مليون طفل يســقطون ضــحايا للإيــذاء البدني أو الإهمال من جانب الأسرة كل عام ، وأن حوالي (2000 ألف) يموتــون بسبب ذلك. غير أنه في السنوات القليلة الماضية أجريت محاولات عدة بصدد هــذه المشكلة على نطاق قومي واسع. ففي عام 1974 وافق الكونجرس الأمريكي علــى قانون موندال Mondale Law الذي يساعد مختلف الولايات والمجتمعات المحلية ، على تنظيم برامج خاصة بالآباء الذين يسيئون معاملة أبنائهم. كما أن هنــاك عــدداً من الدراسات التي حاولت تحديد العوامل الثقافية والاجتماعية الهامة المتعلقة بســوء معاملة الأسرة لأبنائها. من هذه العوامل :

أولاً : الإيذاء البشري Physical Abuse :

تشير بعض الدراسات إلى أن الإيذاء البدني واستخدام القــوة فــي تنشــئة الأطفال ، كانت بهدف ضرورة تعديل الميل الاجتماعي لديهم ، وأن 90% مــن حالات الإيذاء البدني تقريبا يرتكبها الآباء ، منها 14% ترتكبها الأمهات اللائــي يقص ضحايا هذه المعاملة مثل أطفالهم. كما تشير هذه الدراسات إلى أن الأســرة التي تسيء معاملة أطفالها ، تتسم بخاصية أو أكثر من الخصائص التالية :

(1) وجود أحد الأبوين على مستوى منخفض من التأهيــل العلمــي والمكانــة

السوسيواقتصادية المتدنية.

(2) تلقي هذه الأسرة نوعا من المعونة لكثرة أبنائها وسوء معاملتهم.

(3) التغيير المستمر لمكان إقامة الأسرة.

(4) سلطة الآباء في الأسرة قهرية.

والجدير بالذكر أن "ستيل وبولـــوك Steele and pllock قـــد وجـــدا مـــن الحالات التي خضعت للدراسة ، أن الآباء الذين يسيئون معاملة أطفالهم كـــانوا قـــد خضعوا في طفولتهم لمثل هذه المعاملة القاسية. كما وجدا حـــالات أخـــرى مماثلـــة ولكن قليلة ، إلى حد ما ، بين أجدادهم ، ولذا يمكن القول ، بـــأن معاملـــة الأبنـــاء السيئة ، يمكن أن تشكل جزءاً من نمط سلوكي نقل عبـــر الأجيـــال لـــدى بعـــض العائلات.

ثانياً الإيذاء النفسي Psychological Abuse :

من أشكال المعاملة السيئة للأطفال والأكثر إيذاء لهم هو الاستغلال الإبـــاحي المتزايد لهم (في شكل صور دائرة Pornography) وتشير الإحصاءات الأمريكية إلى أن حوالي (300ألف) طفل تتراوح أعمـــارهم مـــا بـــين (3-15 عامـــا) قـــد استخدموا في أفلام أو مجالات إباحية ، حيث صوروا في أوضاع إباحية مختلفـــة. ففي "لوس أنجلوس" بأمريكا ، بلغ عدد الأطفال الإباحيين حسب إحصاءات مراكـــز الشرطة – حوالي ثلاثة آلاف طفل في كل عام ، بعضهم من الهاربين أو المشردين عن منازلهم ، وبعضهم الآخر يخضعهم آباؤهم لهذه الإباحية لقاء أجر معين.

وقد وجد بعض الباحثين أن بعض هؤلاء الأطفال يشاركون هـــذه الأعمـــال الإباحية طواعية من خلال موافقتهم على عرض أنفسهم أو ممارستهم للجنس مع

غيرهم أمام الكاميرا. ولذا فإن علماء النفس يعتقدون أن أغلب الذين وقعوا ضحايا لهذه التجربة من الصعب إصلاحهم.

وأخيراً ، فإن المعاملة السيئة سواء أكانت نفسية أو بدنية ، تؤدي إلى مشكلة اجتماعية خطيرة ومتزايدة. وعلى الرغم من الجهود المضنية التي تبذل بصددها ، للتعرف على الأسباب الكامنة وراءها ، فإن طبيعة هذه المشكلة وأساليب حلها تشير إلى الحاجة لخدمات اجتماعية ضرورية وحماية شرعية شاملة من أجل القضاء على قاعدة الهجوم العريضة لمصادر الضغط السيكولوجية والبيئية ، وإعادة الاعتبار لحقوق الطفل ويعتقد "ديفيد جيل" Davied Gill نفس الرؤية بقوله ، إن الميل في المستقبل لدى الأطفال الذين أسيئت معاملتهم ، يتجه نحو القتل ، والسرقة، والاغتصاب ، أو ارتكاب جرائم العنف المختلفة في المجتمع(13).

ب-سوء معاملة الزوجة Spouse Abuse :

عرفت مظاهر العنف بين الزوجين منذ زمن طويل ، لدرجة أنها أصبحت تشكل جزءا من الحياة الزوجية. والزوجات هن الضحايا لهذا العنف في أغلب الأحيان. غير أن سوء معاملة الزوجة في أيامنا الحاضرة يشكل موضوعا جديرا بالاهتمام من جانب الباحثين والمختصين الاجتماعيين.

فالكثير منهم يعتقد بأن سوء معاملة الزوجة يرتبط بمعدلات العنف المرتفعة في نطاق الأسرة ، كما يوضح ذلك "موراي شتراوس M. Strauss" بقوله : "يبدو أن هناك معيارا ثقافيا كامنا ومسلماً به لدى أفراد الأسرة تجيز لهم الاعتداء بالضرب على بعضهم البعض" (14).

وتشير إحدى الدراسات في هذا المجال إلى أن أكثر من (2100) حالة زواج، وجد فيها أن 3.8% من الأزواج قد ضربوا زوجاتهم بعنف خلال الاثنى

عشر شهر الأولى من زواجهم. وإذا ما طبقت هذه النسبة على (47) مليون متزوج في أمريكا ، فإن ذلك يعني أن (1.8) مليون زوجة تقريبا تتعرض للضـــرب كـــل عام. ومن الملفت للنظر أن كثيراً من هؤلاء الزوجات لا يحاولن تـــرك أزواجهـــن رغم ما يتعرضن له من سوء المعاملة والإيذاء البدني . فقد توصل "وليم جود" W. Good إلى نظرية عن الطبقة الدنيا ، من حيث أن أطفالها قد ينشـــئوا مـــن خـــلال تجاربهم الأولى تنشئة ترى في العنف حلا مقبولاً لمواقف الصراع ، كما ترى فيـــه سلوكا يمكن تبنيه في حياتهم الزوجية المستقبلية[15].

2- **الطلاق** Divorce :

في الوقت الذي كانت فيه معدلات الطلاق منخفضة حيث بلغـــت (1.3) فـــي الألف في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً ، في الفترة ما بين 1930-1950 نجـــد أن المعدلات أخذت في التزايد بحيث بلغت (5.1) لكـــل ألـــف مـــن الســـكان فـــي السبعينات. وإذا ما حاولنا تفسير هذا الارتفاع المتزايد في معـــدلات الطـــلاق فـــي الوقت الحاضر على المستوى العالمي نجد أن الزيادة الهائلة في حـــالات الطـــلاق ترجع إلى الضغوط القاسية التي يعاني منها نظام الزواج والتـــي مـــن أبرزهـــا ، التحول من نمط الأسرة الممتدة إلى نمط الأســـرة النوويـــة ، وظهـــور مؤسســـات خارجية تقوم بالوظائف الأساسية التي تؤديها الأسرة. كما أن هناك عوامل أخـــرى تتعلق بمرونة الاتجاهات المتعلقة بالطلاق ، وصياغة القوانين الخاصة به ، بحيـــث أصبح الطلاق في ضوئها سهل المنال. ومن العوامل التي ســـاعدت علـــى زيـــادة معدلات الطلاق أيضاً ، العدد المتزايد من النساء المتعلمات اللواتي يستطعن تـــوفير حياة مناسبة لأنفسهن بعيداً عن أزواجهن (عن طريق العمل مثلاً).

كما أن هناك علاقة بين الدخل والمهني من ناحية والطلاق من ناحية أخرى. ففي دراسة قام بها "كليفورد كيركباترك" C. Kirkpatrick لقياس هـــذه العلاقـــة ،

استخلص منها أنه كلما كان مستوى المهنة مرتفعاً ، كان معدل الطــلاق منخفضــاً. فقد وجد أن معدلات الطلاق بين المهنيين والملاك والمديرين والموظفين الرســميين تحت معدلها الطبيعي ، بينما ترتفع هذه المعدلات عن الحد الطبيعــي بــين الخــدم والكتبة بوجه عام ، وتشييع ببين العمال على وجه الخصوص[16].

وقد تبين من الإحصاءات عن معدلات الطلاق في المجتمــع المصــري ، أن معدلات الطلاق تختلف من الريف إلى الحضر ، ففي إحصاء عام 1971 تبــين أن معدل الطلاق في الحضر يصل إلى 2.6 لكل ألف من السكان ، بينما يصــل إلــى 1.7% فقط في كل ألف من السكان في المناطق الريفية ، أي أن معــدل الطــلاق مرتفع في المدينة عنه في القرية ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب :

أ- أن المرأة في المناطق الريفية مازالت لا تعمل (في وظيفــة) ولــذلك فهــن تعتمد اقتصاديا بصورة مطلقة على الزوج ، ومن ثم فهي تحــرص علــى إرضائه عمليا يمثل عائلها الوحيد. وجدير بالــذكر ، أن الزوجــة الريفيــة بالرغم من فشل زواجها ، وعدم حبها لزوجها ، وتعاستها الشخصية تتحمل استمرار الزواج لاعتمادها اقتصاديا على الزوج وخوضــها مــن ســخط المجتمع وتقولات الناس إذا طلبت الطلاق. ومن ناحية أخرى قدي تحمــل الزوج الريفي أيضا المعيشة مع زوجته لشفقته عليها أو لكثيــر مــن عــدد أطفاله منها.

ب-تختلف ظروف الحياة في المدينة ، وهذا يبدوا واضحا من أن استقلالا أكثر النساء اقتصاديا يجعلهن أكثر جرأة في طلب الطلاق إذا أصبحت حيــاتهن من أزواجهن مستحيلة.

ج- يفرض أسلوب الحياة في المدينة على المرء أن يستغل الفرصة حرصا على

مصالحه واهتماماته الخاصة تلك التي قد يقف الزواج أحيانا في سبيلها.

د- تتعارض أحيانا متطلبات الأسرة مع ظروف العمل مما يخلف مواقف صراعية بين الأدوار الأسرية والأدوار المهنية.

ه- يرتبط الزوجان عادة بأنشطة عديدة خارج نطاق الأسرة مما يحول بينها وبين القيام بالالتزامات الأسرية بصورة مرضية ، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور المشاكل والمتاعب المعجلة بانهيار الزواج.

و- يحتمل أن يكون للتغيرات الاجتماعية المتلاحقة في المجتمع الحضري آثرها في إحساس الأفراد بعدم الاستقرار والقلق الدائم ، مما ينمي لديهم ، مشاعر الأنانية وعدم الرغبة ف التضحية من أجل الآخرين.

ز- يعتبر الزواج في الريف أمراً ضرورياً وحتمياً وعملاً من أعمال الأسرة ، ومحققاً لقيم جمعية ، أما في المناطق الحضرية فالزواج مسألة شخصية بحتة لا تعني سوى الشابين المقبلين على الزواج . ولذلك يكون الطلاق في الريف من الأمور الصعبة والمكروهة بينما يكو الأمر غير ذلك في المدينة[17].

ويرى كثير من علماء الاجتماع أن إقبال المرأة على طلب العلم وتحررها الاجتماعي والاقتصادي ، قد ولد لديها شعورا قويا بالتمرد على سلطة الرجل التقليدية ، وقد تبين عند محاولة التحقق من هذا الافتراض على المجتمع المصري أن 73.9% من حالات الطلاق تقع بين الأميين ، وأن 34.9% منها تقع بين الأميات ، ولما كانت هذه البيانات تؤكد أن حالات الطلاق تزداد بين الأميين والأميات ، فإن هذا يعني أنه كلما زاد حظ الزوجة أو الزوج من التعليم ، ازدادت مسئولياته نحو أسرته ، وكان أكثر ترددا في قبول مبدأ هدمها وطلب الطلاق،

ويتفق هذا مع ما ذهب إليه بعض علماء الاجتماع من أن المتعلمين والمتعلمات أكثر نفورا وكرهاً للطلاق ، وأكثر من غيرهم كذلك في تحمل الالتزامات الأسرية.

3- البنوة غير الشرعية Illegitimacy :

من المعروف أن هناك مجتمعات – قائمة بالفعل – لا يعتبر الزواج فيها أمرا ضروريا لإثبات " الأبوة" Parenthood ففي أجزاء من أفريقيا الغربيــة ، مــثلا ، يمكن للمرأة أن تحمل طفلاً "خارج نطاق الزواج" Wedlock ولا يلحــق بهــا أو بطفلها أي "وصمة عار" Stigma ، طالما أن هناك تأكيدا معقولا حولا هوية الأب. كما أن هناك مجتمعات أخرى لا تجد حرجاً أمام وجود الأطفال غيــر الشــرعيين فيها، وهي مجتمعات لا تتوافر فيها جزاءات قانونية ضد الأبناء غيــر الشــرعيين. وكلك الحال بالنسبة للدول الاسكندنامية (السويد ، والنرويج والدانمرك)، التي يتمتع فيه الأبناء غير الشرعيين بنفس الحقوق التي يتمتع بها الأطفال الشرعيين ، وهــذا يرجع إلى ما يشيع في هذه المجتمعات من "إباحية جنسية" Promiscuity بشكل لا يعاقب عليه القانون[18].

غير أن الأمر – رغم ذلك كله – يختلف في مجتمعات أخــرى ، كمــا هــو الحال في المجتمعات الإسلامية ، حيث يعتبر الحمل قبل الزواج وصمة عار كبرى في جبين المرأة الحامل ويثير غضب المجتمع وسخطه لأنه يــدل علــى ممارســة سلوك جنسي خارج نطاق الحياة الزوجية ،وهو سلوك غير شــرعي. مــن هــذا المنطلق ، لا تزال هذه المجتمعات تتوقع أن يكــون لكــل طفــل يولــد أبــوان ، مصروفات ، وما دون ذلك يقابل هذا الوضع باحتقار اجتماعي ، لأن الطفل – فــي هذه الحالة – يكون أبنا غير شرعي.

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الدلائل الحالية تشير إلى أن هناك قبولاً متزايداً

للأبناء غير الشرعيين لدى بعض المجتمعات – كما ذكرنا سابقاً - وأن الحديث عن المشكلات الاجتماعية الخاصة بالأبناء غير الشرعيين لا ينحصر في هؤلاء الأبناء بقدر ما ينصب بشكل أساسي على وجود عدد كبير من الأسر "وحيدة الأبوين" One Parent وبخاصة تلك الأسر التي تتولى أمرها نساء غير قادرين على تحقيق مستوى معيشياً مناسباً لهن ولأطفالهن ، بوجه خاص نساء الطبقة الفقيرة في المجتمع.

4- **عدم التوافق العاطفي الجنسي** :

يعتبر عدم التجاوب أو التوافق الجنسي بين الزوجين فشلاً في تحقيق السلوك المتناسق الذي يعبر عن العاطفة ، وكثيراً ما يتحول الصراع بين الزوجين في مجال السلوك العاطفي والجنسي للزوج والزوجة مضافاً إليه اختلاف المعايير الثقافية لكل منهما عن العلاقة العاطفية بين الزوجين ، وتظهر التوترات الجنسية عادة في وقت واحد ، ولو أنه يحدث أحياناً أن يكون الزوجان عاطفياً ، لكن غير متفقين من الوجهة الجنسية. وقد بينت بعض الدراسات أن هذا الفشل يؤدي لا محال إلى الصراع والتوتر – بل أنه قد يؤدي إلى ازدياد درجة الخلافات ووصولها إلى نقطة يصعب معها التوفيق بين الزوجين ، ويصبح لامفر من حل رابطة الزواج.

وقد بينت الدراسات العديدة أن الفشل في الحصول على الإشباع الجنسي والعاطفي يؤدي إلى الصراع والتوتر ، وقد يحدث ذلك نتيجة سوء صحة أحد الزوجين أو اختلافهما في مدى قوة الرغبة الجنسية ، ومدى رغبتهما في التعبير العاطفي السابق للعلاقة الجنسية أو التثبيت أو الانتكاس إلى مرحلة سابقة من مراحل النمو النفسي الجنسي.

وبالرغم من أن الحب يعتبر في الأساس ظاهرة نفسي وعاطفية ، مثله في

ذلك مثل الإنجاب الذي يعتبر ظاهرة بيولوجية ، إلا أنه لم يحظ باهتمام كبيـــر فـــي كتابات علم الاجتماع ، ومع ذلك فالحب مثل الإنجاب أو التكاثر يمكن النظـــر إليـــه من منظور أوسع بالتركيز على أنماطه البنائية التي عن طريقها تتمكن المجتمعـــات من السيطرة عليه.

ويرى وليام جود Goode أن المادة المطبوعة عن الحب ، يمكـــن تصـــنيفها إلى أربعة مجموعات هي :

(1) **الشعر والإنسانيات والأدب والكتابات الجنسية** :

وتصور معظم الكتابات الأدبية الحب كتجربة غامرة طاغيـــة ، ويلاحـــظ أن الكتاب في هذا النوع من الكتابات يلجئون إلى استثارة تعاطفنا ومشاركتنا الوجدانية مع ما يكتبون ، بما يتيحونه للقراءة من كشف لحياة الآخرين الخاصة.

(2) **النصائح الزواجية** :

تصور معظم الكتابات الواسعة الانتشار عن الحب أن المجتمعـــات الغربيـــة تؤكد على أهمية الحب الرومانتيكي وعدم أهميته في المجتمعات الشرقية بصـــورة عامة ، ويرجع ذلك إلى اختلافات جوهرية عند كل منهما. والفرق وسيطرة ورقابة الوالدين وتحف نظرة المجتمع ، تضع جميعاً عوائق عديدة أمام العواطـــف. ومـــع ذلك تختلف النظرة إلى الحب باختلاف الطبقة التي تنتمي إليها الأســـرة ، فـــالأفراد في أسر الطبقات الفقيرة يعتبرون تبادل الحب غير أساسي في اختيار شريك الحياة (الحب يأتي بعد الزواج) ، وقد يكون الحب في رأي البعض حباً من طرف واحد، كأن يقع الشاب في حب فتاة دون أن تبادله هي نفـــس الشـــعور. ولهـــذا تتذبـــذب النصائح التي تقدم لمن يقبلون على الزواج بين الاتجاهات المتحررة والاتجاهـــات المحافظة في نظرتها لمشروعية أو أهمية الحب كأحد أسس الزواج الناجح.

(3) **الأهمية البنائية للحب** :

قدمت جماعة من الكتاب بعض القضايا التي تعالج وظائف الحب والظــروف التي من خلالها تنمو علاقاته وتنطوي هذه القضايا على أقوال مثل : "الحب كمقدمة عامة أو كأسس للزواج أمر نادر" ، أو "الحب تعبير أو هــدف للجــنس المكبــوت" ولكن في المجتمعات التي تسود فيها المودة والصداقة الحميمة بين الآباء والأبنــاء ، يكون تبادل الحب مع الآخرين ضروريا من أجل حث الطفل على تحريــر نفســه ومحاولة التخلص من الارتباط الشديد بوالديه ... الخ.

(4) **الرؤية الانثروبولوجية** :

تتجاهل وجهة النظر الانثروبولوجية الحب كعامل له أهميتــه فــي الأنمــاط القرابية ، ويدعي كثير من الانثروبولوجيين أن طبيعة الحب ووظائفــه بدعــة لــم تظهر سوى في المجتمعات الغربية ، ويؤكدون أنهم لم يجدوا ما يدل علــى وجــود هذه العاطفة في المجتمعات البدائية التي قاموا بدراستها . ولكن على الرغم من هذا الرأي المضاد فالحب موجود بكل المجتمعات وإن اختلفت صوره من مجتمع لأخر، ونظراً لأهميته ودوره الذي يؤديه في العلاقات بين الجنسيين فإنه يخضع لســيطرة المجتمع [19].

سادساً:خصائص الأسرة العربية :

الأسرة هي الوحدة الأساسية في بناء المجتمع ، فالمجتمع هو مجموعــة مــن الأسر التي تضم أفراد المجتمع ، ويستمد المجتمع استقراره وتقدمه مــن اســتقرار وتقدم الأسرة التي تمثل العمود الفقري في جسم المجتمع ، ولذلك عنيــت الــديانات السماوية والدساتير والقوانين الوضعية بتنظيم شئون الأسرة ، وبضــمان التــرابط والتماسك بين أعضاء تلك الجماعة الأساسية في المجتمع.

وإذا ألقينا نظرة سريعة على أموال وخصائص الأسرة العربية في التاريخ الحديث ، نلاحظ أنها تمر في مرحلة تغير شاملة سواء في حجمها أو وظائفها أو نظم الزواج المتعلقة بها. وفيما يتعلق بخصائص الأسرة العربية يمكن عرض أهم تلك الخصائص فيما يلي:

(1) **الأسرة العربية أسرة إسلامية** :

يرجع التشريع الاجتماعي للأسرة العربية إلى أحكام الشرائع الدينية السائدة في المجتمع العربي ، ولما كانت الديانة الإسلامية هي دين الأغلبية العظمى من الأسر العربية ، فإنه يمكن التعميم بأن الأسرة العربية أسرة إسلامية ، وترتب على ذلك وحدة الأسرة العربية في جميع مناطق المجتمع العربي فيما يتعلق بالركائز الأساسية. وتزخر المكتبة العربية بالمؤلفات القيمة لعلماء المسلمين المتخصصين حول العلاقات الأسرية في الإسلام[20].

قد نظم الإسلام شئون الأسرة الإسلامية في صورة فاضلة راقية ، وضعها في مكان الصدارة بالنسبة للجماعات المكونة للمجتمع ، فالأسرة أساس المجتمع ، وتنشأ الأسرة عن طريق علاقة الزواج ، والزواج في الإسلام عقد رضائي لا إكراه فيه ويجب أن يستوفي شرائط صحته من إيجاب وقبول وشهود. وقد شجع الإسلام على الزواج واعتبره واجبا اجتماعياً وراحة وسكنا للمسلمين ،وسبيل مودة ورحمة بين الرجال والنساء ، ويتضح ذلك في الآية الكريمة التالية ، قال الله تعالى في كتابه الكريم : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" [21].

وأوصى الإسلام بأن يختار كل من الزوجين شريك حياته على أساسين ثابتين وهما الدين والخلق ، وحدد الإسلام نظام المحارم في الزواج هدف المحافظة على

حرمة النسب ، وحرمة المصاهرة ، وحرمة الرضاع.

وقد حرص الإسلام على أن يكون رضا الزوجين من أهم مقومات الأسرة الإسلامية وذلك من خلال توافر الإرادة الكاملة لكل منهما. كما سن الإسلام الأشهاد والإشهار كشرطين من شروط صحة عقد الزواج ، وذلك حماية للأسرة الإسلامية في بداية تكوينها ، وحفظ الحقوق والواجبات المترتبة عليها.

ويعد المهر ، وهو مال يقدمه الزوج لزوجته على أنه هدية لازمة وعطاء واجب ، من المبادئ الشرعية لصحة عقد الزواج في الأسرة الإسلامية ، ولم يحدد التشريع الإسلامي قيمة معينة للمهر ، فلم يبين أقل المهر أو أكثره ، وإنما ترك ذلك وفق مقدرة الرجل ، وحث الإسلام على عدم المغالاة في المهور، بل لقد حدد بعض الفقهاء المهر بدرهمين أو درهم[22].

وتسمح الشرعية الإسلامية بتعدد الزوجات ، بحد أقصى وهو أربع زوجات ، بشرط العدل بين الزوجات ، وتمثل الأسر متعددة الزوجات شريحة ضئيلة من الأسر العربية ، فإن الغالبية العظمى منها هي أسر صغيرة ذات الزوجة الواحدة.

وتسمح الشريعة الإسلامية بالطلاق ، وهو حل العصمة المنعقدة بين الزوجين وإنهاء العلاقة الزوجية ، على أن الطلاق لا يقع من أي من الزوجين متى شاء. وليس هو أول علاج ولا يتم دفعة واحدة ، بل هناك ضوابط وخطوات ومراحل وفرصة للرجوع والمعاودة ، حيث وضعت الشريعة الكثير من القيود والتبعات التي تجعل الرجل يفكر ألف مرة قبل أن يوقع الطلاق[23].

(2) **الأسرة العربية أسرة أبوية ممتدة** :

كانت الأسرة الأبوية الممتدة هي الشكل الأسري السائد في المجتمع العربي إلى عهد قريب ، وتتكون من الزوج وزوجته أو زوجاته وأولاده الذكور وعائلاتهم

وأبنائهم وبناته غير المتزوجين ، وقد يحدث أن تجمع كذلك أشقا الزوج وعـائلاتهم وشقيقاته ما دام لم يتزوجن أو في حالة ترمل أو طلاق.

وتتميز الأسرة الممتدة العربية بكبر حجمها ، ويعيش جميع أفرادها في بيت واحد ، وتجمع في نطاقها عادة ثلاثة أجيال ، وفي أحيان نادرة تجمع كذلك الجيل الرابع. وتستمر الأسرة الممتدة في الوجود طالما أن الرجال يتناسلون ويعيشون مع آبائهم في بيت واحد ، ولذلك قد تستمر مئات السنين. وتحتفظ الأسرة الممتدة باسم الجد الأول من خلال عادة تسمية أكبر الأبناء باسم الجد عن طريق الأب. ويميل العرب إلى مناداة الأب باسم أكبر أبنائه ، فيقولون : أبو أحمد وأبو حسين ، مما يترتب عليه استمرار اسم الجد الأول عبر الأجيال المتعاقبة. ومن أهم العوامل التي ساعدت على استمرار ملكية الجد وهو رب الأسرة الممتدة لثروة الأسرة من أرض وماشية وعقار طول فترة حياته ، ولذلك كان الأبناء بعد الزواج والإنجاب لا يمتلكون شيئاً طوال بقاء الجد وهو رب الأسرة على قيد الحياة ، مما يشجع الأبناء وعائلاتهم على البقاء في بيت الأسرة الممتدة لتوافر أسباب العيش في كنفها ، حيث كان الجد يتولى الإنفاق على جميع أفراد أسرته في نظام الأسرة الأبوية الممتدة ، ويتمثل في أن يسكن الشاب بعد زواجه في بيت والده ويستمر فيه بعد إنجاب الأطفال. وكان أفراد الأسرة الممتدة يتعاونون في العمل بصورة جماعية في توفير ما تحتاجه الأسرة من ضرورات الحياة، وكان الجد ، وهو صاحب الثورة ، يقود عملية تنظيم وتوزيع العمل على أعضاء الأسرة. استمر هذا النظام الأسري هو السائد عند العرب حتى بداية القرن الحالي ، وقد صاحب هذا القرن تغيرات اجتماعية كبرى أدت إلى ظهور وانتشار نظام أسري جديد وهو الأسرة الصغيرة أو الأسرة النواة ، ومع انتشار النظام الأسري الجديد ، وخاصة في المدن ، أخذ يتقلص تدريجياً نظام الأسرة الأبوية الممتدة. ولكن لا يزال نظام الأسرة الممتدة

موجوداً بدرجات متفاوتة ، في القرى والبوادي العربية.

(3) الأسرة العربية كأسرة صغيرة :

أخذ نظام الأسرة الصغيرة ينتشر بمعدلات سريعة في جميع أقطار المجتمع العربي في فترة الخمسين سنة الماضية ، بحيث يمكن القول بأن الغالبية تعيش اليوم في ظل الأسرة الصغيرة بينما أصبحت الأسرة الممتدة الكبيرة تمثل القلة في العائلات العربية. وتتكون الأسرة الصغيرة من الزوج والزوجة وأطفالهما ، وهم يعيشون في بيت مستقل. ويجعل هذا التغير الهام في نظام الأسرة العربية إلى تغيرات اجتماعية كبرى شملت جميع نواحي الحياة بالمجتمع العربي منها:

(أ) الضغط السكاني في الريف العربي وانخفاض المستوى الاقتصادي والاجتماعي في القرى الزراعية والبوادي العربية ، ويترتب على الزيادة السكانية الطبيعية في هذه المناطق ، كثرة عدد السكان ، ولم تصاحب هذه الكثرة زيادة مماثلة في فرص العمل التي تسمح باستيعاب هذه الزيادة السكانية ، وفيما يتعلق بالملكية الزراعية استمر تقسيم الأرضي الزراعية على الأبناء والبنات من جيل إلى جيل بحيث صغر حجم الملكيات الزراعية تدريجياً ، واختفت عند الكثير من الأسر الممتدة ، مما دف بشباب هذه الأسر إلى البحث عن موارد رزق جديدة خارج القرية وخارج نطاق الأسرة الممتدة ، وكان الشاب العربي عندما يجد عملا في المدينة المجاورة يستقر فيها ويحضر زوجته وأولاده ويعيشون في أسرة صغيرة ، وبالتالي ينفصلون عن الأسرة الممتدة ، وهكذا أخذت الأسرة الممتدة الواحدة تنقسم إلى أسر صغيرة تعيش في المدن أو القرى المجاورة حيث يتوفر لها مورد الرزق.

(ب) النمو الحضري السريع وانتشار المدن في عام 1950 كان سكان الحضر

العرب يبلغون 18 مليون عربي يمثلون 25% من السكان العــرب ، وارتفــع عددهم في عام 1975 إلى 60مليون حضري عربي يمثلون 42% من السكان العربي ، ثم ارتفع عام 1990 إلى مائة مليون حضري عربي. وهكــذا يســير التوسع الحضري السريع إلى ارتفاع معدلات الهجــرة الداخليــة فــي الــدول العربية، فقد ترتب على توافر فرص العمــل فــي المــدن ومميــزات الحيــاة الحضرية أن هاجرت أعداد ضخمة من ســكان القــرى الزراعيــة والبــوادي العربية إلى المدن القريبة ، ولا يسمح نظام المساكن الحديثة في المــدن بنظــام العائلة الممتدة ، ولذلك اضطر المهاجرون إلى المعيشة فــي نطــاق الأســرة الصغيرة. وهكذا فإن التوسع الحضري السريع الذي نشاهده اليوم فــي جميــع العوامل التي أدت إلى انتشار نظام الأسرة الصغيرة وتقلــص نظــام الأســرة الممتدة.

(4) **زواج الأقارب وخاصة أبناء العمومة :**

يميل العرب منذ القدم إلى الزواج من الأقارب ، ويسير بيــنهم نظــام زواج أبناء العمومة، وكان هذا النظام نظام الزواج السائد في الأسرة العربية إلــى عهــد قريب وخاصة في القرى الزراعية والبوادي العربي ، ويطبق العرب هــذا النظــام بدرجات متفاوتة ، يشير الحد الأقصى إلى ضرورة زواج البنت من ابــن عمهــا ، بينما يشير الحد الأدنى إلى زواج البنت داخل العشيرة. وقديما كــان يعتبــر زواج البنت بابن عمها واجب في بعض العشائر البدوية العربية ويمكن لابن العم الحجــز على بنت عمه كما يحق له قتل بنت عمه إذا رفضت الزواج منه[24].

ولا يستند هذا النظام في الزواج على الشريعة الإسلامية ولكنه يمثل نظامــا اجتماعيا صاحب نظام الأسرة العربية الممتدة. فإن الشريعة الإسلامية تــرفض أي نوع من الإجبار في الزواج ، ولاشك أن نظام زواج أبناء العمومة يتضمن الكثيــر

من الإجبار في الزواج ومن الثابت شرعاً أن من حق المرأة المسلمة أن تستشار قبل تزويجها ، فلقد فتحت الشريعة الإسلامية المرأة حرية اختيار شريك حياتها وجعلت إذنها شرطاً في صحة زواجها . ولا تشير أحكام الشريعة المتعلقة بشروط حسن اختيار الزوجين إلى زواج الأقارب مطلقاً ، فإن أهم ما ينبغي مراعاته في اختيار الزوجة : أن تكون ذات دين وخلق ، وأن تكون ولوداً لأن الهدف الأساسي للزوج هو الإنجاب.

حاول العلماء تفسير انتشار نظام الزواج من أبناء العمومة عند العرب منذ القدم ، وظهرت تفسيرات عديدة في هذا الموضوع ، منها حفظ الإرث وممتلكات العشيرة داخلها ، والمحافظة على نقاء وصفاء دم العشيرة ، ويمكن أن نضيف بعض الأسباب الأخرى حول وجود وانتشار نظام الزواج عند الأقارب عند العرب وهي :-

1- تأصل قيمة عدم الاختلاط وقيمة العرض عند العرب ، فقد ترتب على ذلك عدم إتاحة فرصة رؤية الفتيات وسماع أخبارهن للشباب إلا في أضيق الحدود، وتتمثل هذه الفرصة الضيقة في رؤية قريباته من بنات العم أو الخال فكان يتزوج واحدة منهن.

2- في نظام الأسرة العربية الممتدة ، كان الشاب ينشأ وينمو في تلك الأسرة مع بنات عمه في بيت واحد ، مما يساعد على ظهور وتولد ميول عاطفية منذ الصغر بين الشاب وبنت عمه.

3- السلطة المطلقة للأب وقوة العصبية في المجتمع العربي ، وصلت السلطة المطلقة للأب وقوة العصبية أي العلاقة القرابية على أعلى صورها في الأسرة العربية الممتدة القديمة ، ومن الممارسات التي تعبر عن قوة تلك القيم

واستمرارها أن يزوج الشقيقان أولادهما الذكور لبناتهما ممـــا يترتـــب عليـــه ترسيخ تلك القيم واستمرارها وكان الزواج يتم في سن مبكرة ، فقـــد يحـــدث الزواج والفتاة في سن الثانية عشر أي في مرحلة اللعب بين الصـــبية، وكـــان يتزوج هؤلاء الصبية وكأنهم يمارسون أحدى ألعابهم الشعبية وترتب على ذلك انتشار نظام الزواج من الأقارب.

(5) تغير بعض عادات الزواج :

إن الأسرة العربية أسرة إسلامية ، تخضع لأحكام الشريعة الإســـلامية فيمـــا يتعلق بالمعوقات السياسية ، وتتميز بعض تلك المقومات الشـــرعية بالثبـــات مثـــل الإشهاد والإشهار والمهر وحق الطلاق ، وتتميز أحكام شرعية أخـــرى بالمرونـــة والتنوع في النظم العائلية مثل وحدانية الزوجة أو تعدد الزواج. وتوجد إلى جانـــب تلك المعوقات الشرعية الثابتة والمرنة في الأسرة العربية مجموعة مـــن العـــادات الاجتماعية التي ترتبط بالأحكام الشرعية ، وإنما ترتبط بظروف الحياة الاجتماعيـــة الخاصة بكل مجتمع. ولقد حدثت تغيرات واضحة في تلك العادات الخاصة بالزواج في الأسرة العربية أهمها ما يأتي :-

أ- ارتفاع سن الزواج سواء بالنسبة للفتيان أو الفتيات العربيات ، فقـــد ترتـــب على انتشار التعليم في المدن والقرى واهتمام الشباب بإيجاد العمل الثابـــت قبل البحث عن زوجة أن ارتفع سن الزواج.

ب-انخفاض عدد حالات تعدد الزوجات في المدن العربية خاصة ، فقد ترتـــب على ضيق السكن في المدن ، وزيادة الأعباء الاقتصادية الملقاة علـــى رب الأسرة أن ضعف الاتجاه نحو تعدد الزوجات وأصبح أمراً نادراً في غالبية المدن العربية.

ج- ضعف عادة الزواج من ابن العم ، وخاصة في المدن العربية ، ولكنها لا تزال موجودة في القرى والواحات العربية حيث يكون لابن عم الفتاة الحق في الزواج منها ، ولا تتفق تلك العادات مع الحياة العصرية حيث يكثر فيها الحركة والتنقل ويصعب تواجد الأسر التي تربطها أو شارج القرابة في مكان واحد ، هذا بالإضافة إلى تدخل عنصر الاختيار الفردي في الزواج.

د- ظهور مبدأ الاختيار الفردي في الزواج ، وخاصة في المدن العربية ، حيث لم يعد الزواج علاقة بين عائلتين وإنما علاقة بين شخصين. وهكذا بدأ الفتى يختار عروسة ، وبدأت الفتاة تظهر إرادتها في قبول أو رفض الشاب المتقدم إليها ، ولكن لا تزال تنتشر في الريف عادة قيام الأب والأم أو الجد باختيار عروس المستقبل للابن.

ه- انتشار قيم اجتماعية جديدة فيما يتعلق بالزوج المثالي والزوجة المثالية ، أهم تلك القيم هي التعليم ، ونوع الوظيفة التي يشغلها الشاب أو الشابة ، ولا تزال قيم الأخلاق والعفة والإخلاص في قوتها ، وهذه فضائل يجب الحفاظ عليها.

المراجع:

(1) انظر : Francis, J. Brown ; Educational Sociology 1975, P. 212.

(2) انظر: John, N.B. Hewitt, status of women in Iroquois polity, 1933.

(3) علي محمد شلتوت ، علم الاجتماع التربوي ، مطبعة جامعة الإسـكندرية ، 1970، ص ص 167: 179.

(4) انظر , Sumner, W. & Keller, A., The Science of Sociology 1929, P. 1946.

(5) Ogburn, W., Decline of the American family, in E.G Payne, Readings in educational sociology, 1932, P. 252.

(6) Becker, H & Hill , R., Family , Marriage and parent hood, 1948, P. 47.

(7) سناء الحولي ، الأسـرة والحيـاة العائليـة ، دار المعرفـة الجامعيـة ، الإسكندرية ، 1991، ص ص 76 : 77.

(8) زيدان عبد الباقي ، الأسرة والطفولة ، مكتبة وهبـة ، القـاهرة ، 1979، ص ص 32: 38.

(9) Fairchild, H. P. 1 dictionary of sociology, 1944, P. 285.

(10) Zorbaugh, H. Personality and social adjustment, Journal of Educational sociology. June, 1958, PP. 613 – 625.

(11) انظر .Ibid, PP. 615-616

(12) علي محمد شلتوت ، مرجع سابق ، ص ص 192: 206.

(13) Julian Joseph Social Problem , 3rd Edition , Prencic-hall,

New Jersey, 1980. PP 400-404.

(14) Celeste Macleod, Legacy of Battering, The nation , June, 1974, PP. 622-752.

(15) Murray, A. Strauss, Wife Beating: How common and why? Victim logy, Vol, 2 N. 3. 1977. P 443.

(16) Julian Joseph. Op. cit, PP 406-407.

(17) Clifford Kirkpatrick, The Family. N.Y. 1955, P. 529.

(18) سناء الخولي ، الزواج والعلاقـــات الأســـرية ، دار النهضـــة العربيـــة ، 1983، ص ص 270: 268.

(19) Julian Joseph , Op. Cit , 410 : 412.

(20) سناء الخولي ، الزواج ، مرجع سابق ، ص ص 165: 167.

(21) انظر على سبيل المثال :

- زكي الدين شعبان ، الزواج والطلاق في الإسلام، القومية للطباعة والنشر، 1964.
- محمد عبدالسلام محمد ، العلاقات الأسرية في الإسلام ، الفلاح ، الكويت ، 1981.
- أحمد الغندور، الأحوال الشخصية في التشريع الإسلامي ، جامعة الكويت ، 1975.
- أحمد الكبيسي، فلسفة نظام الأسرة فـــي الإســـلام، مكتبـــة المكتبـــة،العين، 1979.

(22) محمد السلام محمد،العلاقات الأسرية في الإسلام،مرجع سابق،ص 120.

(23) نفس المرجع ، ص ص 218: 220.

(24) عباس أحمد، المجتمعات اليدوية، مكتبة المكتبة،العين، 1981 ،ص 74.

الفصل الثالث

التنشئة الاجتماعية والنمو الاجتماعي للطفل

أولاً:مفهوم التنشئة الاجتماعية.

ثانياً:نظريات التنشئة الاجتماعية.

ثالثاً:العمليات الاجتماعية لتنشئة الطفل.

رابعاً:العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي للطفل.

خامساً:مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

سادساً:دراسات تطبيقية حول التنشئة الاجتماعية والطفل.

أولاً:مفهوم التنشئة الاجتماعية (*):

التنشئة الاجتماعية موضوع محوري في علم النفس الاجتماعي لأنه يــرتبط بأصول وديناميات السلوك الاجتماعي وما يتعرض له من تــأثيرات بفعــل أنمــاط التنشئة واختلافها من حضارة أو ثقافة لأخرى.

وسوف نتناول مفهوم التنشئة الاجتماعية بشكل عام حتى يتضح لنا الإطــار العام لهذا المفهــوم. ويطلــق نيوكومــب (NewComb) 1959 علــى التنشــئة الاجتماعية بعض المسميات التي تدل على مفهومها مثل مسمى الاندماج الاجتماعي ، ومسمى التطبيع الاجتماعي ، والتي لا تخرج كلها في مضــمونها عــن كونهــا عمليات نمو وارتقاء اجتماعي يتطور خلالها الأداء السلوكي للفرد من سلبية مجردة إلى إيجابية موجهة في المواقف الاجتماعي المتباينة التي يمر بها منذ طفولته إلــى شيخوخته ، وفقا لما يكتسبه من خبرات سارة أو مؤلمة مــن خــلال تفاعلــه مــع المحيطين به في البيئة التي يعيش فيها ، متأثرة بما تتميز شخصيته من خصــائص بيولوجية تختلف فيها عن غيره من البشر. وبالتالي تعتبر التنشئة الاجتماعيــة مــن العوامل الرئيسة التي تسهم إلى حد كبير في تشــكيل شخصــية الإنســان وتوجيــه سلوكه[1].

وترى "فوزية دياب" أنها العمليات التي يصبح فيها الفرد واعيــاً للمــؤثرات الاجتماعية وما تشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط . وما تفرض من واجبــات على الفرد حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين ويسلك معهم مسلكهم في الحياة[2].

---

* يطلق على عملية التنشئة الاجتماعية أحياناً عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع والاندماج الاجتماعي.

أما "عباس عوض" فيرى أنها عملية تستهدف تحويل الفرد من كائن بيولوجي تتمثل فيه الصفات الإنسانية والاجتماعية ، وعلى ذلك فالتنشئة الاجتماعية هي عبارة عن تلك العمليات الاجتماعية التي يقوم بها الشخص والتي تأتي بدورها بالناتج الاجتماعي الذي يتم اكتسابه والمتمثل في مجموعة الاتجاهات والقيم والسلوك المقبول في ظل نص اجتماعي معين[3].

ويرى الأشول (1978) أن التنشئة الاجتماعية عملية يكتسب الأطفال من خلالها الحكم الخلقي والضبط الذاتي حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسئولين في مجتمعهم [4].

فالطفل نتيجة التفاعل المتصل والمستمر بالوالدين يقوم بعده سلوكيات اجتماعية مكتسبة ومتعلمة مثل أدأب المائدة وغيرها ، وباطراد النمو تتطور منه نتائج هذه العمليات التي تتخذ شكل أنماط سلوكية أكثر تركيبا ، والتي تعد هامة لإعداده ، ليكون عضوا فعالا في أسرته ، وفي المجتمع.

ومن هنا نجد أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية ذات جانبين : الأول كفي والثاني تشجيعي ، فهي وأن كانت تقوم على الضبط ، وكف الطفل عن فعل كثير مما يشتهي ، فإنه في الوقت نفسه تشجعه على أن يتعلم كيف يحقق كثيرا مما يريد، وعلى هذا النحو تقيم التنشئة الاجتماعية في نفس الطفل بذور سلطة داخلية هي (الضمير) الذي يأخذ في النمو ، ويقوى بالتدريج مع نمو الطفل ونضوجه خلال مراحل نموه المتعاقبة[5].

وبعد عرض التعاريف السابقة لمفهوم التنشئة الاجتماعية نستطيع أن نستخلص منها ما يلي: [6]

1- أنها عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد.

2- أنها عملية تطبيع للمادة الخام ، يتشكل من خلالها شخصية الفرد.
3- أنها عملية استدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية.
4- أنها عملية تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي.
5- أنها عملية اكتساب الإنسان صفة الإنسانية.
6- أنها عملية تعمل اجتماعي يتعلم الفرد فيها عـــن طريـــق التفاعـــل الاجتماعي والأدوار الاجتماعية والمعايير التي تحدد هذه الأدوار.
7- أنها عملية نمو يتحول من خلالها الفرد من طفل يعتمد على غيـــره ، إلى فرد ناضج يترك معنى المسئولية الاجتماعية.
8- أنها عملية مستمرة من الطفولة إلى المراهقة وحتى الشيخوخة.
9- أنها عملية دينامية تتضمن التفاعل والتغير.
10- أنها عملية معقدة تستهدف مهام كبيرة ، وتحتـــاج إلـــى أســـاليب ووسائل متعددة لتحقق ما تهدف إليه.

ثانياً:نظريات التنشئة الاجتماعية :

سوف نعرض لأهم نظريات التنشئة الاجتماعية من وجهة نظـــر كـــل مـــن ايركسون ، وبياجيه وسيرز ، وموررر.

1- **مراحل التنشئة الاجتماعية عند إيركسون** Erikson (1956) :

يذهب إيركسون إلى أن عملية التطبيع الاجتماعي تمـــر بثمـــان أطـــوار أو مراحل هي :

1) تعلم الثقة في مقابل عدم الثقة.
2) تعلم الذاتية أو الاستقلالية في مقابل الشعور بالعار.
3) تعلم المبادأة في مقابل الشعور بالذنب.

4) تعلم الاجتهاد في مقابل الشعور بالنقص.
5) تعلم الهوية في مقابل اضطرابات الهوية.
6) تعلم الصداقة الحميمة في مقابل العزلة.
7) تعلم الإنتاجية في مقابل الاستغراق في الذات.
8) تعلم التكامل مقابل اليأس.

وتشمل المرحلة الأولى العام الأول أو الثاني ، وهي تماثل المرحلة الفمية لدى فرويد ، وتشمل المرحلة الثانية السنوات : من الثانية حتى السنة الرابعة من حياة الطفل، أما المرحلة الثالثة فهي تحتوى السنتين ما قبل المدرسة ، في حين تشمل المرحلة الرابعة على مرحلة سنوات المدرسة الابتدائية ، وقد تمتد أحياناً إلى المرحلة الابتدائية. أما بالنسبة للمرحلة الخامسة فهي تحتوي سنوات المراهقة من 13-23 سنة وتشترك معها في ذلك المرحلة السادسة.. أما المرحلة السابعة فتشمل مرحلة الشباب المبكر ، في يحن تشمل المرحلة الثامنة من مرحلة الشباب الناضج.

ونلاحظ أن هذه المراحل ليست إلا وصفا لفظياً لكيفية نمو الشخصية ذلك لأن المهم هو تحديد الظروف البيئية التي تساعد الطفل على نمو هذه الصفات الايجابية وغيرها[7].

2- **مراحل النمو المعرفي عند جان بياجيه** (Piaget) :

يقترح بياجيه أربع مراحل للنمو المعرفي تتم من خلالها عملية التنشئة الاجتماعية :

1) المرحلة الحركية : وهي تمتد من الميلاد وحتى سن (18) شهراً.
2) المرحلة ما قبل التفكير الإجرائي : وهي تمتد من سن (18) شهراً وحتى (7) سنوات.

3) مرحلة التفكير العياني:وهي تمتد من سن(7)سنوات وحتى سن(11) سنة.

4) مرحلة العمليات التصويرية : وهي تمتد من سن (11) سنة وحتى مرحلة الشباب.

ويقرر بياجيه أن ترتيب السنوات بهذا الشكل ليس أمرا فاصلا ، ولكن ترتيب المراحل هو الأكثر ثباتاً[8].

3- **مرحلة التنشئة الاجتماعية عند سيرز** (Sears) :

يقترح روبرت سيرز ثلاث مراحل للنمو تتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية هي :

1) مرحلة السلوك الفطري التي ترتكز على الحاجات البيولوجية الأولية والتعليم في طور الطفولة المبكرة ، وتشمل الشهور الأولى من حياة الطفل.

2) مرحلة النظم الدافعية الثانوية التي ترتكز على التعلم الذي يرتكز في الأسرة ، وتشمل معظم تأثيرات التنشئة الاجتماعية على الطفولة المبكرة وحتى سن المدرسة.

3) مرحلة النظم الدافعية الثانوية التي ترتكز على التعلم أبعد من الأسرة وهي تحوي مسائل النمو بعد الطفولة المبكرة.

ويتضح من نظرية سيرز أنها تقوم على التعلم سواء بالنسبة للنمو أو بالنسبة للتنشئة الاجتماعية[9].

4- **نظرية مورر** Mowrer (1960) :

وتعد نظري مورر العمود الفقري في عملية التنشئة الاجتماعية ، فهو يرى أن سلوك الكائن الحي ينقسم إلى نوعين :

الأول : انفعالي أو فسيولوجي ، واستجابة تخضع لسيطرة الجهاز العصبي المستقل، وهذه الاستجابات وقائية انفعالية تهدف إلى تجنب الألم الذي يتعرض له الكائن الحي.

الثاني : خاص بالاستجابات الواضحة أو الأدائية ، ويهدف إلى السيطرة على الموقف الذي يوجد فيه وضبط الظروف المحددة له ، وهو بالتالي يخضع لسيطرة الجهاز العصبي المركزي، ومن ثم تختلف سيكولوجية الانفعال جوهرياً عن سيكولوجية الأداء[10].

التنشئة الاجتماعية والطفل :

تعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات الاجتماعية للطفل ، فهي تحوله من كائن بيولوجي ، أو مادة إنسانية خام إلى كائن اجتماعي. فالطفل يترك حراً ودون توجيه في نموه ، وعليه تشكل التنشئة الاجتماعية السلوك الإنساني والاجتماعي للفرد ، إذ تصب الدوافع والقدرات في أنماط من السلوك.

والتنشئة الاجتماعية هي الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات الشخصية وهي العملية التي تتعلق بتعليم ما يجب وما لا يجب أن يفعله الفرد في ظل الظروف المختلفة. فهي تنسب أفراد المجتمع القيم والرموز الرئيسية للأنساق الاجتماعية التي يشارك فيها ، والتعبير عن هذه القيم والرموز في معايير تكون الأدوار التي يؤديها هو والآخرون ، كما تكسبه المهارات والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة – أي ثقافة المجتمع حتى تيسر له عملية التعامل مع البيئة الاجتماعية.

ويتمكن من أن يشارك أفراد الجماعة في العمل لتكوين جماعة ذات أهداف ونماذج اجتماعية ، وقيم معينة يحترمها الأفراد ويقدسونها ويرون أنه في العمل

على إبقائها خير ضمان لبقائهم.

وتعني التنشئة الاجتماعي إلى جانب ذلك تقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، فهي تؤدي إلى هوية تامة بين مصالح الأفراد ومصالح الجماعة ، بل تؤدي إلى هوية تامة بين مصالح الجماعة والجماعات الأخرى.

وقد ينظر إلى التنشئة الاجتماعية من زاوية "المسافة الاجتماعية" وهي التي تعني التعاطف الموجود بين أفراد الجماعة ، وهذا التعاطف قد يكون في صورة تقارب أو تباعد بين الأفراد ، وعلى قدر تقارب الأفراد وتباعدهم تكون درجة تنشئتهم الاجتماعية.

وتحدث التنشئة الاجتماعية في كل المجتمعات سواء كانت بدائية أو تقليدية أو متقدمة ، حيث لا يمكن لأي مجتمع أن يغفل الاهتمام والعناية بالصغار وتعتبر المؤسسات التي تتولى هذه العملية جزءً أساسياً في البناء الاجتماعي لكل المجتمعات، وهي تتمثل في الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق ، والتي هي وكالات المجتمع الأكبر في عملية التنشئة الاجتماعية.

وتبدأ المؤثرات الثقافية في شخصية الطفل منذ اليوم الأول من ميلاده ، وتؤثر الأم في الطفل عن طريق أسلوب معاملتها له في التغذية وطرق إطعامه فهناك بعض ثقافات تفضل الأطفال السمان ، وثقافات أخرى تفضل الأطفال الناحلين. والطفل منذ بداية الثانية على الأقل يستطيع أن يتكلم ، وبالتالي يكون قابلا لمزيد من التأثيرات التربوية المركزة من الأم ، ويبدأ معظم الآباء وعند هذا السن فرض أمور رئيسية من متطلبات التنشئة الاجتماعية فهم يبدأون في تعليم الطفل ضوابط السلوك ، ويفرضون قيوداً على أوجه النشاط التي يجدها الطفل ، ويطالبون بالكف عن أنواع السلوك التي يستمتع بها في لعبه، وهكذا نجد الطفل يطلب إليه

الكف عن إحداث الضجة والضوضاء عند تناوله الغذاء والكف عن العبث بطعامه والكف عن القفز على من يراه.

وينبغي أن يتم على يد الآباء حصول الطفل على أساسيات التربية من ناحية السلوك الخلقي ، وإن يتعلم كيف يتعامل مع الآخرين وكيف لا يستأثر لنفسه دون غيره من الصغر أو الكبار من أخوته وأخواته وكذلك أبويه بالأشياء والأشخاص ولا يربي الوالدين أطفالهم لكي يعيشوا في الأسرة فحسب ، بل أنهم يربونهم ليعيشوا في أماكن أخرى أيضاً. وتفعل المدرسة نفس الشيء ، ولهذا لا عجب إذا وجدنا كل مجتمع ينفق بعض مصادره المالية لإنتاج أفراد قادرين على أن يصبحوا كبارا يحترمون القانون ، وهكذا يمكن الحكم على الأطفال الذين لا يحترمون القانون بأن ذلك نتيجة لفشل التنشئة الاجتماعية[11].

وتحدد "هدى قناوي" ثلاث درجات لضبط دوافع الطفل وسلوكه هي :

1- المستوى العضوي : وتقصد به شعور الطفل باللذة والألم ، فالطفل يكرر ما يحدث له ارتياحا وما يشعر باللذة نحوه ، وتتكرر العادة نتيجة هذا التكرار المصحوب بالارتياح واللذة ، كما أن الطفل يكف تدريجيا عن فعل ما يحدث له مضايقة ويجلب له الألم ، وبهذا الشكل يضبط الطفل التبول والتبرز وكثرة البكاء. وهكذا تنمو لديه الأنماط الأولى للسلوك.

2- المستوى الاجتماعي : وهنا تكون شخصية الطفل قد أخذت في النمو ، حيث تتأثر شخصية الطفل في هذه المرحلة بالإيحاء والتقليد والإحباط ، كما تتأثر أيضاً بالأسرة والأصدقاء والسلطة العلا ، حيث تؤثر هذه المجموعة في ضبط السلوك وتنميته حسب معاييرها وقيمتها ومبادئها.

3- المستوى الثقافي : ويشتمل على الضبط في هذه الدرجة على الظواهر الثقافية

والآداب والأوامر ، والعرف وأنماط السلوك الرمزية المستخدمة[12].

هذا ويؤدي الاهتمام الزائد بالطفل إلى الاعتماد الشديد على الغير واعتقاده بأن مركز الكون ، فهو يغرس في نفسه بذور العناد والتسلط كذلك فــي تناولــه بالصــد والنبذ يفقده الثقة في نفسه ويكسبه مشاعر النقص ، ويجعله يلجأ إلى أسلوب التراجع والهروب من الحياة ، أو يتخذ العدوان وسيلة للتعبير والتعويض عن مشاعر النقص نظراً لأن الطفل في هذه المرحلة غالباً ما يكون نشطاً ميالا للانطلاق مغامراً تتغيــر اهتماماته بسرعة ، ويجد متعة في اكتشاف بعض المواقف والأمور.

إن التذبذب في معاملته بين أب يشجعه على الاستكشــاف وفحــص الأشــياء بنفسه ، وأم تحاول أن تحد من نشاطه بعض الشيء يجعله يميل إلى السلبية والعناد، ويجيب بلا اهتمام لكل طلب أو رغبة من رغبات والديه ، أما العلاقة التي تقوم على الحب المتزن الثابت غير المشروط التي تجد فيها العطف والحزم ، فهي التي تســهم في إكسابه فكرة عن نفسه تطابق الحقيقة ، وهي التي تطبع علاقاته بــالآخرين فــي المستقبل بطابع الثقة والأمان.

وبمرور الطفل في خبرات اجتماعية مختلفة ، كالأسرة والمدرســة وجماعــة الرفاق ثم المجتمع الأكبر يبدأ التعميم – أي أن ما كان اتجاها لشخص بعينه يصــبح اتجاها عاماً ، وبعملية التعميم هذه ، أي بكشف وتقبل الاتجاهات المشتركة في كــل موقف من المواقف يتحول الطفل إلى كائن اجتماعي.

وتتغير أساليب التنشئة الاجتماعية عادة للتوافق مع التغيير الحديث في أدوات الإنتاج ، وكل الأنساق البنائية ، فكل الأنساق تلعب دورا هاما في تشــكيل أســاليب التنشئة وتعديلها ، فهناك عوامل أيكولوجية وعوامل اقتصادية وعوامــل سياســية ، وعوامل دينية في عملية تنشئة الطفل.

ويتجلى التباين في أنماط التنشئة الاجتماعية من مجتمع لآخر ، بل أنـــه فـــي داخل المجتمع الواحد تختلف أساليب التنشئة الاجتماعية من طبقة لأخر. فقد عرض الباحث الأمريكي برونفبزنر ملاحظاته عن أسلوب التنشئة الاجتماعيـــة فـــي أكبـــر دولتين صناعيتين في القرن العشرين وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحـــاد السوفيتي في الفترة ما بين 1960- 1970.

فهاتان الدولتان تختلفان أساسيا في التنظيم السياســـي والنســـق الاقتصـــادي والايدولوجيا ، والبناء الطبقي ، وهذا التباين الاقتصادي والسياسي والايدولوجي أدى إلى تباين أساليب التنشئة، فالمجتمع الرأسمالي في أوج قمته متمثلا فـــي الولايـــات المتحدة ، يختلف عن المجتمع الاشتراكي في مفهوم التنشئة الاجتماعية والبيئة التـــي تمارس فيها هذه العملية.

ففي الولايات المتحدة تتمركز التربية داخل الأسرة ، حيث يلعب الوالدان دورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية ، فهما يلقنان الطفل قيم الطبقة التي ينتميان إليها ، وتكمل جماعات رفاق السن وظيفة الأسرة في هذا المجال. ويقرر "لويـــد وارنـــر" Leoyed Warner وزملاؤه أن نوع التعليم الـــذي يقدمـــه للأطفـــال الأمـــريكيين الصغار تحدده إلى مدى كبير طبقتهم الاجتماعية، وتستهدف أم الطبقة الوســـطى أن يتدرب طفلها على تناول الطعام بدون ضوضاء ، وبدون أن يسكب على نفسه ، وأن يأكل كل الطعام من طبقه ، وأن يستخدم ملعقة وشوكة سكينة بطريقة سليمة.

أما في المجتمع السوفيتي ، فيقرر الباحث الأمريكي برونفنبرنـــر أن الأســـرة هي جزء من البناء الاجتماعي السوفيتي ، وتعكس السلطة الأبوية سلطة الجماعـــة ، كما أن مسئولية الأب نحو أبنائه هي استمرار لمسئولياته نحو المجتمـــع ، وليســـت الأسرة نظاماً اجتماعيا ينفرد بعملية التنشئة الاجتماعية ، فهذه الوظيفة تســـاهم فيهـــا

منظمات الأطفال التي تنشئها الدولة وتشرف عليها.

ويقرر الباحث أن الطفل السوفيتي يحظى بقدر وافر من الحنان والدفء داخل الأسرة في وصور العناق والقبلات يفوق ما يناله الطفل الأمريكي تعويضا له عن ساعات غياب الوالدين في عملهما في وحدات الإنتاج ، كذلك يرتبط الطفل السوفيتي بالأسرة برباط وثيق من الحب ، ويؤدي الحب الزائد إلى تحدي حركته الذاتية[13].

ثالثاً:العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي للطفل :

إذا كانت عملية التنشئة لها هذه الأهمية الكبرى في تحديد معالم شخصية الفرد، فإن هذا لا يعني أننا ننسى العوامل الأخرى غير الاجتماعية التي تؤثر في نمو الشخصية ، وهنا يجدر بنا أن نقف وقفة عند أهم هذه العوامل التي تؤثر في نمو الفرد. ونحن نعلم أن هذه العوامل هو الوراثة والبيئة والفرد والنضج والتعلم والأسرة وعدد من العوامل الأخرى مثل أعمار الوالدين والمرض والانفعالات الحادة والحوادث وعوامل المناخ والطقس[14].

ولقد أثيرت عدة مناقشات جدلية حول أهمية كل منهما في تشكيل الشخصية ، وفي تحديد السلوك. فالبعض يرى أن الوراثة وحدها هي المسئولة عما يتصف به الإنسان من خصائص يختلف فيها عن غيره من البشر سواء كانت خصائص جيدة أو رديئة لأنها منقولة إليه من الآباء والأجداد عبر الأجيال المتعاقبة ، وذهبوا في رأيهم هذا إلى ضرورة حصر النسل في بعض الأسر التي يظن أنها عريقة في خصائص أجيالها وأنها متمايزة عن غيرها بصفات سامية . وتزعم هذا الاتجاه مكدوجال McDougall (1960) حيث أكد على أهمية الوراثة في تشكيل شخصية الإنسان وتحديد سلوكه لأنه يولد مزودا بعدد من الغرائز الفسيولوجية المتوارثة.

ويرى بعض آخر أن البيئة وحدها هي المسئولة عما يتصف به الإنسان من خصائص يختلف فيها عن غيره سواء كانت حميدة أو رديئة لأنه اكتسبها بالتعلم من المحيطين به والمخالطين له في البيئة التي يعيش فيها . وذهبوا في رأيهم هذا بأن السلوك عند أي فرد حتى لو كان مرضيا فإنه نتاجا عما تعلمه أثناء تفاعله مع الآخرين ، وما توفر له من إشباعات لحاجاته الأساسية والثانوية في البيئة المحيطة به ، ويزعم هذا الاتجاه واطسون Watson(1951) حيث قال بأنه يمكن أن يشكل شخصية الطفل كما يريد ، مما يجعله يمارس الدور الذي أعده له ، فقد يجعله في المستقبل عالما أو متشردا وفقا لما يعلمه له ولما يدربه عليه ، وبناء على ما يتوافر لديه من مصادر متاحة في البيئة التي يعيش فيها.

ويرى كثير من علماء النفس وفي مقدمتهم كلاينبرج Kleinberg (1954) أن تلك المناقشات الجدلية لن تنتهي لأنها في حاجة ماسة إلى المزيد من الدراسات الميدانية والبحوث التجريبية التي يمكن أن تثبت مدى أهمية كل من الوراثة والبيئة في تشكيل شخصية الإنسان وفي تحديد سلوكه ، غير أن شخصية الإنسان تتشكل وفقا لمؤثرات متفاعلة بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية التي لا يمكن فصل أي منهما عن الأخرى بأي حال من الأحوال ، وأن هذا التفاعل المؤثر بين الوراثة والبيئة هو وحده المسئول عن إيجاد الفروق الفردية بين الناس جميعاً[15].

لذلك يمكن القول بأن التنشئة الاجتماعية تتكون من مصدريين رئيسيين هما : الوراثة والبيئة ، وفيما يلي عرض موجز عن أهميتها :

1 - **الوراثة** Heredity:

تمثل الوراثة كل العوامل الداخلية التي كانت موجودة عند بداية الحياة أي عند الإخصاب، وتعتبر الوراثة عاملا هاما يؤثر في النمو من حيث صفاته ومظاهره ،

نوعه ومداه، زيادته ونقصانه ، نضجه وقصوره ... الخ ، ويتوقف معدل النمو على وراثة خصائص النوع ، وتنتقل الوراثة إلى الفرد من والديه وأجداده وسلالته، وتتجدد الخصائص الوراثية للفرد عن طريق المورثات (الجينات) التي تحملها الصبغيات (الكروموزمات) التي تحتويها البويضة الأنثوية المخصبة من الحيوان المنوي الذكري بعد عملية الجماع الجنسي ، وتتأثر المورثات نفسها بعدة عوامل منها تفاعلها وتأثرها بعضها ببعض ، وتفاعلها مع المواد التي تصل إليها من البيئة الخارجية التي تحيا فيها الخلية ، وتفاعلها مع المادة الداخلية للخلية ، وتفاعلها مع النتائج الكيميائية للمورثات الأخرى ، وقد تؤدي هذه العمليات إلى تغير في إحدى المورثات فتنشأ صفات وراثية جديدة طفرة واحدة ، وتبين الوراثة أن الخصائص الجسمية للأطفال يمكن التنبؤ بها من الخصائص التي نعرفها عن الوالدين ، ولكن في نفس الوقت نجد أن بعض الأطفال يختلفون عن الوالدين اختلافا جوهريا بسبب وجود سمة وراثية متنحية من جيل سابق ، أو سمة مختفية وراء السمة الغالبة أو البارزة ، وعلى هذا لا يلزم دائماً أن يشبه الطفل والديه . وتختلف الصفات الوراثية باختلاف الجنس ذكرا كان أم أنثى ، ومن الصفات الوراثية الخالصة لون العينين ، ولون ونوع الشعر ، ونوع الدم ، وهيئة الوجه ومعالمه ، وشكل الجسم . وهدف الوراثة هو المحافظة على الصفات العامة للنوع والسلالة والأجيال ، كما تهدف الوراثة أيضاً إلى جعل أكثر النسل وغالبيته يحمل الصفات القريبة من المتوسط[16] .

2- **البيئة** Environment :

تمثل البيئة كل العوامل الخارجية التي تؤثر مباشرا أو غير مباشر على الفرد منذ أن تم الإخصاب وتحديد العوامل الوراثية . وتشمل البيئة بهذا المعنى العوامل المادية والاجتماعية والثقافية والحضارية ، وللبيئة دور إيجابي حيث تسهم في تشكيل شخصية الفرد وفي تعيين أنماط سلوكه أو أساليبه في مواجهة مواقف الحياة.

فالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل اجتماعيا وتحوله إلى شخصــية اجتماعيــة متميزة ، ويكتسب الفرد أنماط ونماذج سلوكه وسمات شخصــيته نتيجــة التفاعــل الاجتماعي مع غيره من الناس ومن خلال التنشئة الاجتماعية. وفي خلال ســنوات حياته الأولى تكون الأسرة هي أبرز عوامل التأثير الاجتماعي، وبعد ذلك يأتي دور الصحبة والرفاق في المدرسة وفي المجتمع الأكبر كذلك فإن البيئة الحضارية تسهم في عملية النمو الاجتماعي للفرد، والدليل على ذلك اختلاف الأدوار الاجتماعية لكل من الجنسين في البيئات والثقافات المختلفة. ومــن الخصــائص البيئيــة الخالصــة المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية والتعاليم الدينية ، وعلى العموم ، فكلما كانــت البيئة صحية ومتنوعة كان تأثيرها حسنا في النمو ، وكلما كانت البيئة غير ملائمــة أثرت تأثيراً سيئا على النمو ، كما أن التفاعل الاجتماعي للطفل مع غيره من الناس من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي تكسبه أنماط ونماذج سلوكه وسمات شخصيته.

الوراثة والبيئة :

مما سبق يمكن القول بأن هناك مجموعة كبيرة من العوامل يمكــن الرجــوع إليها في تفسير وتشكيل شخصية الطفل ولذا يكون من المستحيل الفصل بين العوامل الوراثية والبيئة إلا من الناحية النظرية فقط ، ويشبه الــبعض الشخصــية بكتــاب تعاونت في كتابته الوراثة والبيئة بحيث أصبح من المتعــذر أن نعــرف أي فصــل كتبته الوراثة وأي فصل كتبته البيئة ، أي أن العوامل الوراثيــة والعوامــل البيئيــة تتفاعل وتتعاون في تحدي صفات الفرد ، وفي تباين نموه ومستوى نضجه وأنمــاط سلوكه ومدى توافقه وشذوذه ، وإلى جانب الخصائص الوراثية والصــفات البيئيــة نجد هناك سمات تتأثر بالوراثة والبيئة معاً . وهي في معظمها استعدادات وراثيــة تعتمد على البيئة في نضجها وتتأثر بها ، ومن أمثلة ذلك الذكاء والتحصيل ، وقــد

أجريت بحوث كثيرة لدراسة الأثر النسبي لكل من الوراثة والبيئة في نمو الأطفال وذلك بدراسة التوائم المتماثلة حيث نجد أن التوأمين المتماثلين يتساوون من حيث العوامل الوراثية ، فإذا تربيا في بيئة واحدة فإن سمات الشخصية لديهما تكون متقاربة إلى حد كبير ، أما إذا تربيا في بيئتين مختلفتين فإن تأثير هاتين البيئتين يتضح في اختلاف سمات شخصية كل من التوأمين. وإن افترضنا مثلا أن طفلا عبقريا من حيث الاستعداد العقلي تربى في بيئة جاهلة ولم تتح له فرصة التعليم ، أن مثل هذا الطفل لن يستطيع تعلم القراءة والكتابة والحساب ، وسيتأثر سلوكه بصفة عامة نتيجة لعدم اتاحة الفرصة أمام استعداداته الكامنة للظهور ، ان الطفل الذي ينشأ بين الحيوانات ، كما حدث في حالة الطفل المتوحش والطفلتين الذئبتين يشب كالحيوان عاجزا عن الكلام ، بالرغم من أنه يملك استعداداً وراثيا للكلام ، وفي نفس الوقت فإن البيئة الإنسانية لا يمكن أن تجعل الحيوان – الذي ليس لديه استعداد وراثي للكلام – ينطق ويتكلم ، هذا ويأمل علماء الوراثة في تحسين النوع البشري بالاختيار الزواجي الأفضل ، حتى يولد أطفال أصحاء ، وفي نفس الوقت يأمل علماء البيئة في تحسين النوع البشري عن طريق تحسين البيئة الاجتماعية والثقافية والحضارية ، حتى يمكن تنمية الاستعداد الوراثي للأطفال إلى أقصى حد ممكن ، وهكذا نرى بصفة عامة أن الوراثة لا تصل إلى مداها الصحيح إلا في البيئة المناسبة لها ، ولهذا فإن على المربين أن يعملوا على تهيئة العوامل البيئية المساعدة على نمو استعدادات الفرد الوراثية [17].

3- **جهاز الغدد** :

وهو جهاز ذو أهمية كبيرة في تنظيم وظائف الجسم ، فللغدد وإفرازاتها تأثيرات واضحة في عملية النمو ، والغدد نوعان :

أ- الغدد الصماء أو اللاقنوية ، وهي التي تطلق إفرازاتها (الهرمونات) في

الدم مباشرة لتحكم وظائف الجسم وهي في عملها تؤثر إحداها في الأخرى.

ب- الغدد القنوية ، وهي التي تجمع موادها في الدم وتطلق إفرازاتها في قنوات إلى المواضع التي تستعمل فيه (تجاويف الجسم أو على سطح الجلد) مثل الغدد اللعابية ، والغدد الذهنية ، والغدد الدمعية والغدد المعدية. والمعروف أن التوازن في إفرازات هذه الغدد يجعل من الفرد شخصا سليما نشيطاً ويؤثر تأثيرا حسنا في سلوكه بصفة عامة ، وتؤدي اضطرابات الغدد إلى المرض النفسي وردود الفعل السلوكية المرضية ، وبذلك تقدم الهرمونات شبكة غير منظورة من العلاقات التي تتبع خطوطها الرئيسية من تلك الغدد ، وتتصل من قريب وبعيد بجميع أجهزة الإنسان ، وبنواحي حياته الواسعة العريضة(18).

4- **التغذية** :

الغذاء هو مصدر الطاقة ، حيث يتأثر الفرد النامي بنوع وكمية الغذاء ، كما أن سوء التغذية يضر بالجسم والعقل ، ويؤخر عمليات النمو المختلفة.

ويعمل الغذاء على نمو وبناء الخلايا ، وتجديد بناء الأنسجة التي تستهلك أثناء نشاط الفرد وحركاته خلال دورة الحياة من ناحية ، وعندما توفق عملية الهدم عملية البناء لأي سبب من الأسباب ، كما أن سوء التغذية أو نقصها يؤدي إلى تأخر عملية النمو أو توقفها ، فقد وجد على سبيل المثال أن نقص الحديد في جسم الطفل يؤدي إلى تشتت انتباهه وعدم قدرته على التركيز ، وأن نقص البروتين في بداية النمو يؤثر في النمو العقلي للطفل.

ويحتاج الجسم أثناء مراحل النمو المختلفة إلى مجموعة كبيرة من العناصر الغذائية كالبروتينات والمواد الدهنية والأملاح المعدنية والفيتامينات أو المواد

السكرية والنشوية.

هذا ويحتاج الجسم إلى نوع من التوازن الغذائي بين هذه العناصـــر جميعهـــا دون الإفراط في إحداها على حساب الأخر لينمو الجسم نموا سليما طبيعيا ، ويعتبر عدم التوازن الغذائي مسئولا إلى حد كبير عن حالات النمو الشاذ أو تأخر النمو[19].

5- **النضج** :

النضج عملية نمو متتابع تقرره الوراثة ، ويتضمن النضـــج جميـــع نـــواحي الكائن الحي ، وكل كائن ينمو وفقا لنمط معين تحدده العوامل العضوية الوراثيـــة ، إلا أن هذا النمو يحدث إثارة في البيئة الخارجية أن يتبع خط نمو معينا ويصل إلـــى مستويات معينة من النضج خلال هذا النمو.

وهناك مستويات معينة من النمو إذا وصلها الفرد اعتبر ناضجا وينطبق ذلك على جميع نواحي الفرد ، فالطفل الذي لا يستطيع المشي بعد سنتين يعتبـــر غيـــر ناضج من الناحية الجسمية ، وكذلك الطفل في سن العاشرة الـــذي يرتمـــي علـــى الأرض لأتفه الأسباب ويبكي بشدة، ولا يستطيع التحكم في انفعالاته يعتبـــر غيـــر ناضج من هذه الناحية[20].

6- **التعلم** :

التعلم عملية تغيير وتعديل في سلوك الفرد نتيجة للخبرة والممارسة ، والتعلم عملية أساسية تحدث في حياة الفرد باستمرار نتيجـــة احتكاكـــه بالبيئـــة الخارجيـــة واكتسابه أساليب سلوكية جديدة تساعده على زيادة التكيف مع البيئة وملاءمة نفســـه لما تتطلبها.

وتصحب عملية تعلم الفرد منذ بدء حياته ، فمنذ بدء ولادته وهو يكتسب كـــل

يوم أساليب جديدة ويعدل من أساليب سلوكه القديمة.

والسلوك بمظاهره المختلفة نوعان : سلوك متعلم وسلوك غير متعلم ، والسلوك الغير متعلم لا يتضمن إلا أنماطا محددة للغاية مثل العطس والسعال وما نحو ذلك من الأفعال التي يأتيها الإنسان نتيجة تكوينه الفسيولوجي وتركيبه الداخلي فحسب ، أما غير ذلك من أنماط السلوك فأغلبها يتعلمها الفرد نتيجة مروره بعدد من الخبرات أو المواقف الخاصة في حياته ، ومن هنا تأتي أهمية التعليم كعامل أساسي من عوامل النمو.

هذا وقد أثبتت إحدى التجارب التي أجريت للكشف عن العلاقة بين عامل النضج والتعلم أن هناك علاقة إيجابية بين التقدم في مستوى النضج والتعلم ، فكلما نال الفرد خطأ أوفر من النضج كلما كان أقدر على التعلم واكتساب وتعديل سلوكه الذي هو غاية التعلم.

هذا وقد توصلت الدراسات إلى عدد من النتاج للتعرف على العلاقة بين النضج والتعلم وهي :

1) أن تعلم خاصية معينة يكون أكثر سهولة إذا كان الفرد قد وصل إلى مستوى النضج المناسب لهذه الخاصية.
2) التدريب للتعلم يقل كلما كان الفرد أكثر نضجاً، فالفل مثلا يحتاج إلى وقت في تعلم مهارة معينة إذا ما وصل إلى مستوى النمو التي تملكه من تعلم هذه المهارة والعكس صحيح.
3) التعلم قبل الوصول إلى مستوى النضج المناسب لا يؤدي إلى تعديل السلوك[21].

7 - **الأسرة :**

يؤكد عدد من الباحثين أن الأنماط السلوكية الأسرية هي التي تحدد ما سـوف يصبح الطفل في مستقبل حياته ، أو ما يستطيع أن يفعله لكي يحصل على الإشـباع والرضى ، وعلى ذلك فإن الأسرة هي التي تكون وتنمي شخصيته ، وهـي التـي تسهم بالقدر الأكبر في الإشراف على نمو الطفل وتوجيه سلوكه ، وتسعى الأسـرة إلى تحقيق الطمأنينة لأفرادها ، حيث تبدأ علاقات الطفل الاجتماعية والتي تكسـبه الشعور بذاته مع أفراد أسرته. فمن خلال علاقاته الأولية ينمي خبرته عـن الحـب والعاطفة ، ويزداد وعيه لذاته ، ويزداد نموه بزيادة تفاعله مع المحيطين به وقيامـه بدوره الخاص ، وعن طريق هذا التفاعل تتبلور شخصيته[22].

كما يؤكد الباحثين أن الأسرة هي التي تضع فـي الطفـل أصـول التطبيـع الاجتماعي ، بل هي التي تحدد فيه الطبيعة الإنسانية ، وهي التي تشـكل الوجـود الاجتماعي للطفل ، والأسرة هي الحصن الاجتماعي الذي تنمو فيه بذور الشخصية الإنسانية[23].

ومن القواعد المتفق عليها الآن أن أول أساس الصحة النفسـية تسـتمد مـن العلاقة الوثيقة التي تربط الطفل بأمه ، وأن حرمان الطفل من هذه العلاقـة أو مـا تسمى بالحرمان "الأمومي" لها أثارها التي تظهـر فـي تعطيـل النمـو الجسـمي والاجتماعي والانفعالي[24].

التطبيع الاجتماعي داخل الأسرة :

تشير عملية التطبيع الاجتماعي إلى العمليات التي عن طريقها يوجه الطفـل لكي يسير على نهج حياة أسرته ، والجماعات الاجتماعية الأكبر والتـي يجـب أن ينتمي إليها ويؤدي ويسلك في غمارها بصورة مناسبة ، وذلك لكـي يصـبح فـي

النهاية مؤهلا وجديرا لدور الراشد الناضج.

ولكي تنجز الأسرة وتتم هذا الهدف فإنها يجب أن تعلم الطفل كيــف ومتــى يمنع ، ومتى يعبر عن ميوله الفطرية ، وكما نعلم فإن جميع الأطفال يبــدأون فــي وقت مبكرا لإظهار بعض من أنماط السلوك غير اللائقة ، ولكن الأسرة تبــدأ فــي وقت مبكرة كذلك تعليم أطفالها كيف يكبحون هذه الاســتجابات ، وكيــف يعبــرون عنها بصورة مقبولة ، وعلى ذلك فإن الأسرة هي الوكالة المسئولة عن تكوين ونمو الضبط الكامن لدى كل طفل ، فعن طريق تعلم الأكل – التعبيــر عــن العــدوان - والحب بالإضافة إلى أفعال كثيرة أخرى داخل الحدود الموضوعة بواســطة ثقافــة المجتمع يتمكن الطفل من التحرك على الطريق إلى المرحلة التي تمكنه من الدخول بتفهم كامل في ثقافة ذلك المجتمع.

ويصنف "جبروم كاجان" ميكانيزمات التطبيع الاجتماعي على النحو التالي :

- الرغبة في الحصول على التعاطف والاحترام والقبول.
- السعي لتجنب الأحاسيس والمشاعر غير السارة المتولدة عن طريق عقــاب أو رفض الآخرين له.
- الرغبة في أن يكون مماثلا لأفراد معينين نشأ الطفل عن احترامهم ومحبتهم والإعجاب بهم (عملية التطابق).
- الميل العام لتقليد أفعال الآخرين[25].

عمليات تنشئة الأطفال :

تعد عمليات تنشئة الأطفال من العمليات الأساسية التي تبلورت فــي أدبيــات البحوث النظرية والتجريبية ومن أهم هذه العمليات هي :

1- الاستدخال – الاستخراج Internalization , Externalization

2- الاتكالية – التعلق بوسيط Dependence, Attachment

3- التقليد – التوحد مع مثال Imiration, Identification

4- لعب الأدوار – تكوين مفهوم الذات Role Playing, Self Concept

ويلاحظ على هذه عدداً من الأمور هي :

أن جميع هذه العمليات تنطوي على أشكال مختلفة من الـتعلم الاجتمـاعي ، أحد هذه الأشكال من التعلم الاجتماعي ما اصطلح على تسميته بـالتعلم الارتبـاطي الذي يتحول فيه إرضاء الوسيط (الأب – الأم – المدرسة ... الخ) من دافع مكتسب إلى دافع أولي – كما في تعلم السلوك الحميد إرضاء للوالدين ، لأن إرضاء الوالدين كان قد ارتبط في السابق بإشباع حاجات أولية للطفل[26].

وهذا النوع من التعلم يحاول فيه المنظرون ملء الفجوة بين التعلم الشـرطي في المعمل ، وبين الأوضاع في البيئة الحياتية.

كما أن التقليد – التوحد مع مثال ينطوي على تعلم عن طريق محاولة الطفـل مطابقة استجاباته مع الإشارات – الإرشادات التي توفرها استجابات شخص أخـر (المثال – النموذج) . بينما في التحد مع مثال يتم التعلم عندما تتولـد فـي الطفـل الرغبة في اكتساب الخصائص السلوكية للمثال بحيث يكون في النهاية تشـابه فـي نمطي السلوك [27].

أما في حالة الاتكالية – التعلق بوسيط فإن التعلم يتصـل بالسـيطرة علـى مجالات واسعة من الاستجابات للفرد بواسطة مشـيرات يوفرهـا مجموعـة مـن الأشخاص (الاتكالية – الاعتماد على الغير) أو بواسطة شخص معـين (الوسـيط)

يمتلك خصائص استثنائية [28].

أما في لعب الأدوار – تكون مفهوم الذات فإن مجـالات الـتعلم الاجتمـاعي واسعة جداً لأن الأدوار الاجتماعية هي قوالب سلوكية جاهزة مكونة من اتجاهـات وقيم ومكونات معرفية تتصل بالوظيفة موضوع الدور ، وتكون مفهوم الذات يمثـل القصة التي تتوح البروفات التي مارسها الشخص في لعبة للأدوار باعتبارها – أي الذات – اتجاها مركزيا[29].

هذا ويعتقد بعض المنظرين من بين علماء الـنفس الاجتمـاعي أن عمليتـي (التقليد – التوحد) و (الاتكالية – التعلق بوسيط) هما عمليتا متتابعتـان متعاقبتـان ، كما يعتقد بعضهم الآخر بأن لعب الأدوار هو في حقيقة الأمر مطابق للتوحد أي أن لعب دور الأب مثلاً هو في الحقيقة التوحد مع الأب.

ومن هذا المنظور فإن أخذ الأدوار متصل اتصالا جذريا بتكون مفهوم الذات الذي يتم عن طريق اكتساب اللغة [30].

ويرى "خلدون النقيب" 1983 ، أن العملية المركزية الأساسية فـي التنشـئة الاجتماعي هي الاستدخال ، أي عندما يصبح السـلوك العلنـي الخـارجي ممـثلا بنموذج أو خطة معرفية داخلية كما في نظريات فيكوتسـكي وبياجيـه ، أو بشـكل أوسع المقدرة على ترجمة التعلم إلى المقدرة على التحكم في السلوك ذاتيا ، تغنينـا عن وجود شرط الأخلاق أو الرقابة في كل الأوقات وفي كـل الحـالات ، وهـي العملية التي مازلنا إلى الآن لا نعرف إلا القليل عن ضوابطها.

ويشير كذلك إلى اختلاف المختصون في علـم الـنفس الاجتمـاعي حـول تفسيراتهم لأنماط التعلم الاجتماعي ، ورغم هذا التعدد والاختلاف فـي التفاصـيل والتوجهات النظرية حول نظريات التنشئة الاجتماعية ، إلا أنه أمكن جمعها- تحت

ثلاثة عناوين رئيسية من حيث درجة التركيز على مفهوم مركزي هو :

1- الاتجاه العقلي – التطوري المبني على التمثيل الرمزي للعالم.

2- اتجاه التعلم الاجتماعي المبني على فكرة التدعيم.

3- اتجاه التحليل النفسي المبني على مبدأ الدافعية الليبرالية.

ويرى أنه من خلال اتباع هذه التوجهات ممكن التوصل إلى تحدي مجموعة من المؤثرات المتنوعة التي تتدخل في تنشئة الأطفال والتي تتفاوت معلوماتنا عن هذه المؤثرات من الحقائق التي تولدت من البحوث التجريبية إلى مجرد التكهنات ، وإذا ما حاولنا وضع قائمة بهذه المؤثرات فمن الممكن أن تشتمل على الموضوعات التالية :

1- تأثيرات متغيرات الأسرة
2- تأثير جماعة الرفاق (الصحبة)
3- تأثير الطبقة الاجتماعية
4- تأثير المدرسة
5- تأثير البيئة الحضارية
6- تأثير التواصل الجمعي.
7- تأثير الدين
8- تأثير التنشئة السياسية[30].

أو ما يطلق عليها بعض المشتغلين بعلم النفس الاجتماعي مؤسسات التنشئة الاجتماعية

رابعاً:مؤسسات التنشئة الاجتماعية :

- الأسرة :

سبق وأن تحدثنا عن تأثير متغير الأسرة على النمو الاجتماعي للطفل في مكان سابق ، واشرنا إلى أن الأسرة تؤثر في النمو النفسي الاجتماعي السوي وغير

السوي للطفل ، كما أنها تؤثر أيضاً في نموه العقلي ، والانفعالي ، لذلك فإن عمليـــة التفاعل الاجتماعي الذي يحدث في الأسرة يأخذ طابع الاحتكـــاك المباشـــر بعكـــس المؤسسات الأخرى التي تأخذ طابع اللوائح والنظم المختلفة.

وللأسرة تأثير بالغ الأهمية في عملية التطبيع الاجتماعي ، فكل أســـرة لهـــا سلوكها الذي تطبع طفلها عليه بما تعكسه من قيم واتجاهات علـــى الطفـــل ، فقـــد تتفاوت فيما بينها من حيث القيم والمعايير والأعراف الاجتماعية ، ويلاحظ أن هذه المعايير تختلف من أسرة إلى أخرى في مدى قدرة الالتزام بها . فعلى سبيل المثال قد يتناول الطفل طعامه بيديه دون استخدام أدوات المائدة كما تلزمه تعـــاليم أســـرته فيوجه في لين ورفق ، ولكن عندما يحاول خلع ملابسه في الحديقـــة فإنـــه يقابـــل بالضرب والزجر ، ومعنى ذلك أن الأسرة ربما تتهاون في تمسكها ببعض المعايير وتتشدد في بعضها الأخر وإن ما ييسر للأسرة قيامها بعملية التنشئة الاجتماعيـــة ، أن الطفل يمر بفترة من الاتكالية ، ويعتمد على من حوله من الكبار مما يجعل لهـــم أهمية قصوى في إشباع حاجاته ، لذلك نجده باستمرار دائم الانصياع لهم من أجـــل أن يحظى بالتقبل والاعتراف منهم ، وعلى ضوء ذلك نجده يـــتعلم المعـــايير التـــي تحاول الأسرة تنشئته عليها ، وبذلك تتحول هذه القيم والمعايير لتصبح جـــزءً مـــن ذاته[(32)].

ولابد أن نشير إلى أن الأسرة المستقرة التي تشبع حاجات الطفل ومتطلباتـــه تساعد في تكوين شخصيته المبكرة على أســـس ســـليمة ، فـــي حـــين أن الأســـرة المضطربة تعد مكاناً ملائماً لكل الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية ، وقـــد أشار إلى ذلك بادندورا (Bandura) عندما أشار لعملية التقليد والمحاكاة كميكـــانيزم من ميكانيزمات التطبيع الاجتماعي.

وسوف نتعرض إلى أهمية سلوك كل من الأب والأم والعلاقة بـــين الإخـــوة

والأخوات والأساليب المختلفة التي يتبعها الوالدين في التعامل مع أطفالهن.

1- الأم :

لقد أشار كل مــن جولــد فــارب Gold Farb (1943) وبــولبي Bowlby (1952) إلى أهمية دور الأم في تشكيل سلوك طفلها وتطوره ، وإلى أهميــة هــذا الدور في عملية تطبيع وليدها اجتماعياً ، فقد أشارا إلى أن الطفل عندما يلقى العناية بالحاجات الفسيولوجية الأساسية لــه ، دون أن يلقــى العنايــة نفســها بالجوانــب الشخصية، فإننا نلاحظ تعرض لآثار خطيرة على خصائصه الشخصــية ومســتقبل حياته.

ولقد لاحظ بولبي من خلال دراساته وأبحاثه بعض الآثــار المترتبــة علــى حرمان الطفل من أمه ، ومن أهمها :

حصول ذلك الطفل على درجات ضعيفة فــي اختبــارات الــذكاء ، ضــعف تحصيلهم الدراسي ، قدرة ضعيفة على إقامة العلاقات مــع الآخــرين ، تعرضــهم لمشاكل سلوكية مثل القلق ، المخاوف ، التوتر العاطفي .

2- **الأب** :

أما دور الأب فقد لقي اهتماماً أقل نسبياً من دور الأم ، وكمــا يشــير يــارو "Yarrow" أنه يوجد القليل من الأبحاث التي تركز على أهمية دور الأب على نمــو الطفل ، فقد أشارت أن غياب الأب خلال فترة الرضاعة له تأثير غير مباشر على الطفل ، أي أن تأثير الأب في هذه الفترة يتركز حول مشاعر الأم وغيــاب الأب . ولقد قام لين Lynn (1959) بدراسة في النرويج على أبناء بحارة السفن ، الــذين يتغيبون من تسعة أشهر إلى سنتين وعددهم (42) طفلاً ، وتمت مقارنتهم بأطفــال آباؤهم متواجدين في منازلهم وقد تمت الدراسة عن طريق عمل مقابلات لأمهــات

هؤلاء الأطفال ، وقد أظهرت الدراسة ، أن البنات اللاتي كان آبـــاءهم حاضـــرين بالمنزل ، وكان الأولاد أكثر تأثيراً من البنات ، فلقد كانوا متوافقين فـــي علاقـــاتهم من جماعاتهم ، مقارنة بالأولاد الذين كان لهم علاقات ومصـــاحبات منتظمـــة مـــع أبائهم ، كما كانوا غير ناضجين إلى حد كبير في أنماط سلوكهم ، كما أنهم اظهروا على أنهم غير متأكدين من أدوارهم الجنسية ، كما كانوا يتصرفون بطريقة رجولية مفتعلة ، ومبالغ فيها ، وفي بعض الأحيان يتشبهون بالبنات في أنماط سلوكهم [33].

3- **الأخوة** :

يساعد الانسجام في العلاقة الأخوية على نمو الطفل نمواً نفسيا سليما ، فعـــدم تفضيل طفل على آخر ، وما ينشأ عنها من أنانية وغيره يؤدي إلى نمو نفسي غير جيد بين الأطفال ، ويرى (نيوكومب) أن ترتيب الطفل بين أخوته في حد ذاته ليس عاملا مؤثراً في شخصية الفرد ، وإن ما يؤثر فيه هو اختلاف معاملـــة الوالـــدين ، كما يرى (ادلر) أن الأخ الأصغر يشعر بالنقص نحو أخيه الأكبر ، مما يظهره إلى تعويض النقص بإظهار التفوق على من يكبره من أخوة وأخوات[34].

- **المدرسة** :

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظائف التربية ، ونقل الثقافة المتطورة ، وتوفير الظروف المناسبة للنمو ، جسميا أو انفعاليا واجتماعيا.

فبدخول الفرد المدرسة يخرج من نطاق العلاقات والتفاعلات البســيطة مـــع أفراد الأسرة إلى علاقات وتفاعلات أكبر وأوسع بين الطفل وزملائه ، وبينه وبـــين مدرسيه.

كما نلاحظ أن الأساليب التي كانت الأسرة مع الطفل قبل التحاقه بالمدرسة لها أثـــر كبير في تكيف الطفل في المدرسة ، وذلك لأن الطفل يجد فـــي المدرســـة أنظمـــة

وقوانين تختلف عما ألفه في جو الأسرة ، لذلك يجد نفسه مضطراً إلى تغيير سلوكه وتعديله.

وبذلك تستطيع المدرسة أن تقوم بدور فعال في تقويم ما أعوج من سلوكه وتحصينه بكثير من المعايير والاتجاهات الاجتماعية السليمة التي تكونت لدى الطفل من خلال تواجده مع أفراد أسرته. وكذلك يلعب المدرس دوراً بارزاً ومهما في حياة الطفل في المدرسة ، فهو الأب الثاني له ، ومن هنا نجد أن الطفل يحاول جاهدا كسب رضا مدرسيه حتى يشعر بالأمن الذي يسعى إليه.

وتستطيع المدرسة أن تدعم القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع وذلك من خلال مناهجها الدراسية ، كما يمكن أن يتضمن النشاط المدرسي اللامنهجي إكساب التلاميذ بعض الأساليب السلوكية الاجتماعية السوية ، وتعليمهم بعض المعايير الاجتماعية.

كما يلعب المدرس دوراً هاماً في مساعدة الطفل على التخلص من الأساليب السلوكية الشاذة ، وإن يشبع حاجة الطفل إلى التقدير الاجتماعي ، واعتبار الذات الذي لم يتمكن من التمتع به أثناء تواجده مع الأسرة[35].

- **وسائل الإعلام** :

تؤثر وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتليفزيون وصحافة ومجلات وكتب بما تقدمه من معلومات وحقائق وأخبار وأفكار في عملية التنشئة الاجتماعية ، فهي تقوم بنشر المعلومات وحقائق وأخبار وأفكار في عملية التنشئة الاجتماعية ، فهي تقوم بنشر المعلومات المتنوعة في كافة المجالات والتي تناسب كل الاتجاهات والأفكار وكذلك إشباع الحاجات النفسية لدى الفرد مثل الحاجة إلى المعرفة والمعلومات والتسلية والأخبار والثقافة العامة ودعم الاتجاهات النفسية وتعزيز القيم

والمعتقدات أو تعديلها والتوافق مع المواقف الجديدة.

والتليفزيون يقلل من فروق الطبقة الاجتماعية في المعلومات العامة واللغوية، والأطفال الصغار يحصلون على مفردات أكثر من الكبار. والتليفزيون عامل أساسي وهام ، فهو يؤدي إلى تحسين في المهارة اللغوية لدى الأطفال الصغار. ويتوقف تأثير وسائل الإعلام في عملية التنشئة الاجتماعية على :

- نوع وسيلة الإعلام المتاحة للفرد.
- ردود فعل الفرد لما يتعرض له من وسائل الإعلان.
- ردود الفعل المتوقفة من الآخرين إذا سلكوا ما تقدمه وسائل الإعلان.
- مدى توافر المجال الاجتماعي الذي يجرب فيه الفرد ما تعلمه من معايير ومواقف وعلاقات اجتماعية[36].

أما عن القراءة فتساعد الطفل على التعرف بصورة أكبر إلى العالم الخارجي عما في خبرته ، كما أنها تقترح دوراً سلوكيا وغالبا ما تجري هذه الأدوار الجديدة في الألعاب التي يؤديها بمفرده أو مع زملائه ، كما أنها تساعده في اختيار المراكز التي قد يتطلع إلى شغلها كشخص بالغ أو تحضيره لذلك ، كما يتأثر الطفل في البيت بمضمون المجلات والصحف أكثر من الكتب، وعادة ما يختار الوالدين مجالات وصحف معينة لأطفالهم. وغالباً ما يتأثر اختيارهم بعوامل متعددة مثل المركز أو الطبقة الاجتماعية للأسرة ، وما إلى ذلك.

ومن ذلك نستطيع أن نصل إلى أن الآباء عند اختيارهم لنوع الصحف والمجلات يودون إحاطة أولادهم وإشعارهم بطريق غير مباشر إلى طبيعة مركزهم ومكانتهم الاجتماعية والمكانة التي يودون من أبنائهم الوصول إليها [37].

- **جماعة الرفاق (الأصدقاء) :**

وتتكون جماعة الرفاق من أصدقاء الطفل الذين يتقـاربون فـي أعمـارهم وهواياتهم وميولهم مع الطفل ، فالطفل عند انضمامه إلى جماعـات أخـرى غيـر الأسرة فإنه يقابل نماذج يتخذها مثله الأعلى ، وبالتالي يمتص أدواتهـا والصـفات المحببة فيها وقد دلت الأبحاث على أنه كثيراً ما يعدل الطفل من القـيم والمعـايير التي اكتسبها في المنزل تبعاً لما تتطلبه جماعة الأصدقاء ، وهـذا يجعـل لتوجيـه الآباء لأطفالهم أهمية خاصة في اختيار أصدقائهم ، إذ كثير مـا تـؤدي الصـداقة الخاطئة إلى أنواع مختلفة من الانحراف ، وغالباً ما يجد الطفل في جماعة النظائر متنفسا لسلوكه العدواني الذي لا يستطيع تحقيقه سواء في جو المدرسة أو الأسرة.

وجماعة النظائر تلعب دوراً بارزاً في عملية التنشئة الاجتماعية ، فهي تؤثر في قيمة واتجاهاته وعاداته ، كما أنها تساعد على تكوين المعايير الاجتماعية لـدى الطفل وتدريبه على تحمل المسئولية ، وتساعده على تحقيق أهم مطالب النمو وهـو الاعتماد على النفس والاستقلال، كما تساعد على إشباع حاجة الفرد إلـى المكانـة والانتماء.

كما لوحظ من خلال التجارب أن مدى تأثر الفرد بالصحبة هو أمر يتوقـف على العلاقة بين الفرد وصحبته ، وكلما زادت درجة هذه العلاقـة ، ازداد تمسـك الفرد لما اصطلحت عليه الجماعة من أنماط سلوكية [38].

ولكننا نجد أنه عندما تتضارب معايير الآباء وجماعة الرفاق ، فإن الطفـل غالباً ما يتمشى مع معايير الجماعة . وربما يكون ذلك طريقة لتأكيد استقلاليته عـن والديه. إضافة إلى ذلك حاجة الطفل الأساسية في أن يتجنب نبـذ الجماعـة التـي يتطابق ويتماثل بصورة أكبر من تطابق الراشد مع أقرانه.

إن من أهم أسباب هذا السلوك الامتثالي من قبل الطفل لزملائه يرجع إلـــى أن الأطفال لا تحب أن تكون مرفوضة أو تبدو مختلفة عن الآخرين ، وذلـــك كمـــا ورد على لسان أحد الأطفال لتفسير سلوكه.

ولقد أخرى لاقلن Laughlin (1954) عدة تجارب أوضحت فيها أثر التقبل الاجتماعي للزملاء على الأطفال ، وقد حاولت بالإضافة إلى تحديد درجـــة التقبـــل الاجتماعي لكل طفل داخل الجامعة من سنة إلى أخرى ، فقد جمعت بيانـــات لكـــل طفل تتضمن قياس قدرته العقلية وتحصيله الدراسي وسمات شخصية ، وقـــد تبـــين من الدراسة دلالة سمات الشخصية كمحددات للتقبل الاجتماعي داخـــل الجماعـــة ، وكانت أهم هذه السمات هي الصداقة ، المحبـــة ، المظهـــر ، الحســـن ، الســـرور والحماس ، أما الأطفال الذين يوصفون بأنهم قلقون وكثيرون الكلام قد حصلوا على دراجات منخفضة في التقبل الاجتماعي لدى الجماعة ، على نقيض الأطفال الذين لم يوصفوا بهذه السمات.

كما أننا نلاحظ أن الطفل يحاول أن يحرر نفسه من الاعتماد على أســـرته ، وغالباً ما نجد أن جماعة الرفاق توفر الاحتمالات البديلة والموجودة في الأســـرة ، فنجد أن جماعة الزملاء غالبا ما تكافئ أو تعاقب الطفل ، كما أنها تشجع بصـــورة ملحوظة نمو أنماط سلوكية ليست متفقة مع تلك السائدة داخل مجال الأسرة ، وغالباً ما يكون الآباء سريعي التأثر لقوة سلطة الجماعة على طفلهم. وهذه إحدى الأسباب في قلقهم تجاه جماعة زملاء أطفالهم ، فنجدهم يحددون علاقة أطفالهم ممن يخـــتلط بهم من حيث المستوى الاجتماعي والطبقي والعنصري ، كما أن ذلك غالباً ما يكون محدداً في اختيارهم المناطق السكنية والمدارس التي يلتحق بها أطفالهم [39].

- **الثقافة :**

الثقافة هي ذلك الكم الذي يشمل المعارف والمعتقـدات والفنـون والقواعـد الأخلاقية والعادات والقدرات والمهارات التي يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه. وهي كل ما تعلمه الفرد من عادات وتقاليد وقيم واتجاهات ومعتقـدات دينيـة واجتماعية وأنشطة حركية – تنظيم العلاقة بين الأفراد والتكنولوجيا ، وكل ما ينشأ عن ذلك من سلوك يشترك فيه أفراد المجتمع الواحد ، ويتعلم الفرد عناصر الثقافـة الاجتماعية المحيطة به أثناء نموه الاجتماعي عن طريق التنشئة الاجتماعية وتـؤثر كل ثقافة في شخصية أفرادها عن طريق المواقف الثقافية المتعددة ، ومـن خـلال التفاعل الاجتماعي المستمر. والثقافة لا تؤثر في سلوك الفرد تأثيرا مباشـراً فيمـا توكل في ذلك عدداً من الوكالات والمؤسسات الاجتماعية التي ينتمـي إليهـا مثـل الأسرة ، المدرسة ، دور العبادة ، جماعة الزملاء بشكل عام.(40)

ومع ذلك فإن الثقافة هي التي تحدد السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة عـن طريق عملية التنشئة الاجتماعية ، كما أنها تساعد على تشكيل أطفال الجماعة فـي حياتهم لتحولهم من مجرد كائنات بشرية إلى أفراد اجتماعيين وذلك عـن طريـق العمليات التي تسمى بالنظم ، فهذه النظم مستواه عن تكـوين شخصـيته الأساسـية (التكوين النفسي الاجتماعي) ويرى "كاردنر" أن هذه النظم تشمل الخبرات وأنمـاط السلوك المتصلة بالعناية بالطفل كالرضاعة ، والفطام ، وضبط عمليـات الإخـراج والتدريب على الاستقلال والتصرف إزاء الانفعالات المختلفـة ومعاملـة الكبـار ، والتربية الجنسية.

ولكل ثقافة من الثقافات طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الثقافات وتحاول كل ثقافة تطبيع أفرادها بطابعها ، لذلك ينشأ أفراد الثقافـة الواحـدة ولهـم طابع مشترك يميزهم عن أفراد الثقافات الأخرى ، ويؤدي تشرب هذا الطابع إلـى

وحدة الميول والاتجاهات النفسية والتفكير والعمل. وعلى الرغم من وجـود تشـابه بين أفراد الثقافة الواحدة بحكم النشأة المشتركة فيها ، إلا أننا نجد أن هناك اختلافات بين الأفراد في الثقافة الواحدة كما توجد اختلافات تحتمها الطبقة الاجتماعية.

ومن خصائص الثقافة أن جميع الثقافات متغيرة إذ أنهـا مرتبطـة بمفهـوم التجديد لأنه حصيلة لتراكم الثقافة ، والتجديد يفهم على أنـه التغيـر والاخـتلاف. ونتيجة للعمليات الثقافية فإنه يندرج عاملان هامان نستطيع بواسـطتهما أن تحقـق الثقافة غايتها. الأول وهو النمو الثقافي : وهي حركة تنشأ من وسط الثقافـة ذاتهـا ويكون التغير تدريجيا إلى أن يأتي الجيل اللاحق ليضيف إلى تلك الثقافـة أشـياء جديدة ، والآخر : وهو ما يسمى بالتغير الثقافي : والذي يعد ثـورة علـى الشـكل والمضمون الثقافي حيث يحدث في المجتمع تحولات ثقافية ناتجـة عـن عمليـات التغير الثقافي ، حيث يكون له جانبان : إيجابي وسلبي ، ويتمثل الجانب الإيجـابي في صورة مادية للنموذج الثقافي الجديد أما السلبي فهو ينشأ من ظـاهرة التخلـف الثقافي.

وعلى ذلك يتضح لنا أن للثقافة بعدين ، أولهما معنوي , وثانيهمـا مـادي ، ويتمثل البعد الأول في كل ما هو قيمي أو فكري ، أما البعد الثاني فإنه يتمثـل فـي جميع الأشياء المادية التي يستخدمها أو ما يصنعها أعضاء المجتمع.

والثقافة ذات بعد اجتماعي لذا يقال عنها أنها فروق فردية ، لأن عناصـرها المختلفة لا يمكن أن تكون ذات طابع فردي ، ومن هنا جاء نعت الثقافة بأنهـا ذات صفة اجتماعية ، وهي ليست نتاج فرد أو بضعة أفراد ، ولا جيل أو بضعة أجيال ، بل هي نتاج المجتمع برغم أن هناك أفراداً أثروا ويؤثرون في ثقافات مجتمعاتهم.

- دور العبادة :

يتكون النمو الديني تدريجيا عند الفرد. وحسب مراحل عمــره ، فالطفــل لا يفهم معنى المفاهيم الدينية لأن قدرته العقليــة لا تقــوى علــى إدراك المعنويــات المجردة كالخير والشر والصلاح والتقوى ، ولكنه يــدرك فقــط الأمــور الحســية الملموسة التي يستطيع أن يشاهدها في طفولته المتأخرة يناقش بعض الأمور الدينية، وفي مرحلة المراهقة يلجأ المراهق إلى الدين لكي يجد فيه مخرجاً مــن مشــكلاته ولكي يجد فيه السند الذي يحقق له الشعور بالأمن الذي فقده بسبب الصراعات التي تدور في نفسه.

ثم يأتي تأثير دور العبادة في عملية التنشئة حيث أنها تساعد علــى ترجمــة التعاليم السماوية إلى سلوك معياري يطبقه الفرد في حياته وذلك من خلال تسلســلها إلى المواطن الهامة في نفس الشخص مثل الضمير. فهي تعمل على اتخاذ أســاليب الترغيب والترهيب والعقاب كوسيلة في توجيه سلوك الأشخاص نحــو الأفضــل ، ونبذ الأساليب السلوكية غير السوية كما أنها تعمل على توحيد السلوك الاجتمــاعي للأفراد ، والتقريب بين الطبقات الاجتماعية. لذلك تعتبر دور العبادة ضمن أســاليب التنشئة الاجتماعية[41].

خامساً:دراسات ميدانية وبحوث تجريبية عن التنشئة الاجتماعية والطفل:

تجدر الإشارة هنا إلى أن البحوث والدراسات التجريبية ســواء الأجنبيــة أو المصرية ، التي اهتمت بدراسة عملية التنشئة الاجتماعية. قد ركز الــبعض منهــا على أساليب وأنماط التنشئة واتجاهاتها والبعض الآخر قد اهتم بدراســة العوامــل والخصائص المختلفة للتنشئة الاجتماعية خاصة تنشئة الأطفال ، وبعض ثالــث قــد ركز على مجموعة النظريات والمناهج التي يجب اتباعها في إجــراء الدراســات

التجريبية الخاصة بالتنشئة الاجتماعية.

لذلك سوف نهتم في هذا الجزء بعرض مجموعة من هذه الدراسات الأجنبية والمصرية.

أولاً – البحوث والدراسات الأجنبية [*]:

من الدراسات التي اهتمت بأساليب التنشئة الاجتماعية :

دراسة وايزبرج وسبرنجر Weisberg and Springer, 1961 :

أجريت هذه الدراسة على الأطفال ، حيث درس الباحثان 32 من الأطفال المبتكرين جدا ، وقد كشفت الدراسة عن أن الأسرة لم تكن مرتبطة جداً ، كما أن أعضاءها لم يكونوا مترابطين ببعضهم كثيراً ، وكان هناك اهتمام ضئيل بمسيرة قيم الوالدين ، كما كان هناك تعبير عن المشاعر لم يكن دائما يتم بشكل هادئ ، كما كان تفاعل الأب مع الطفل قوياً وإيجابياً ، كذلك كانت الأم في تفاعلها مع الطفل ، وإن أظهرت في الأحيان تناقضا وجدانياً في مشاعر أمومتها ، وحينما كان ذلك الطفل يبكي ، كان الوالدان يتقبلان سلوكه دون شعور بعدم الارتياح.

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة ماكنون (Mackinnon, 1978) عن المهندسين المعماريين ؛ فقد وجد "ماكنون" أن والدي المعماريين المبتكرين كانوا يتميزون بأن لديهم احتراماً غير عادي للطفل وثقة في قدرته على عمل ما هو ملائم . لذلك فإنهم لم يترددوا في إعطاء الطفل حرية غير عادية في استكشاف

---

* للتفصيل ، أنظر : عبدالله محمود سليمان ، مدى توافر عوامل الابتكار في الثقافة العربية المعاصرة ، في قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي ، لويس كامل مليكه ، 1985، ص ص 75: 93.

عالمه واتخاذ قراراته بنفسه ، ويبدو أن توقعات الوالـــدين بـــأن الطفـــل سيســـلك باستقلال ومعقولية ومسئولية قد أسهمت في إحساس الطفل بالاستقلال الشخصــــي. ومن ناحية أخرى لم يكن هناك ارتباط وثيق بين الطفل مع أحد الوالدين أو كليهما ، وقد كان ذلك ينطبق على العلاقة بالأب أكثر من العلاقة بالأم ، وإن كـــان ينطبـــق على العلاقة بالوالدين معاً . كما تبين أنه لم تكن هناك علاقة وجدانيـــة قويـــة بـــين الطفل والوالدين. كما لم تكن العلاقة من النوع الذي يؤدي إلى الاعتمـــاد الزائـــد أو النبذ الشديد ، لذلك فإن المسافة التي كانت موجودة بين الطفل والوالد كان لها تأثير على تحرير الطفل من القيوم ، كما أن غياب قوة العلاقة الوجداني مع الوالد وفـــر على الطفل الاستقلال السيكولوجي. ولم يكن مط توحد الطفل المبتكر مع الوالـــدين من النوع المألوف، خلافاً لما هو معروف من أن الطفل يتوحد مع أحد الوالـــدين ، كان هناك ميل لدى المعماريين المبتكرين إلى أن يتوحدوا في طفولتهم مع الوالـــدين معاً ، أو لا يتوحدوا مع أي منهما ، ولم يكن الأمر كذلك لأن بيئة الطفـــل العائليـــة كانت تقدم له عدداً كبيرا من النماذج الفعالة والمختلفة التي يتوحـــد معهـــا. (مثـــل الجدود والأعمام والجدات والعمات) الذين كانا يحتلون مراكز ممتازة في بيئـــتهم . هذا وقد تميزت عائلات المهندسين المعماريين بارتفاع نسبة الأمهات اللاتـــي كـــن متميزات في استقلالهن ، واللاتي عشن حياة نشيطة ذات اهتمامات ومارسن مهنـــاً بعيدة عن مهن أزواجهن. وقد تميزت عائلات المعماريين المبتكرين بوجود معـــايير واضحة للسلوك ، وأفكار عما هو صواب وما هو خطأ ، لكن هذه الأسر كانت في نفس الوقت تتوقع بل وتتطلب أن يقوم الطفل باكتشاف إيجابي وتبني إطار للســـلوك الشخصي.

هذا وقد كشفت دراسات أخرى عن خصائص تنشئة الأطفال المبتكرين تشبه ما توصل إليه ماكنون في دراسته ، فقد توصل (Christie, 1970) إلى أن تشجيع

الطفل المبتكر يساعده على الاستقلال ، كما تبين وجود احترام من قبـل الوالـدين للطفل المبتكر والثقة في قدراته ، وإعطائه الحرية لاستكشاف عالمه واتخاذ قراراته بنفسه ، كما لاحظ عدم قوة ارتباط الطفل مع أسـرته ، وأيضـا ضـعف العلاقـة الوجدانية بينه وبين الأسرة.

وتؤيد دراسة كل من درايير و ويلز (Dreyer and Wells, 1960) نتائج الدراسات السابقة ، وقد أجريت هذه الدراسة على 24 طفل في الرابعة والخامسـة من العمر كانوا تلاميذ في مدرسة تجريبية تابعة لإحدى الجامعات.

وقد طبق على التلاميذ اختبارات تورانس للتفكير الابتكاري ، كمـا أجـرى على والديهم عدد من المقاييس السيكولوجية ، وقد تبين أن آباء الأطفال المبتكـرين جداً ، يعطون أهمية أقل على الوحدة الدينية والأخلاقية وعلـى الصـحبة كمـا أن أمهات هؤلاء الأطفال أظهرن اهتماماً أقل بمكانة الفرد في الجماعة. واهتماماً أكثر بالأمور اليومية والشعور بالأمن الوجداني. كما أنهـم سـمحوا للأطفـال باتخـاذ القرارات الهامة ، وحرية الاستكشاف الاجتماعي في سن مبكرة. وقد كانـت تلـك الأمهات يملن إلى تشجيع الطفل في أن يفكر في الأدوار المهنية للراشدين في سـن مبكرة. كما جاءت أكثر النتائج إثارة للاهتمام كانت التوتر المرتبط بالـدور والـذي ظهر عند والدي الأطفال. وقد فسر ذلك على أساس أن هؤلاء الوالدين كانوا يميلون إلى أن يعبروا عما يوجد في ذواتهم وفي زوجاتهم أو أزواجهن من خصائص سلبية . مما يعني أن هؤلاء الأفراد منفتحين على مشاعرهم ومشاعر الآخرين. وحينمـا استخدمت درجة الابتكار اللفظي كمحك وجد أن آباء الأطفـال المنخفضـين فـي الابتكار بأنهم أظهروا اهتماما أكثر بالأمن الاقتصـادي ، واهتمامـا أقـل بـالأمن الوجداني ، بينما أظهرت أمهات الأطفال المبتكرين اهتماما أكثر بالأمن الاقتصادي، واهتماماً أقل بمكانة الفرد في الجماعة . واهتماما أكثر بـالأمن الوجـداني. لكـن

الفروق بين والدي المبتكرين جدا والأقل ابتكارا في بعض هذه الخصائص لم تكـن كبيرة ، كما أن بعض النتائج جاءت متناقضة مع نتائج (جاكسون – 1962) حيـث وجد أن والدي المراهقين الأذكياء جدا أفادوا بأنهم تعرضوا لصعوبات مالية أكثـر من والدي المبتكرين جدا ، وإذا كان الأمر كذلك ، فربما ضغطوا على أبنائهم لكـي يتوقفوا في المدرسة. وحيث أن والدي المبتكرين جدا أشاروا إلى صـعوبات ماليـة بقدر أقل من والدي الأذكياء جدا ، فربما أمكن القول بأن عـدم الشـعور بـالأمن الاقتصادي قد يكون عاملاً مضاداً للابتكار.

ومن الدراسات الشهيرة والتي تناولت خصائص شخصيات المراهقين دراسة جنسلز وجاكسون (Geizels and Jackson, 1962) فقـد قارنـا فيهـا بـين المراهقين الأذكياء جداً والمبتكرين جداً ، وقد وجد في هذه الدراسـة أن تحصـيل المراهقين المبتكرين كان ممتازاً ومساوياً لتحصيل المراهقين الأذكياء بالرغم مـن أن متوسط نسبة ذكاء المراهقين المبتكرين كان يقـل عـن متوسـط نسـبة ذكـاء المراهقين الأذكياء بـ 23 نقطة. وكان التلميذ الذكي يعتبر مرغوبا فيه بينما لم يكن يعتبر التلميذ المبتكر كذلك.

وفي إنتاجهم المبني على الخيال كان المراهقـون المبتكـرون يسـتخدمون موضوعات متحررة من القيود ونهايات غير متوقعة وكانوا يعمدون إلـى الفكاهـة واللعب ، وقد كان هناك فرق جوهري في الاختبارات المهنية لكـل مـن هـاتين المجموعتين ، فقد اختار 62% من المراهقين المبتكرين منها غيـر مألوفـة مثـل مغامر ، مخترع ، كاتب ، بينما اختار 16% فقط من المراهقين الأذكياء مثل هـذه المهن ، واختار 84% منهم مهنا مألوفة مثل طبيب ، محامي، مهندس ، وقد استنتج جاكسون وجتسلز من دراستهما أن جوهر أداء المراهقين المبتكـرين يكمـن فـي قدرتهم على أن ينتجوا أشكالا جديدة. وأن يخاطروا بالربط بين المبادئ التي تعتبـر

عادة مستقلة وغير متماثلة وأن يتجهوا إلى اتجاهات جديدة ، ويبدو المراهق المبتكر ممتلكا للقدرة على أن يحرر نفسه من المألوف وأن يفترق عن المعتاد وهـو يبـدو مستمتعاً بالمخاطر المرتبطة بعدم اليقين والمجهول وعلى خلاف ذلك ، فـالمراهق الذكي يمتلك بدرجة كبيرة القدرة والحاجة إلى أن يركز على الأشياء العادية ، وإلى أن يوجه ويسير في اتجاه الاستجابة الصحيحة والمعتادة ، كما يبدو أنه يبتعـد عـن المخاطرة وعدم اليقين المرتبطين بالمجهول ، كما يبحث عـن الأمـن والطمأنينـة المرتبطين بما هو معروف.

وتوجد أوجه شبه عدة بين نتائج الدراسات التـي يصـف فيهـا البـاحثون شخصيات المراهقين باستخدام الأدوات الموضوعية أو أسـلوب الملاحظـة مثـل الدراسة السابقة ، وبين الدراسات التي يصف فيها المراهقون المبتكـرون أنفسـهم باختيار من خصائص تعرض عليهم يرون أنها تتفق عليهم. ومثـل هـذا التشـابه يعطي تأييدا لنتائج الدراسات التي استخدمت الأساليب الموضوعية ، ويكشـف فـي نفس الوقت عن وعي المبتكر بخصائص شخصيته.

أما بالنسبة لخصائص الأطفال المبتكرين ، فقد وجـد "تـورانس" أن هنـاك ثلاث خصائص تميز الأطفال المبتكرين في الفرقة الأولى وحتى الفرقـة السادسـة الابتدائية :

1- كان هؤلاء الأطفال خاصة الأولاد منهم يشتهرون بأن لديهم أفكار جامحـة أو سخيفة.

2- كان هؤلاء ينتجون أفكارا خارجة عن الطريقة المطروقـة ، بعيـدة عـن المألوف.

3- كانت أعمالهم تتسم بالفكاهة واللعب والافتقار إلـى الجمـود والاسـترخاء

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة أخرى تم فيها تقدير خصائص الأطفال المبتكرين بواسطة مقابلة قام بها متخصصون في الدراسات النفسية، وقد تميز الأطفال المبتكرون في هذه الدراسة بالخصائص الآتية :

- قوة صورة الذات ، سهولة الاستدعاء المبكر للخبرات ، الفكاهة ، إمكانية القلق ، النمو غير المتوازي للأنا ، وقد فسرت هذه الاستجابات على أنها تعكس معايير شخصية للتقويم بما يسهل استقلال الفرد عن بيئته.

وعن التنشئة الاجتماعية في المجتمعات الأفريقية ، أوضحت دراسة محي الدين صابر حول التنشئة الاجتماعية في المجتمع الأزاندي ، أن هذا المجتمع شأنه شأن كل المجتمعات البشرية فهو يتعرض لعوامل تنشئة متعارضة سواء في الوسائل أو الأهداف ، فهي تهدف إلى تأكيد القيم الراسخة وصياغة الفرد في ضوء لدوره الاجتماعي والاقتصادي السائد ن والقائم على تقسيم العمل الاجتماعي ، إلى جانب الخصائص الحضارية الفردية للأزاندي في التصور القرابي والديني. فأفراد في الأسرة يرتبط بأبيه وأسلافه برباط مقدس حميم ، كما أنه يرتبط بعشيرته برباط التماثل ، وبالمجتمع خارج عشيرته برباط التغاير.

والتنشئة الاجتماعية عند الأزاندي تدور في إطار ضيق في الأسرة ، وفي إطار أوسع في نطاق العشيرة ، ثم بعد ذلك في نطاق مجموعة العشائر التي تمثل المجتمع الأكبر.

وتبدأ فكرة الإلحاق عند الأزاندي بفكرة الزواج ، وليس البلوغ البيولوجي إلا مرحلة تمهيدية وليست حاسمة في هذا المقام. وتتميز التنشئة التقليدية عند الأزندي بنوع من التخصيص النوعي منذ وقت مبكر ، حيث يقوم الآباء على تنشئة الأبناء ، والأمهات على تنشئة البنات.

أما المجتمع الأزاندي المعاصر ، فيوجد فيه مجتمعين يميزهما عن بعض . البعد الزماني الذي يصنف المجتمع إلى جيل قديم وجيل حديث ، ويميزهما من ناحية أخرى البعد المكاني الذي يتمثل في سكان المدن والقرى.

ومع هذا ، فإن سلوك الجيل الجديد وسكان المدن يتميز بثنائية متناقضة فهناك بعض القيم العصبية لا يكاد يفلت منها أزاندي ، وبخاصة فيما يتصل بالقيم الدينية وبالقوى الغيبية ، بما في ذلك السحر ، وسلطانه على الحياة الاجتماعية.

ثانياً : البحوث والدراسات المصرية :

ومن البحوث التجريبية المصرية التي اهتمت بالتنشئة الاجتماعية وأساليبها المختلفة في الأسرة المصرية ما يلي (*):

بحث التنشئة الاجتماعية في قرية سلوا (بأسوان) حامد عمار (1954) :

تناول الباحث في هذه الدراسة موضوعات كثيرة منها التعلم والتعليم والنمو النفسي ، وتكوين الشخصية ، وتحديد السلوك ومعاييره في ضوء النمط الثقافي والحضاري العام في هذه القرية ، وقد اهتم الباحث بدراسة التركيب الاجتماعي للقرية وما يتمثل فيه من علاقات ومعايير اجتماعية مهتما بعناصر ثلاثة رئيسية هي القرابة – الجنس – السن.

هذا وقد كشفت الدراسة عن أهداف التنشئة الاجتماعية والتي كانت تهدف في المقام الأول إلى تطبيع الطفل على مسايرة معايير الراشدين والانصياع لتوقعات الكبار ، فقد لاحظ أن هدف التنشئة في قرية "سلوا" هي أن تخلق لدى الطفل الطاعة والأدب ، فالطفل المؤدب هو الذي يطيع والديه ، ولا يلعب إلا في المساء أو لا

* للتفصيل ، أنظر : لويس كامل مليكه ، قراءات في علم النفس في الوطن العربي ، 1985.

يلعب إطلاقا ، كما أن الأولاد والبنات يكونون مؤدبين حين لا يختلطـون ببعضـهم البعض ، وتؤكد التنشئة الاجتماعية على سلطة من هم أكبر من الطفل وتطلب منـه أن يطيعهم. وربما أصبحت هذه الظاهرة سمة قوية إذ يلاحظ كل مـن أن أي فـرد أكبر سناً أو مركزاً ينتظر من الصغار أو على الأقل مركزاً الطاعة وعدم مخالفـة توقعاته.

أما عن الأساليب التي تستخدما الأسرة لتنشئة أطفالها في القرية المصرية فهي :

1- خلق الخوف لدى الطفل بواسطة كائنات خرافية يمكن أن توقع به الأذى إذا ما أتى فعلا معيناً يخالف به تعليمات الأسرة.

2- استخدام العقاب البدني لحمل الطفل على الطاعة.

بحث الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل (محمد عمادالدين اسـماعيل وإبـراهيم منصور ، 1974):

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أسلوب التنشئة الاجتماعية في المدينة والتـي تناولت الاتجاهات الوالدية فـي مواقـف العـدوان ، والنـوم والتغذيـة والفطـام والاستقلال، والجنس ، والإخراج ، ومستقبل الأبناء.

هذا وقد توصل الباحثون إلى مجموعة من النتائج فيمـا يتصـل بأسـاليب التنشئة الاجتماعية:

أن الطبقة الدنيا تتميز عن الطبقة الوسطى بشكل واضح في استخدام أسلوب العقاب البدني أو التهديدية ، في حين أن الطبقة الوسطى تتميز باسـتخدام أسـلوب النصح والإرشاد اللفظي الذي يستهدف إلى إثارة الشعور بالذنب عند الطفل وإثـارة قلقه على مركزه سواء في الأسرة (علاقته بأبويه وأخوته) أو في المجتمع الخارجي

(مستقبله) ويتضح هذا الفرق في الاتجاهات بالنسبة لجميع المواقف التي جرى فيها البحث تقريبا.

كما تتميز الطبقة الوسطى عن الطبقة الدنيا في استخدام أسلوب الحرمـــان أو التهديد به (وهو أن كان مرتبطاً بالأسلوب السابق ، إلا أنه متميز عنه إلى حد مـــا) في حين أن الطبقة الدنيا لا تلجأ إلى مثل هذا الأسلوب. رغم أن هذه الأساليب لهـــا نتائج سلبية في شخصية الطفل.

بحث تكيف المراهقات ومجالاته (عبدالله محمود سليمان) 1973 :

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأسلوب التسلطي في التنشئة في كثيـــر من الأسر المصرية ، وقد طبقت الدراسة على تلميذات وتلاميذ المدارس الثانويـــة ، وجاءت النتائج أن التلميذات يشعرن بالحرج مـــن الغربـــاء ، ويتجنـــبن النـــاس ، ويكرههن النشاط الاجتماعي ، كما يصعب عليهن القيام بعملهـــن عنـــدما يشـــعرن بمراقبة الناس لهن. كما عبرت التلميذات عـــن حـــالات مـــن العصـــبية والخجـــل والارتباك وعدم الاهتمام بالاتصالات الاجتماعية.

بحث القيم الاجتماعية وتنشئة الطفل (عماد الدين اسماعيل وآخرون ، 1967) :

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن القيم الاجتماعية السائدة فـــي العلاقـــات الأسرية في جوانب الوظائف والاختصاصات وتوزيعها ومدى تحديدها بين أفـــراد الأسرة وجانب التفضيل والمركز بين الأبناء من حيث السن والجنس وجانب السلطة وتوزيعها بين أفراد الأسرة ، كما استهدف البحث الكشف عن الفروق بين الطبقتين الوسطى والدنيا ، وبين الريف والحضر ، وبين الذكور والإناث.

بحث الاتجاهات الوالدية في التنشئة ومستقبل الأبناء (كمال دسوقي ، 1979) :

أثبتت هذه الدراسة أن المطالب التي تفرضها الأسرة على الطفل والطـــرق التي تتبعها الأسرة معه وموقف الوالدين منه ، والقيم المطبقة عليــه فـــي عمليـــات التنشئة الاجتماعية تختلف اختلافاً له دلالته في الطبقة المتوسطة عنه فـــي الطبقـــة الدنيا.

فقد بينت النتائج أن الوالدين في الطبقة المتوسطة يميلان إلى فـــرض قـــدر أكبر من الضغط على أطفالها خلال عملية التنشئة الاجتماعية وما يليها فـــي فتـــرة التحصيل الدراسي ، فالتحصيل الدراسي ما هو إلا نوع آخر من المواقـــف التـــي يظهر فيها هذا الفرق.

أما الآباء في الطبقة الدنيا فيتميزون بالتواضـــع فـــي طموحـــاتهم بالنســـبة بمستقبل الأطفال ، ولما كان أطفال هذه الطبقة يمثلون الغالبية العظمى من أطفـــال مدارس المرحلة الأولى ، وهذا يفسر ما يلاحظ من انخفـــاض مســـتوى التحصـــيل انخفاضا غير عادي بين أطفال هذه المرحلة.

بحث أساليب تنشئة الأسر المصرية لفتياتهـــا الجامعيـــات وعلاقتهـــا بســـلوكهن العدواني واتجاهاتهن التسلطية (محي الدين أحمد حسين ، 1982) :

1 - **أهداف البحث** :

يتركز الهدف الأساسي لهذا البحث حول الوقوف على علاقة أساليب التنشئة في الأسرة المصرية لفتياتها الجامعيات ، وعلاقتها بالسلوك العدواني لهؤلاء الفتيات واتجاههن التسلطي ، حيث تبين في بحث سابق انتظام صيغ تنشئة الأسرة المصرية لفتياتها الجامعيات في أبعاد ثلاثة هي :السماحة – التشدد – عدم الاتساق

لذلك فقد حدد الهدف الأساسي للبحث في التالي :

يبرز السلوك العدواني والاتجاه التسلطي لــدى الفتيــات الجامعيــات عنــد معايشتهن مناخا للتنشئة الأسرية يتسم بالتشدد وعدم الاتساق ويتقلص هذا الســلوك وهذا الاتجاه لديهن عندما يشتهين مناخا للتنشئة الأسرية يتسم بالسماحة.

2- **أدوات البحث** :

استخدم الباحث ثلاثة مقاييس سيكولوجية هي :

1- مقياس التنشئة الأسرية وأساليبها.

2- مقياس السلوك العدواني.

3- مقياس الاتجاهات التسلطية.

وقد تم تصحيح هذه المقاييس وبيان صــلاحيتها الســيكومترية فــي إطــار المجتمع المصري، وتلا ذلك إجراء بعد المعالجــات الإحصــائية مثــل معــاملات الارتباط ، وتحليل عالمي من المرتبة الأولى وتدوير للمحاور ، التي رؤيــت مــن خلالها إمكانية الوقوف على طبيعة أسلوب التنشئة الذي تبرز في ظله أكبر درجــة من السلوك العدواني والاتجاهات التسلطية لدى الفتيات.

3- **العينة** :

تكونت عينة الدراسة من مجموعة من 215 طالبة جامعية من طالبات كليــة الآداب جامعة القاهرة ، يمثلن الفرق الدراسية الأربعة مــن أقســام علــم الــنفس والاجتماع والفلسفة ، تتراوح متوسط أعمارهم من 18إلــى 20 عامــاً بــانحراف معياري قدره 2.6 عاما.

4- **نتائج الدراسة :**

1) تبين من الدراسة التي أثمرتها المعالجات الإحصـــائية بـــروز الســـلوك العدواني والاتجاه السلطي في أقصى درجاتهما في مناخ التنشئة المتســم بعدم الاتساق ، وبروزهما أيضا وإن كان بدرجة أقل ، في مناخ التنشئة المتسم بالتشدد ، بينما ينحسران في مناخ التنشئة المتسم بالسماحة.

2) إن صيغة التفاعل التي ينسجها الآباء في علاقتهم بأبنـــائهم لهـــا تـــأثير واضح على سلوك الأبناء.

3) إن هناك فروقا بين الأفراد في السلوك العدواني والاتجـــاه التســـلطي ، وتؤكد الدراسة على هذا الاستنتاج فقد تبين أن الفروق بين الأفراد شـــبه ما تكون إلى الفروق المحكومة بنظام معين له منطقة ، وإلا ما أظهـــرت هذه الفروق بين المفحوصات في العدوانية فروق بينهن مـــن التســـلطية أيضا.

4) إن التباين بين المفحوصات انعكاس لظروف اجتماعيـــة محيطـــة بهـــن ترتبط بصيغ التنشئة الأسرية.

5) إن الفروق بين الأفراد في سلوك معين ، يختلف باختلاف العمـــر ، وإن كان يأخذ صورا متباينة في المراحل العمرية المختلفة.

6) إن تفسير نتائج أية دراسة لابد أن ننظر في علاقة أساليب معينـــة عـــن التنشئة ، أي لابد أن يعالج أنواع السلوك المختلفة فـــي إطـــار معالجـــة التفاعل الذي يقوم بين (المنشئ والمنشأ وصيغة التنشئة) فمن الفروق أن يولي الاهتمام إلى هذا الثالوث ، وإن إغفال أحد أركانه سوف يخل

بشمولية النظرة إلى التنشئة الاجتماعية.

7) ترى الدراسة أن أفضل إطار يمكن معالجة هذا الثالوث من خلاله هو أفكار نظريات التعلم ، فهذا الثالوث لا يخرج في فحواه عن (معلم ومتعلم وأسلوب للتعلم).

بحث التأثيرات النفسية الاجتماعية للغزو العراقي على الطفل الكويتي [*]:

دراسة ميدانية على عينة من الأسر المقيمة بالقاهرة أثناء الغزو :

تهتم هذه الدراسة بالطفل على اعتبار أن الطفولة هي المرحلة التي يتم من خلالها تشكيل شخصية الطفل حيث يكتسب سمات وخصائص تسهم في تكوين الشخصية الإنسانية في المستقبل.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في محاولة فهم المعرفة الواقعية لسلوك الطفل ، وأيضا فهم العمليات الاجتماعية المرتبطة بالسمات الشخصية كفهم عمليات التنشئة الاجتماعية وعواملها ، وما ينتج عنها من نماذج سلوكية تؤثر على الطفل سلبا أوإيجابا ، ومعرفة ما تحدثه عوامل التنشئة الاجتماعية من فهم لطبيعة الطفل والإعداد لتعديل وتهذيب سلوكه عن طريق المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام.

---

[*] زينب إبراهيم العزبي ، التأثيرات النفسية والاجتماعية للغزو العراقي على الطفل الكويتي ، ندوة عاطف غيث العلمية السادسة (العلوم الاجتماعية ومشكلات المجتمع العربي ، مشكلات الطفولة) ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 26-28 ابريل 1995.

الإطار المنهجي للدراسة :

يقدم البحث معرفة واقعية عن السمات الشخصية للطفل الكويتي في المرحلة من (8-12) عاما والتي تسمى بمرحلة الطفولة المتأخرة بهدف تقديم معلومات يمكن استخدامها في تقديم خدمات ارشادية تساهم في مقابلة احتياجات الأطفال بعد التحرير ، كما تساعد هذه الدراسة على فهم المتغيرات المرتبطة بسمات شخصية الطفل بما يفيد في مساعدته على التوافق النفسي والتكيف مع البيئة التي يعيش فيها، وتتبع فكرة الدراسة من الإحساس بالافتقار الشديد إلى المعلومات التي تتعلق بسمات شخصية الطفل الكويتي في مصر أثناء تلك المحنة ، والافتقار إلى معلومات تتعلق بالتكيف مع البيئة الجديدة ، كما تعتبر هذه الدراسة نواة لدراسة أخرى عن الطفل الكويتي في الداخل والطفل الكويتي في الخارج أثناء المحنة.

ومن ذلك المنطلق تبدو أهمية الدراسة في أنها توضح لنا رؤية الطفل الكويتي لما جرى أبان الأزمة والحرب ، والتي تكونت من خلال تفاعل عدة أمور أولها : معاناته المباشرة وأخرى أسرته ومجتمعه وثالثهما ما يتلقاه من المدرسة وأخيرا ما يترامى إلى مسامعه من دعايات إعلام الأزمات من خلال ما تعرض له أطفال الكويت الذين كانوا خارج بلادهم أثناء الأزمة ، والذين حرموا من العودة وما تعرض له أخواتهم وآبائهم الذين بقوا في الكويت حيث اختلفت أسباب المعاناة المباشرة للأطفال في الأقطار العربية إلى حالات المعاناة النفسية الشديدة بفعل ما يشاهدونه ويسمعونه من خلال وسائل الإعلام في الدعايات المتضاربة التي تحيرهم وتستثيرهم.

وينطلق هذا البحث من افتراض رئيسي هو أن العوامل النفسية والاجتماعية تلعب دورا هاما في نمو الطفل وتشكيل شخصيته ، واتجاهاته واختياراته منذ مراحل طفولته الأولى ، وقد أمكن في ضوء هذا الافتراض تحديد أهداف البحث في

الكشف عما يلي :

أ- التعرف على رؤية الطفل الكويتي لما جرى أبان الأزمة والحرب.

ب-التعرف على المشكلات التي يعاني منها الطفل ، ومعرفة السلبيات النفسية والاجتماعية للأزمة وانعكاساتها عليه.

ج- معرفة الآثار الإعلامية للحرب على الطفل الكويتي.

د- معرفة مدى استخدام القوة في حل الخلافات التي تنشب بين قطريين عربيين.

ه- تحديد أهم الإجراءات التي يجب اتخاذها لحل الأزمة.

كما تسعى الدراسة للإجابة على مجموعة من التساؤلات التي تدور حول :

1- ماهى الآثار الاجتماعية والنفسية الايجابية والسبية للغزو على الطفل الكويتي؟

2- ماهى تأثيرات الغزو على سمات شخصية الطفل الكويتي خاصة والعربي عامة؟

3- ماهى طبيعة الأحكام التي يصدرها الطفل في المرحلة العمرية من 8-12 عاما وتأثيرها على بعض جوانب شخصيته وهويته المرتقبة؟

مصادر جمع البيانات :

استخدمت الدراسة مصدرين أساسيين لجمع البيانات هما :

- دراسة الحالة.
- الحوار والمناقشة الجماعية.

وقدر رأت الدراسة أن استخدام دراسة الحالة توفر فرصة إطار زمني عري للحالة وخصائصها ، كما أنه يمكن من خلالها الوصول إلى جوهر وجذور بعض البيانات من خلال رصد الواقع الفعلي للأزمة والتعرف على آثارها الاجتماعية والنفسية باستخدام دليل دراسة الحالة والذي اشتمل على 52 سؤال.

أما المناقشة الجماعية فكان استخدامها بقصد التعرف على بعض الملامح الاجتماعية لهذه الأسر ، واستطلاع آرائهم حول عدد من الموضوعات الهامة في ظل ظروف الحرب.

المجال الجغرافي للدراسة :

وقد وقع الاختيار على مدينتي القاهرة والإسكندرية كمجال جغرافي للدراسة حيث كانت تقيم بها مجموعة من الأسر الكويتية التي تقيم مع أبنائها بمصر قبل الغزو وبعده.

وقد وقع الاختيار على (145) طفلا من الأطفال المقيمون في مصر والملتحقون بالمدارس الابتدائية والاعدادية بمدينتي القاهرة والإسكندرية ، وقد حددت الدراسة المجال الزمني من مارس (9-1992) لتكون مجالا زمنيا تقوم حوله الدراسة نظريا وامبيريقيا وهي فترة بداية نشوب الغزو العراقي على الكويت.

نتائج الدراسة :

توصلت الدراسة الميدانية لمجموعة من النتائج التي توضح أهم التأثيرات النفسية الاجتماعية للغزو العراقي على الطفل الكويتي داخل الأسر المقيمة في مصر أثناء الغزو ، حيث سعت الدراسة إلى استطلاع وعي الأطفال وإدراكهم وتصورهم للأزمة والحرب من خلال بعض المواقف النفسية والاجتماعية.

وتتلخص النتائج فيما يلي :

1- إن 68% من الأسر ترى أنها صدمة غير متوقعة ، حيث أثر الغزو الكويتي عليهم فكان الارتباك والحزن وفقدان الشعور بالأمان سمة غالبة على الأسر.

2- إن 43% من الأسر ترى أنها لم تقم في مستوى مناسب أو مساوي لما كانت تعيش عليه ، في حين أشارت 57% من الأسر أن مستوى الحياة لا يقل كثيرا عما قبل.

3- تأثرت 75% من الأسر بمستوى الدخل حيث أفادت بوجود صعوبات كثيرة في الحياة المعيشية.

4- أشارت 60% من الأسر قلقهم على أبنائهم ، إذ ظهرت عليهم أعراض من القلق والمخاوف والغضب والاضطرابات أثناء النوم.

5- أجابت 42% من الأسر أن الأزمة أضعفت من بعض القيم الذاتية مثل قيل العمل والتعليم والتعاون ، كما اتفق 35% من الأسر على أن الأزمة أفرزت قيم الأنانية والفردية.

6- اتفقت 90% من الأسر على ضرورة التفكير في المستقبل ، والتغلب على الصعوبات و التحول من السلبية للإيجابية ، فقد رأت 49% من الأسر رفض بعض المعايير الثقافية الخاصة بالسلوك وبعض الممارسات والنظر إلى مستقبل علاقاتهم بأولادهم ، وترشيد المصروفات، والإبقاء على عروبة الكويت.

7- أوضحت استطلاعات الرأي العام المتكررة للأسر حول فكرة الوحدة

العربية أنهم يؤمنون بمفهومها العام ، ويتحمسون لفكرة القومية ، ولكنهم يتـــرددون دائما في الموافقة على قيام وحدة عمليا بين الدول العربية ، فالحماس لفكرة الوحـــدة شيء ، أما تحول الفكرة إلى واقع فهو شيء آخر غير مطلوب.

بحث بعض العوامل المؤثرة على السلوك الاجتماعي للأطفال في مرحلة الطفولـــة المبكرة ومدى ظهور المشكلات السلوكية بينهم (*):

1- **أهداف البحث** :

أجريت الدراسة بغرض التعرف على العوامـــل المـــؤثرة علـــى الســـلوك الاجتماعي ، ومدى ظهور المشكلات السلوكية للأطفال في مرحلة الطفولة المبكـــرة وذلك من خلال :

1) تحديد المستوى الاجتماعي والاقتصادي لأسر الأطفال المبحوثين.
2) التعرف على مستوى وعي الأمهات فيما يتعلق بأساليب التنشئة الاجتماعية لأطفالهن.
3) التعرف على السلوك الاجتماعي للأطفال المبحوثين.
4) التعرف على المشكلات السلوكية الشائعة بين الأطفال المبحوثين.
5) التعرف على مستوى الصحة النفسية لأمهات الأطفال المبحوثين.

---

* ليلى محمد الخضري ، بعض العوامل المؤثرة على السلوك الاجتماعي للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة ، ندوة عاطف غيث الساعة السادسة ، العلوم الاجتماعية ومشكلات المجتمع العربي ، 26-28 ابريل ، 1995 ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1995، ص ص 291: 293.

6) دراسة تأثير كل من المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسـرة ، ومسـتوى وعي الأمهات فيما يتعلق بأسلوب التنشئة الاجتماعية لأطفالهن ، ومسـتوى الصحة النفسية للأمهات على السلوك الاجتماعي لأطفال المبحوثين.

7) دراسة تأثير كل من المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة علـى مـدى ظهور المشكلات السلوكية للأطفال المبحوثين.

2- **أدوات جمع البيانات** :

جمعت بيانات البحث باستخدام الاستبيان ، وقد اشتمل الاستبيان على خمسة محاور رئيسية تناول المحور الأول منهـا بيانـات علـى المسـتوى الاجتمـاعي والاقتصادي للأسرة (تعليم الأم – عملها – متوسط الدخل الشهري للفرد في الأسرة – عدد الأطفال ، درجة التزاحم الحجري).

وتناول المحور الثاني بيانات عن وعي الأم فيما يتعلـق بأسـلوب التنشـئة الاجتماعية لأطفالهن من خلال خمسة مواقف مختلفـة وهـي مواقـف التغذيـة ، الإخراج، النوم ، الحياء والتربية الجنسية – التدريب على الاسـتقلالية والأسـلوب التربوي المتبع في علاج مشكلات سلوكية قد تظهر على الطفل.

كما تناول المحور الثالث عبارات تفيد الإجابة عليها توضيح مـا إذا كـان الطفل يعاني من مشكلات سلوكية معينة وهي مشكلات العدوان، الخوف، التغذيـة، مص الأصابع، قضم الأظافر، التبول اللاإرادي ، مشكلة النطق.

أما المحور الرابع من الاستبيان فقد تناول قياس مستوى الصـحة النفسـية باستخدام اختبار Middle sex.

وأخيرا تناول المحور الأخير قياس مستوى السلوك الاجتماعي للطفل

باستخدام اختبار السلوك الاجتماعي والذي وضعه كله من د. محمود منسي و د. سيد الطواب (1986).

3- **العينة** :

اختيرت عينة عشوائية قوامها (236) طفل في عمر (3-6) سنوات وأمهاتهم ، وذلك في ست حضانات ، وعلى مستوى أربع إدارات في محافظة الإسكندرية ، بحيث تمثل هذه المناطق مستويات اجتماعية اقتصادية مختلفة ، وقد أجرى التحليل الاحصائي باستخدام معامل الارتباط.

4- **النتائج** :

أسفرت الدراسة على النتائج التالية :

1) وجدت علاقة ارتباطية سلبية ومعنوية بين كل من مستوى تعليم الأم ودرجة التزاحم الحجري ، الهستيريا ، الخوف ، الإحباط ، مع مستوى السلوك الاجتماعي للطفل ، كذلك وجدت علاقة ارتباطية موجبة ومعنوية بين كل من عمر الأم ، متوسط الدخل الشهري للفرد ، وعي الأم بأسلوب التنشئة الاجتماعية. ومستوى السلوك الاجتماعي للطفل.

2) وبالنسبة للمشكلات السلوكية للطفل، وجد ارتباط ايجابي ومعنوي بين مستوى تعليم الأم ومشكلات تغذية الطفل ، وكان الارتباط سلبي ومعنوي بين نفس المتغير وبين كل من التبول اللاإرادي وبين متوسط الدخل الشهري للفرد في الأسرة والتبول اللاإرادي أيضا ، وأيضا بين كل من السلوك العدواني للطفل ودرجة التزاحم الحجري.

3) وجد ارتباطا سلبيا ومعنويا بين وعي الأم بأسلوب التنشئة وكل من السلوك

العدواني ومشكلات التغذية والخوف للطفل.

4) أيضا وجدت علاقة ارتباطية موجبة ومعنويـــة بـــين ظهــور المشـــكلات السلوكية بصفة عامة للأطفال المبحوثين ، وإصابة أمهاتهم بأمراض نفســية هي الهستيريا والمرض النفسي العضوي والوسوسة ، والخوف والإحباط.

المصادر

1- ماهر محمود عمر ، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية ، مصـــدر مـــذكور ، ص ص 61-62.

2- فوزية دياب ، نمو الطفل ، وتنشئته بين الأسرة ودور الحضـــانة ، مكتبـــة النهضة المصرية ، ط2، القاهرة ، 1980، ص ص 153-154.

3- عباس محمود عوض ، مدخل إلى الأسس النفسية والفسيولوجية للســـلوك ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1985، ص 151.

4- عادل عز الدين الأشول ، علم نفس النمو ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط1، القاهرة ، 1978، ص 313.

5- عباس محمود عوض وآخرون ، علم النفس الاجتماعي ، مصدر مذكور ، ص 54.

6- حامد عبدالسلام زهران ، علم النفس الاجتماعي ، مصـــدر مـــذكور ، ص ص 213-215.

7- عبدالرحمن عيسوي ، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، دار الفكر الجـــامعي ، القاهرة ، 1985، ص ص 188-190.

8- Zanden, J. W. V; Social Psychology, New York, Random House, 1975, PP. 115-117.

9- هنري ، ومايرا ، ثلاث نظريات في نمو الطفل ، ترجمة هدى محمد قناوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1981، ص ص 181-182.

10- حامد عبدالسلام زهران ، الاتجاهات النفسية عند الأولاد والوالدين والمربيين

نحو بعض المفاهيم الاجتماعية ، في سعيد إسماعيل ، الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1973، ص 139.

11- حسين عبدالحميد رشوان ، الطفل : دراسة في علم النفس الاجتماعي ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1992، ص ص 108-110.

12- هدى محمد قناوي ، الطفل وتنشئته وحاجاته ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، 1983، ص 16.

13- حسين عبدالحميد رشوان ، مصدر مذكور ، ص ص 111-113.

14- حامد عبدالسلام زهران ، علم النفس الاجتماعي ، مصدر مذكور ، 215.

15- ماهر محمود عمر ، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية ، مصدر مذكور ص ص 62-63.

16- حامد عبد السلام زهران ، مصدر مذكور ، ص 215.

17- المصدر السابق ، ص ص 216- 217.

18- فؤاد البهي السيد ، الأسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربي ، 1975.

19- سهير كامل أحمد ، المدخل إلى علم النفس ، مصدر مذكور، ص 58.

20- المصدر السابق ، ص 62.

21- إبراهيم وجيه ، التعلم ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1979.

22- خضير مسعود الخضير ، المرشد التربوي لمعلمات رياض الأطفال ، مكتب التربية العربي ، القاهرة ، 1986.

23- سيد عثمان ، علم النفس الاجتماعي التربوي ، مكتبة الانجلو المصرية ،

ط1، القاهرة ، 1970.

24- سيد عثمان ، علم النفس الاجتماعي التربوي ، مكتبة الخانجي ، القــاهرة ، 1976.

25- سهير كامل أحمد ، المدخل إلى علم النفس ، مصدر مذكور ، ص 61.

26- Edwin P. Hollander, Principle and Methods of social Psychology, 2nd , New York , Oxford Univ., Press, 1971, PP 159 : 162.

27- J, P. Flanders, A Review of research on Imitative behavior psychological bulletin, 1968, PP. 316: 337.

28- L, Kohlberg, stages in the Development of Moral Thought and action, New York, 1969.

29- Leinard S. Cottrell in, International Interaction and the Development of the self in David .A, Cooslin, 1971, PP. 543-570.

30- John H. Flavell, "The Development of Role-taking and Communication Skills in children" in David Field, ed., Social Psychology for sociologist, London Nelson, 1974, PP. 47-67.

31- خلدون حسن النقيب ، الطفولة والتنشئة في علم النفس الاجتماعي ، لــويس كامل مليكه (محرر) في قراءات في علم النفس في الوطن العربي ، المجلد الرابع ، 1985، ص ص 53-73.

32- عباس عوض وآخرون، علم النفس الاجتماعي، مصدر مــذكور، ص ص 66-67.

33- المصدر السابق ، ص 68.

34- مختار حمزة ، أسس علم النفس الاجتماعي ، ط2 ، دار البيـــان العربـــي ، جده ، 1982، ص 214.

35- المصدر السابق ، ص 235.

36- نفس المصدر ، ص ص 240-241.

37- عادل عز الدين الأشول ، سيكولوجية الشخصية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، 1978، ص 260.

38- انتصار يونس ، السلوك الانساني ، مطبعـــة الاســـكندرية ، الاســـكندرية ، 1978، ص ص 264-273.

39- عباس عوض وآخرون ، مصدر مذكور ، ص ص 72-74.

40- المصدر السابق ، ص ص 77-80.

41- نفس المصدر، ص ص 74-75.

لمزيد من التفصيل حول البحوث والدراسات التي أجريت عن التنشئة الاجتماعيـــة انظر الدراسات التالية :

- عبدالله محمود سليمان ، مدى توافر عوامل الابتكار في الثقافـــة العربيـــة ، لويس كامل مليكة (محرر في قراءات في علم النفس في الوطن العربـــي ، المجلد الرابع ، 1989، ص ص 75-93.

- محي الدين صابر ، التنشئة الاجتماعية في الأزاندي ، لويس كامـــل مليكـــة (محرر) في قراءات في علم النفس في البلاد العربيـــة ، المجلـــد الثـــاني ، 1970، ص 79.

- حامد عمار ، التنشئة الاجتماعية في قرية سلوا – أسوان ، لويس كامل مليكة (محرر) في قراءات في علم النفس في الوطن العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المجلد الرابع ، 1985.
- محمد عماد الدين اسماعيل ، نجيب اسكندر ، رشدي فام ، منصور ، كيف نربي أطفالنا ، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية ، دار النهضة العربية ، 1974.
- عبدالله محمود سليمان ، تكيف المراهقات ، 1959-1973، المجلة الاجتماعية القومية ، ص ص 359-390.
- منيرة أحمد حلمي ، مشكلات الفتاة المراهقة وحاجاتها الارشادية القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1965.
- محيي الدين أحمد حسن ، أساليب تنشئة الأسرة المصرية لفتياتها الجامعيات وعلاقتهن بسلوكهن العدواني واتجاهاتهم التسلطية ، لويس كامل مليكة (محرر) في قراءات في علم النفس في الوطن العربي ، المجلد الرابع ، 1985، ص ص 97-112.
- زينب إبراهيم العزبي ، الآثار النفسية الاجتماعية للطفل الكويتي ، دراسة تجريبية على عينة من الأسر المقيمة في القاهرة أثناء الغزو . ندوة عاطف غيث السادسة ، العلوم الاجتماعية ومشكلات المجتمع المصري ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1995.
- ليلى محمد الخضري ، بعض العوامل المؤثرة على السلوك الاجتماعي للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة ، في ندوة عاطف غيث السادسة (ملخصات البحوث) العلوم الاجتماعية ومشكلات المجتمع العربي ، 26-28 ابريل ، 1995، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1995.

الفصل الرابع

أهمية رعاية الطفولة

أولاً:لمحة تاريخية عن مصطلح الطفولة.

ثانياً:رعاية الطفولة.

ثالثاً:أسس رعاية الطفولة.

رابعاً:حاجات الطفولة.

أولاً:لمحة تاريخية عن مصطلح الطفولة:

قد يبدو للوهلة الأولى أن مصطلح الطفولة وأهمية تقديم الرعاية اللازمة لها والعناية بها أمر بديهي ومعروف عبر العصور وذلك استناداً على أن الأطفال هـم فلذات الأكباد قديما وحديثا فكلما لا نفرط نحن في فلذات أكبادنا لا يفرط الأقـدمون في فلذات أكبادهم ، وما يجده القارئ في الكتـب والمؤلفـات المتصـلة بالطفولـة ورعايتها من تقسيم لمرحلة الطفولة إلى مراحل عمرية لكل مرحلة خصائصها التي يجب أن تنصب رعاية الطفل والعناية به في إطارها ، والنداءات المتكررة والجهود المبذولة لتقديم رعاية وعناية خاصة للطفل حتى قبل الولادة ، ذلك بالاهتمام بـالأم الحامل حرصا على إنجاب أطفال أصحاء قادرين على العـيش داخـل المجتمـع مزودين بقدرات جسمية وعقلية تمكنهم من التكيف مع الظروف الاجتماعية والبيئـة لخير دليل على تطور مفهوم الطفولة والحرص على العناية بها في الزمن الحاضر. ولكن الطفولة ورعايتها بالمعنى الذي سبق الإشارة إليه لم تكن معروفة منـذ القـدم اللهم باستثناء بعض الإشارات الواردة في كتب الأديان أو عند الفلاسفة والمفكـرين في تلك العصور . فمثلا نجد أفلاطون في القرن الثالث قبل الميلاد يؤكد على وجود فروق وراثية بين الأفراد من البشر وأنه ينبغي أخذ هذه الفروق في الاعتبار خاصة عند رعاية الأطفال. كما أكد ذلك تلميذه أرسطو الذي يـرى أن الأطفـال يولـدون وعقولهم عبارة عن صفحة بيضاء وأن فروقا فردية بينهم وأن التعلـيم والتـدريب للأطفال يجب أن يأخذ في اعتباره هذه الفروق[1].

وبالرغم من وجود هذه الإشارات على أهمية رعاية الطفولـة وتلـك الآراء الفلسفية التي نادى بها أفلاطون وأرسطو ، إلا أن الطفولة قديما لم تحظ بالاهتمـام والرعاية التي تحظى بها الآن . ويرى فيليب آبيز[2]. إن مصطلح الطفولة لم يكـن معروفاً في العصور الوسطى بالمعنى الذي عليه الآن بل إن معنى الطفولة قد أخـذ

في تلك الفترة معنى القصور وعدم القدرة ، فالأطفال قاصرون ويستمر اعتبارهم قاصرين حتى بلوغهم سن السابعة ، وبعد هذا السن يعتبر الأطفال وفقا لمنظور العصور الوسطى راشدين أو كبارا وعليهم أن يندمجوا في عالم الكبار بكل ما يعني ذلك من عمل شاق وواجبات قاسية تفوق إمكانياتهم وقدراتهم.

ويصف الدوق السابع لمقاطعة شافتسبيري[3] الذي عاش في أوائل اقرن الثامن عشر بين بريطانيا الأطفال في تلك الفترة بأنهم قد عاشوا ظروفا صعبة للغاية وأن أطفالا كانت تتراوح أعمارهم بين الخامسة والسادسة ذكورا كانوا يعملون لعشر ساعات يوميا في حالات وظروف غاية في القسوة وفي منتهى الخطورة على صحة هؤلاء الأطفال ، وكان هؤلاء الأطفال غالبا ما يتعرضون للمرض وتزداد نسبة الوفيات بينهم. أما الفئة من الأطفال الذين يتعرضون لظروف قاهرة تؤدي إلى فقدان من يراعهم أو إعاقة أسرهم أو أحد والديهم أو عجز أولياء أمورهم عن رعايتهم يجدون أنفسهم في الشوارع دون من يمد لهم يد العون والرعاية وحتى الذين يتم إيوائهم بالملاجئ لم يكونوا يجدون العناية الكافية.

ولم يكن الأمر مقتصرا على أوروبا وحدها بل انه في أمريكا في القرن التاسع عشر قد تعرض الطفولة لمثل ما تعرضت له في أوروبا في القرن الثامن عشر من معاناة وحرمان وإساءة معاملة وانتشار الأمراض بين فئة الأطفال. وخير دليل على ذلك مارواه باكوين Pakwin من أن الأطفال في تلك الفترة لا تتوافر لديهم الأغذية الجيدة وأن معظم الأطفال لا تتوافر لهم العناية والرعاية اللازمة وغالبا ما يموتون قبل أن يصلوا الثانية من عمرهم[4].

أما رعاية الطفولة والعناية بها في المجتمعات العربية الإسلامية فقد وجدت الأساس الديني والاجتماعي الذي تقوم عليه والذي يعطيها أهمية خاصة. فقد كان النبي يأمر بالعطف على الأطفال وحبهم ويحث على وجوب معاملتهم بالشفقة

والرحمة واللين . وقال الرسول (ص) : (ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا). وللرسول (ص) أحاديث كثيرة تركز على أهمية لعب الأطفال وفهم طبيعتهم وطريقة تربيتهم حيث يقول : (علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف).

هذا من حيث الأساس الديني فمثلا في أقوال وأفعال الرسول (ص) في أهمية رعاية الطفولة وكيفية تربية الأطفال والتي تستمد جذورها من القرآن الكريم الذي أوضح في آيات متعددة بعض مراحل الطفولة منذ بداية الإخصاب ، وأوضح حقوق الأطفال وحدد مراحل التكيف وتحمل المسئولية ونصيب الأطفال من الإرث وأهمية معاملة الأطفال اليتامى باللطف والمحافظة على أموالهم حتى يبلغوا أشدهم حيث قال تعالى : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن). واعتبر القرآن الكريم الأطفال زينة الحياة الدنيا حيث قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) واعتبر القرآن أن رعاية الوالدين لأولادهم وتربيتهم لهم مبررا ملزما للمولود أن يطيع والديه حيث يطالب الأبناء باحترام آبائهم وطاعتهم وحسن معاملتهم حيث يقول : (ولا تقل لهم أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا) ، وهكذا كان لهذا الاهتمام القرآني بالطفل ورعايته تأثير على كثير من مفكري الإسلام ، حيث أهتم عدد كبير منهم بموضوع رعاية الصغار والعناية بهم.

حيث نجد مثلا ابن خلدون ينادي بمبدأ مراعاة المراحل في نمو الطفل وتعليمه وتربيته وذلك في إطار قانون الأطوار الثلاثة ، ويرى طبقا لذلك أن تعلم الطفل ينبغي أن يستند على مبدأ التدرج حيث يقول في المقدمة : (إن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئاً وقليلا قليلا)[5]. أما أبو حامد الغزالي فيركز على مسئولية وأهمية دور الأبوين في تربية وتنشئة أطفالهم إن

الصبي أمانه في عنق والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية من كل نقش ومائلة إلى كل ما يمال إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والأخرى وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهل شقى وكان الوزر في رقبة القيم والولي عليه...[6]

ويعكس هذا الرأي أهمية خاصة حيث يمكن مقارنته برأي بعض علماء النفس الاجتماعيين والسلوكيين الذين يعتبرون تصرفات ومواف الإنسان وملامح شخصية هي انعكاس لمراحل التعليم والتربية والتنشئة الاجتماعية.

أما ابن سينا فقد ركز في اهتمامه بالطفولة على تعويد الطفل وتعليمه الأخلاق والسلوك الحسن ويرى ضرورة ابتداء مراحل تعليم وتدريب الطفل منذ الفطام حتى تترسخ في سلوكه ونفسه الأخلاق والعادات الذميمة ، ويحدد ابن سينا الأساس الذي يجب أن يؤخذ في الاعتبار عند بداية تعليم الطفل ويرى أنه لا يرتبط فقط بقياس العمر الزمني للطفل بل يعتبر النمو الجسمي والقدرة على الكلام والتركيز الذهني معايير أساسية لبداية تعليم الطفل حيث يقول : (إذا اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه وتهيأ للتلقين ووعي سمعه أخذ يتعلم القرآن وصورت له حروف الهجاء ولقن معالم الدين)[7]. إضافة إلى ذلك كثر من الكتابات والمؤلفات والتراجم لموضوعات وبحوث لها علاقة بتربية ورعاية الأطفال مستمدة جذورها من البيئة الإسلامية العربية ومستفيدة من الجهود العلمية في هذا الميدان.

ومن هنا يبدوا أن صورة الاضطهاد والحرمات التي كانت تعانيها الطفولة قد تغيرت وحتى في العصور الوسطى وفي القرنين الثامن والتاسع عشر. ومع كل ما عرفنا من مظاهر الحرمان وقلة الرعاية الجيدة للأطفال في تلك الحقبة من الزمن فإن أصواتاً كبيرة ارتفعت في تلك العصور المظلمة تنادي بنبذ الكثير من الأساليب الخاطئة والمفاهيم غير العلمية في مجال رعاية الطفولة . وعلى سبيل

المثال فقد أسهم جون كومينوس (1593-1671) في إنشاء مؤسسات لتعليم الأطفال وقام بجهود مكثفة في الاهتمام بتوعية الأمهات لأهمية تربة أطفالهم وذلك باعتبارهم أكثر التصاقا بأطفالهم وعن طريقهم يتعلم الطفل الشيء الكثير وأصدر كتابا بعنوان عالم الموضوعات الحسية المصورة[8].

ويعتبر جان جاك روسو (1712 - 1778) من المفكرين الذين نادوا بأن طبيعة الإنسان خيرة وأعلن رفضه لأسس ومبادئ رعاية وتربية الطفولة في عصره ونادى بأن تربية الأطفال وتنشئتهم ينبغي أن ترتبط بالاعتراف بالنمو الحر المتكامل للطفل مركزا على تقدير ميوله واتجاهاته وقدراته ويتضمن كتابة (إميل) جانبا هاما من آرائه ونظرياته في مجال تربية ورعاية الطفولة.

وفي بداية القرن التاسع عشر قام المفكر بستالوزي (1746-1827) بدراسة وبحث مظاهر وملامح ومواقف وسلوك واتجاهات الأطفال محاولة منهم لفهم طبيعة حياة الطفل ، وتبعا لذلك فقط نادى بستالوزي بأن العطف والحنان والمحبة يمثلون أهمية خاصة في نجاح وفاعلية تربية الأطفال.

وكان من نتيجة هذه الجهود وغيرها تغيير وتطور معنى ومفهوم رعاية الطفولة وتطورت تبعا لذلك برامج وخطط العناية بها. وظهرت في عصرنا الحاضر نظريات وآراء بأهمية الطفولة وضرورة رعايتها من النواحي الجسمية والصحية والخلقية والعقلية والاجتماعية وإلى حماية الحقة والحرمان والاعتراف بحقوق الطفل قبل وبعد الولادة . فقد نادى ستانلي هال Stanley Hall المعروف بأنه أول مؤسس لمجال دراسة نمو الأطفال مع بداية القرن العشرين بضرورة فهم تطور نمو الأطفال حتى يمكن رعايتهم والعناية بهم[9].

أما أرنولد جيسيل Arnold Gessel فقد كان في كثير من كتاباته يركز

على ظاهرة نمو الكائن الحي ويرى أن سلوك البشر يتجه نحو التنظـيم كلمـا زاد نموهم ويرى أن عملية التعلم والخبرة تساهم هـي الأخـرى فـي النمـو العقلـي والمعرفي للطفل ، واعتبر "جيسيل" من بين الباحثين الموضـوعين فـي مجـالات الطفولة فقد كان يقوم بملاحظة الأطفال ملاحظة منظمة ومخططة وبنـى نظرياتـه وآراءه على ما كان يقوم به من دراسات في مجالات رعاية الطفولة[10].

وقد كان لآراء هايز وارنر Warrner أهمية في تعميق فهم طبيعـة حيـاة الطفل ويرى أن النمو الإنساني في مراحله المختلفة والطفولة على وجه الخصوص يعكس التغير والانتظام ويرى أن لكل مرحلة من مراحل النمو خصائصـها التـي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار عند تقديم أي برنامج تعليمي أو تربوي[11].

أما جهود جان بياجيه Jean Piaget في مجال دراسـة النمـو المعرفـي للأطفال فقد أسهمت بجزء هام في فهم جانب حيوي وهام من حياة الطفل وساعدت على بذل الكثير من الجهود ووضع الكثير من البرامج لرعاية الطفولة فـي مجـال الاحتياج المعرفي وفي مجال رعاية الطفولة بصورة عامة[12].

وتعتبر جهود هؤلاء العلماء شموع مضيئة في مجال رعاية الطفـل وفهـم طبيعة احتياجاتها وإذا تعقدت الحياة وتشبعت الاحتياجات والتخصصات فقد زاد تبعا لذلك الاحتياج إلى العناصر البشرية المعدة إعدادا جيداً لخدمة المجتمعات والنهوض به ، وأصبح من الحاجات الضرورية لكثير من المجتمعات العمـل علـى تـوفير العناصر البشرية المؤهلة والمدربة والمعدة إعدادا جيدا لتحمل المسئولية والمساهمة الفعالة في حركة بناء المجتمع.

وقد قابل كل هذه الجهود والنداءات والبـرامج الخاصـة بالعنايـة بالطفـل ورعاية هذا الإعلان العالمي لحقوق الطفل الذي لخص الجوانـب الهامـة لرعايـة

الطفولة وجاء معبرا عن الاتجاه والاهتمام العالمي بأهمية وضرورة تقديم الرعاية اللازمة للطفولة وذلك على اعتبار أن الطفولة مرحلة مهمة من مراحل حياة الإنسان باعتبارها المصدر الوحيد للثروة البشرية لأي مجتمع. وقد صدر هذا الإعلان العالمي لحقوق الطفل في منتصف القرن العشرين وبالتحديد في شهر نوفمبر 1959 وقد تضمن مبادئ عامة أفردها المجتمع العالمي كقاعدة أساسية لرعاية الطفولة والاهتمام بها وقد أحتوى هذا الإعلان على عشرة مبادئ تعكس أبعادا هامة في حياة الطفل ونستعرض هذه المبادئ حتى يمكن مقارنة أهميتها في إطار الصورة التي كانت عليها رعاية الطفولة في العصور الوسطى وما قبلها.

وقد نص المبدأ الأول من هذا الإعلان بأن يتمتع الطفل بالحقوق التي يشتمل عليها هذا الإعلان دون تفرقة أو تمييز عنصري بسبب الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين أو المعتقدات وغيرها من الأسباب الاجتماعية أو المعرفية أو بسبب الثروة أو المولد. ويعتبر مبدأ المساواة في حقوق الأطفال مبدأ متطورا جدا ويعد خطوة ممتازة قطعتها البشرية نحو رعاية وحماية الطفولة مقارنة بالفتات التي سبقت هذا الإعلان.

أما المبدأ الثاني من الإعلان فقد نص على أن يتمتع الطفل بحماية خاصة كما يمنح الفرص والتسهيلات بواسطة القانون وبالوسائل الأخرى لكي يتمكن من النمو جسمانيا وعقليا وخلقيا وروحيا واجتماعيا بطريقة صحيحة وعادية في جو من الحرية والكرامة. ويراعى عند تنفيذ القوانين الخاصة التي تحقق هذا الهدف أن تؤخذ مصالح الأطفال في الاعتبار الأول. وقد نظر هذا المبدأ إلى رعاية الطفولة من وجهة نظر متكاملة وشمولية بحيث تتم رعاية نمو الطفل ليس من الناحية الجسمية فقط بل ويتعداه ليشتمل الجوانب العقلية والخلقية والروحية والاجتماعية.

وأشار المبدأ الثالث من إعلان حقوق الطفل إلى أنه من حق الطفل ساعة أن

يولد أن يكون له اسم وجنسية . ومن هنا تغير مفهوم الطفل من مجرد كـــائن حـــي إنساني يهتم بالقصور إلى إنسان ينتمي إلى جماعة تعطيه اسما وتميزه به. فمنـــاداة المجتمع الدولي بضرورة أن يعطي الطفل أسما وجنسية وهما أساسان من أساسات انتماء أعضاء المجتمع البشري ويعبر عن حاجة من حاجات الطفل وهـــي الحاجـــة إلى الانتماء والعضوية في مجتمع معين له دور معروف فيه.

أما المبدأ الرابع والذي ينص على أن للطفـــل الحـــق فـــي تـــوفير الأمـــن الاجتماعي ، وفي أن ينمو في صحة جيدة وأن تتوافر له ولأمه الرعاية والحمايـــة بما في ذلك الرعاية في مرحلة ما قبل الولادة وما بعدها. كما أن للطفل الحق فـــي الغذاء والسكن والترفيه والخدمات الطبية المناسبة ، فقد أوضـــح صـــورة التطـــور الهائل في الاعتراف الدولي بحقوق الطفل قبل وبعد الولادة والحرص على رعايته والعناية به حتى تتوافر له فرص وإمكانيات تمكنه من القيام بدوره المنوط بـــه فـــي تنمية المجتمع النهوض به.

وأوضح المبدأ الخامس جانبا مهما من جوانب رعاية الطفولة المعاقة حيـــث أشار إلى وجوب توفير الرعاية الضرورية للطفـــل المعـــاق جســـميا أو ذهنيـــا أو اجتماعيا والعلاج والتعليم التي تستلزمه حالته الخاصة . ويمكن النظـــر إلـــى هـــذا المبدأ على أنه مرحله متطورة من جهود البشرية أو المجتمع الدولي نحـــو رعايـــة وحماية الطفولة حيث خص الطفل المعاق باعتراف عالمي بضرورة توفير الرعاية الضرورية اللازم له. وتغير تبعا لذلك الصورة القائمة التي كانـــت تحـــيط الطفـــل المعاق وتحد من نشاطه وحيويته حيث تسعى البشرية جاهدة إلى تمكـــين الأطفـــال المعاقين من الاندماج في مجتمعهم وذلـــك برعـــايتهم وإعـــدادهم وتـــأهيلهم لأدوار ومسئوليات اجتماعية وفقا لقدراتهم واستعداداتهم.

وركز المبدأ السادس على حاجات الطفل بناء شخصيته حيث أكد علـــى أن

الطفل يحتاج لبناء شخصيته بطريقة متكاملة إلى الحب والفهم ومن حقه كلما أمكن ذلك أن ينمو في ظل رعاية أبوية وتحت مسئوليتهما ، وأن ينمو على أي الأحوال في جو من الحنان والأمان المادي والمعنوي ، ولا يفصل الطفل الصغير عن أمه إلا في الحالات الاستثنائية ومن واجب المجتمع والسلطات المسئولة أن تشمل بالرعاية للأطفال الذين لا عائل لهم ومن لا يملكون وسائل كافية في بناء شخصية الطفل ووجهت نقطة تحول من منور المجتمع الدولي إلى أن المناداة بحقوق الطفل ينبغي أن تكون مصحوبة بشيء من التحديد الدقيق لهذه الحقوق وتعكس أيضا فهما عميقا للحاجات الأساسية للطفولة.

وهكذا يتدرج الإعلان العالمي لحقوق الطفل ليشمل مبادئ إلزامية تعليم الطفل بما يحقق صالح الطفل ومستهدفات المجتمع كما نص على ذلك من المبدأ السابع إلى المبدأ العاشر ، وفي ضرورة تمتع الطفل بالحماية من جميع أنواع الإهمال والقسوة والاستغلال ولا يجوز تشغيله قبل بلوغه حد أدنى من العمر ولا يسمح له أو يفرض عليه أن ينخرط في أي عمل أو وظيفة تضر بصحته أو تعليمه أو تؤثر على نموه الجسماني أو العقلي أو الخلقي(13).

وقد واكبت مرحلة التطور في مجال رعاية الطفولة والمتمثلة في الإعلان العالمي لحقوق الطفل والذي جاء نتاجا طبيعيا لجهود عملية وإنسانية مضنية وصادقة ، صدور ميثاق حقوق الطفل العربي والذي أكد في منطلقاته على الأسس والمبادئ التالية :

1) تنمية الطفولة ورعايتها التزام ديني ووطني وقومي وإنساني.
2) التنشئة الاجتماعية لأطفالنا مسئولية عامة نتيجة لتنمية الطفل تنمية تعتري ذاته وكيانه.

3) تنمية الطفولة ورعايتها وصون حقوقها مكونا أساسي من مكونات التنمية الاجتماعية بل هو جوهر التنمية الشاملة.

4) اعتبار الأسرة نواة المجتمع وأساسه ويجب رعايتها لتكون قادرة على منح أبنائها الرعاية والدفء والحنان والاطمئنان وأن سحب ولاية الأسر عن أبنائها لا يكون إلا لضرورة قصوى.

5) الأسرة الطبيعية في البيئة الأولى لتنشئة ورعاية الأطفال والأسرة البديلة هي الخيار المقدم لملاقاة تعذر هذه التنشئة والرعاية في كنف الأسرة الطبيعية[14].

وهكذا ومن خلال هذه اللمحة التاريخية الموجزة عن تطور ومفهوم ومبادئ رعاية الطفولة نلمس مدى التطور الذي حدث في ميدان رعاية الطفولة وحمايتها. وأن الطفولة في الوقت الحاضر قد نالت قدرا من الاهتمام والرعاية لم تنله الطفولة في العصور الوسطى. كما تضافرت الجهود العلمية والبرامج العملي لتدفع مجال رعاية الطفولة نحو مزيد من التطور ودرجة عالية من الاهتمام في عصرنا الحاضر.

ثانياً:رعاية الطفولة :

تعتبر الطفولة وفقا لهذه التطورات والجهود من المراحل الحياتية المهمة ليس للفرد فحسب بل وللمجتمع ككل ، فبالإضافة إلى كونها مرحلة عمرية من مراحل نمو الكائن البشري والأساسي الذي يبني عملية شخصية فإن المجتمع عن طريقها يلبي احتياجاته من العناصر البشرية اللازمة لحمل مسئولية بنائية وتنمية.

فالأطفال في أي مجتمع هم أساس استمراريته وتقدمه ومعقد أمله فإذا لم يحظوا بالرعاية والعناية اللازمة في إطار من الفهم العلمي والموضوعي فإن هذا

الأمل وذلك الطموح الذي يعقده المجتمع في أبنائه سيكون مصيره الضياع وتتبـــدد تبعا لذلك جهود هذا المجتمع ومقدراته ويكون التخلف مصيره.

ويركز الكثير من علماء النفس الاجتماعي على أهمية مرحلة الطفولة في حياة الإنسان وتكوينه. وعلى سبيل المثال فإن جورج هربرت ميد G.H. Mead يـــرى أن الطفل عند ولادته هو عبارة عن كائن حي قابل لأن يكون إنسانا ما وأن ملامح شخصيته تتحدد بمقدار ما يجده من رعاية وتأهيل ، أما أنصـــار مدرســـة التحليـــل النفسي فيركزون على أهمية مرحلة الطفولة في عمر الإنسان باعتبار أنها مرحلـــة مؤثرة على نمو شخصيته وتوافقه النفسي والاجتماعي مع بيئته.

ويرى بعض علماء التحليل النفسي أن كل ما يقوم به الفرد من ســـلوك فـــي شبابه أو رجولته أو كهولته يمكن تفسيره بالرجوع إلى حياته أيام طفولته ، ويزيـــد من أهمية مرحلة الطفولة في عمر الإنسان زيادة سرعة النمو في مجـــالات الـــذكاء والعواطف واللغة وفي العلاقات بين الأفراد وفي مظاهر النمو الجسمي بحيـــث أن أي إرباك أو اختلال يصاحب مجالات النمو المشار إليها يكون نتيجة التقليـــل مـــن اكتمال النمو في قدرات الطفل وإلى اعتلال في درجة ذكاء وإلى قصور في مقدرته على التفاعل مع بيئته والآخرين[15].

وهكذا كانت رعاية الطفولة من الأمور البالغة الأهمية التي تســـتدعي إيجـــاد الضمانات الكافية عن طريق برامج الرعاية الجيدة والهادفة.

ثانياً : إن تقدم أي مجتمع يرتكز إلى حد كبير على مـــدى اهتمامـــه وفاعليـــة برامجه التي يضعها من أجل تحقيق الاستفادة القصـــوى والعمليـــة مـــن إمكانياتـــه وموارده البشرية وفي توجيه وتخطيط هذه الإمكانيات وتنميتها على أســـس ســـليمة وهادفة. فموارد أي مجتمع وخاصة البشرية منها هي وسيلة لقهر التخلف والوصول

إلى مستقبل أفضل ، وبقدر تمكن المجتمع من تنميـــة ورعايـــة مـــوارده البشـــرية والحفاظ عليها بقدر ما يكون المجتمع قد نجح في توفير العناصر البشرية اللازمـــة لتحمل مسئولية البناء الهادف للمجتمع ، وعلى الجانب الآخر فإن المجتمـــع الـــذي يقصر على ذلك سيزيد أعباءه ومسئوليته نحو تقديم الخدمات وعلاج المشاكل التـــي نجمت عن إهمال رعاية العنصر البشري خاصة في مرحلة الطفولة ، ومـــن هنـــا كانت رعاية الطفولة مبدأ أساسيا لكل مجتمع يستهدف المحافظة على ثروته البشرية ويطمح إلى حياة أفضل.

وهكذا يمكن القول أن رعاية الطفولة تمثل ضرورة اجتماعية حيـــث تقتضـــي الحياة واستمراريتها في المجتمع العمل على خلق جيل قادر على دفع عجلة الحيـــاة نحو تحقيق الرفاهية وبلوغ درجات عالية من التقدم والتنمية وإذا لم يجـــد الـــنشء الرعاية الجيدة والتوجيه الهادف والإعداد السليم فإنه غالبا ما يفشـــل فـــي حياتـــه الاجتماعية وقد يكون الانحراف هو الطريق الذي يجد نفســـه فيـــه ويكـــون علـــى المجتمع أن يكثف من جهوده ونفقاته لمقاومة المنحرفين من أبنائه وتوفير الوســـائل اللازمة لذلك ، ويقول أحد الباحثين في هذا الصدد : (وإذا لم يجد النشء مثل هـــذه التربية أو الرعاية الصالحة التي تربطه بمجتمعـــه تجعلـــه يشـــعر بأنـــه متعـــاون ومتضامن مع من فيه من أفراد وجماعات... فإن أحدا لا يضمن تكيف هذا الـــنشء وهذا الجيل من الأفراد مع مجتمعه... وغالبا ما يفشل في حياتـــه وينحـــرف نحـــو اتجاهات شاذة[16].

ثالثاً : الأهمية الاقتصادية : يمثل مجال رعاية الطفولة ضـــرورة اقتصـــادية حيث يعتبر العنصر البشري من أهم العناصر اللازمـــة للإنتـــاج وتـــوفير الســـلع والخدمات في أي مجتمع ، عليها تقع مسئولية دفع عجلة الإنتاج والمســـاهمة فـــي التنمية الاقتصادية والاجتماعيـــة بـــالمجتمع ، (إن التنميـــة الاقتصـــادية الســـريعة

الشاملة... تتطلب أول ما يتطلب طاقات بشرية مدربة واعية ، تلم بأصـــول العمـــل والإنتاج وتملك المعارف والمهارات اللازمة لها[17].

وحيث أن تحقيق وتنفيذ مشروعات وبرامج التنمية الاقتصـــادية والاجتماعيـــة في أي مجتمع تعتمد بدرجة كبيرة على فاعلية وقدرة العنصر البشري من الناحيتين الكمية والعددية والكيفية والمؤهلة وحيث أن الجانب الكمي للقوى العاملـــة يـــرتبط بمعدلات الخصوبة والوفيات ويتصل بالهيكل العمري للسكان فإن الجانـــب الكيفـــي لهذه القوى يرتبط بالأعداد والرعاية والتأهيل ، ومن هنا تمثل رعايـــة الإمكانيـــات البشرية في مرحلة مبكرة عاملا أساسيا من عوامل التنمية وقهر التخلـــف ، وإن أي نقص أو إهمال في مجال الاهتمام ورعاية الطفولة سيشكل حجر عثرة في مجـــال تنفيذ وإدارة المشروعات الاقتصادية والتنموية . وهكذا فـــإن نجـــاح المشـــروعات الاقتصادية والتنموية يرتبط بصورة مباشرة بمدى جدوى وفاعلية بـــرامج رعايـــة الطفولة. وإن أي نوع من التقصير أو الإهمال في هذا الجانب سيكون معناه الإهمال في ثروات المجتمع وإمكانياته وعرقلة لمسيرة تطوره وتنميته.

رابعاً : تعتبر الطفولة عند بني الإنسان وخاصة المبكرة منها المراحـــل التـــي ترتبط بالعجز وعدم القدرة على تلبية الاحتياجات وحماية النفس من الأخطار. ومن هنا كان موضوع رعاية الطفل خاصة عند ولادته وفي سنوات عمره الأولى مسألة حياة أو موت ومسألة قدرة أو عج ومن هنا ارتبط مجال الرعايـــة بحيـــاة الطفـــل وقدرته على مقاومة تحديات العصر والصمود في وجه الأمراض.

خامساً : يعتبر تقديم الرعاية الكافية للأطفال مـــن البـــرامج الوقائيـــة ضـــد انحرافهم سلوكيا واجتماعيا وبذلك يقلل المجتمع من تبعاته فـــي مجـــالات عـــلاج ظاهرة انحراف الصغار ، ويتلافى مساوئ ما يسببه الانحراف من خســـائر ماديـــة ومعنوية للمجتمع الذي يشكل الانحراف تهديدا خطيرا لأمن وسلامة أفراده وللفـــرد

الذي يحس بالضياع وفقدان احترام الناس وقلة الثقة بالنفس.

وحيث تعتبر الوقاية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية من البرامج الأقل تكلفة إذا ما قيست بالنفقات والجهود المبذولة من أجل العلاج عليه فإن التركيز على الجوانب الوقائية الممثلة في تقديم الرعاية اللازمة للطفل بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب يمثل عملا عقلانيا مرشدا يفيد الفرد والمجتمع على السواء.

سادساً : هناك ضرورة وأهمية بالغة ترتبط برعاية الطفولة نابعة من النسبة العالية التي تشكلها الطفولة في البناء العام لمعظم سكان العالم حيث وعلى سبيل المثال يشكل عدد الأطفال في البناء العام للسكان بجمهورية مصر العربية نسبة عالية بلغت 54.5% أي ما يزيد على نصف عدد السكان ، ولهذا كان تقديم الرعاية للطفولة في كثير من المجتمعات يعني تقديم الرعاية لشريحة كبيرة من شرائح السكان بالمجتمع، وأن إهمالها يعني إهمالا لقطاع كبير من أبناء المجتمع.

سابعاً : ترتبط رعاية الطفولة بأهمية أخرى وهي اكتشاف الموهوبين من الأطفال في مراحل مبكرة وتوجيههم والاستفادة من إمكانياتهم وقدراتهم بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع ، وكذلك اكتشاف الأطفال المعاقين ، الذين يحتاجون لرعاية خاصة تختلف عن الرعاية التي يحتاجها الأطفال الأسوياء . ويشكل ذلك أهمية خاصة في تمكين الأطفال المعاقين من الاعتماد على أنفسهم بدل أن يعيشوا عالة على المجتمع.

ثامناً : من الناحية الدينية فإن الله تعالى قد فضل الإنسان وكرمه وأوصى باحترامه حيث يقوم في سورة الإسراء : (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا). واعتبر القرآن الكريم الطفل بمثابة الزينة للحياة وهو أمر يعكس عمق وبعد الأهمية التي

يعطيها ديننا الحنيف للطفولة ، قال تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا). ويعكس الاهتمام الذي أولاه الدين الإسلامي للطفل مدى الأهمية التي يمثلها الطفل في حياة المجتمع والدور الذي يلعبه كعضو في جماعة.

وخلاص القول فإن الاهتمام بالطفولة ورعايتها باعتبارها مرحلة حياتية في ذاتها ولذاتها وباعتبارها صانعة المستقبل يشكل قاعدة هامة ومنطلقا أساسياً نحو تحقيق حياة أفضل وخلق الإنسان القادر على تحمل المسئولية والنهوض بأعباء تنمية المجتمع وتحقيق طموحاته في الرفاهية الاجتماعية.

ومن هنا فإن الإلمام بأسس ومبادئ رعاية الطفولة ومعرفة طبيعة احتياجات الطفل ونموه ونوع الخدمة التي يحتاجها ، يعد جانبا أساسيا في إعداد المتخصصين والمربيين وأولياء الأمور بحيث يمكن لهم المساهمة في تقديم رعاية أفضل للطفولة.

ثالثاً:أسس رعاية الطفولة :

إن رعاية الطفولة بكل ما تعنيه من أهمية وما ترتبط به من فاعلية وما تتصل به من نظريات وجهود علمية ليست بالأمر اليسير ولا هي بالعملية الهينة ، بل إن رعاية الطفولة مسئولية ذات التزامات وأبعاد خطيرة وجذر متشعبة ترتبط كلها بحياة الإنسان ومستقبله ويحتاج القائمون عليها إلى التوسع في الدراسات وفهم الكثير من الأمور التي ترتبط بحياة الطفل وطبيعة حاجاته وحركة نموه وتطوره.

ويرتبط نجاح برامج رعاية الطفولة بجدوى وواقعية التخطيط العلمي المبني على أساس من الدراسة الدقيقة لحاجات الطفولة وطبيعتها ، وأسس إشباعها مستمدة أصولها من المجتمع الذي يستهدف الطفولة فيه بالرعاية وذلك لأن حاجات الطفل ترتبط بالمجتمع الذي يوجد فيه وهي تختلف أيضا من مجتمع إلى آخر وفقا لتقاليده

والنظم الاجتماعية والسياسية السائدة فيه ، ويرتبط برعاية الطفولة أيضـــا تـــوفير العناصر البشرية المتخصصة في مجالات رعاية الطفولة لتحمل مســئولية وضـــع وتنفيذ برامج رعاية الطفولة.

ولا يقتصر مجال رعاية الطفولة في مجتمع ما على جهة أو مصلحة أو نظام اجتماعي بعينه ، بل يتعداه ليشمل أكثر من جهة ويحتاج إلى تكاتف الجهود من أجل توفير رعاية متكاملة وشمولية لمواجهة وإشباع حاجات الطفل حتى ينمو بصـــورة طبيعية ويكون بمقدوره الحياة وسط جماعة وأن يقوم بدوره كعضو نافع فيها.

ويرتبط مجال رعاية الطفولة وفهم متطلباتها وحاجاتها بعدة أسس يمكن حصر أهمها في الآتي :

(1) **الأساس الغذائي** :

يرتبط النمو المتكامل للطفل بنوعية وكمية غذائه التي تواكب متطلبات نمـــوه بحيث يلبي الغذاء للطفل حاجاته إلى الطاقة وإلى بناء جسمه وفي تقوية وزيادة قوة ومناعة الجسم ، كما يرتبط أيضا الأساس الغذائي لرعاية الطفولة بفهـــم الاحتيـــاج الفعلي من الغذاء لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل . وبالإضافة إلـــى ذلـــك فـــإن للغذاء مدلول أساسي في رعاية الطفل ويعتبر أساسا في تقـــدير بعـــض الجوانـــب النفسية لرعاية الطفولة ، فالغذاء بالإضافة إلى كونه حاجه أساسية للنمـــو الجســـمي فهو يمثل أهمية نفسية واجتماعية في علاقة الطفل بوالديه وبالتصاقه بأمه لارتباطها بإشباع حاجته للغذاء خلال فترة الرضاعة ، وفي تعليم الطفل كثيـــر مـــن مظـــاهر السلوك لترتبط بإشباع حاجة الإنسان إلى الطعام وذلك في إطار ثقافة المجتمع.

(2)**الأساس الصحي** :

يتصل مجال رعاية الطفولة بالجوانب الصحية ويتم تحديـــد أوجـــه الرعايـــة

الصحية للطفل في ضوء المبادئ والقواعد العامة للصحة بحيث يكون لهذا الجانب مكان بين الرعاية الشاملة المتكاملة للطفل ، ويساعد فهم أساسيات الصحة العامة للطفولة والأمراض التي تصيب الأطفال وكيفية الوقاية منها جانبا أساسيا لا غنى عنه في تقديم الرعاية لطفل وفي تمكينه في أن ينمو متكاملاً ويتجنب الإصابة من كثير من الأمراض.

وعلى هذا الأساس تشكل الرعاية الصحية للطفل جانبا أساسيا من جوانب الاهتمام بالطفل ورعايته.

(3) **الأساس النفسي** :

لا تقتصر رعاية الطفولة على النواحي الجسمية والغذائية والحصية فحسب بل تشمل أيضا ، النواحي النفسية والعقلية أيضاً فالطفل في حياته يعمل ككل متكامل متناسق ، واعتلال أي جانب فيه يؤثر على بقية الجوانب الأخرى وتؤثر في تكيفه وعلاقاته مع البيئة والآخرين.

فالطفل وإن تشابه مع غيره من الأطفال في كثير من الصفات العامة إلا أنه يختلف عن الآخرين كذلك بفروق فردية تكسبه طابعا متميزاً وعنصرا : فريدا من نوعه . فهذا العطاء الوراثي في مستويات الذكاء وفي النمو النفسي والانفعالي يتفاعل بدوره مع عوامل بيئية وجسمية وصحية مختلفة لتنصهر معا في إطار أو وحدة متميزة تشكل ما يعرف بالشخصية ، ومن ثم كانت استجابة الطفل لبيئته وتفاعله معها ولأسلوب طبيعة الرعاية التي يتلقاها دور كبير وأساس هام في تمكين الطفل من أن ينمو نموا متكاملاً إذا كانت الرعاية بالقدر المطلوب أو إلى نشر واختلال في النمو إذا كانت هذه الرعاية غير مستمدة على الفهم والتقدير العميقين لحاجات بصورة عامة والنفسية بصورة خاصة وكانت لها انعكاساتها السلبية على

نموه وتكوين شخصيته ويكون لها آثرها على ردود أفعاله . فالشخصية الســوية أو المتواكلة أو السلبية أو المنطوية أو القلقة أو الاندفاعية أو البائســة أو العدوانيــة لا تأتي من فراغ ولكن تستمد جذورها من أساسيات الرعاية النفسية التي يتلقاها الطفل متصلة ببقية أوجه الرعاية الأخرى.

إن تقدير القائمين على رعاية الطفولة من أولياء ومدرسين وأطباء وغيــرهم للجوانب النفسية الهامة التي تدخل ضمنه متطلبات نمو الطفــل ، ولفهــم الحاجــات النفسية للطفل والإلمام بأم النظريات المفسرة للنمو والتعليم وفهم طبيعــة الجوانــب الانفعالية والعاطفية وما إلى ذلك من الأمور التي تتصل بحاجات الطفــل النفســية يعتبر أساسا هاما يرتبط بنجاح رعاية الطفولة والاهتمام بها.

(4) **الأساس التربوي** :

تتصل مجالات رعاية الطفولة بإشباع حاجات الطفل التربوية والتعليمية ويعد الأساس التربوي من الأسس البالغة الأهمية في رعاية الطفولة والعناية بها.

ويتصل الأساس التربوي لرعاية الطفولة تقدر وتوضع في إطار الأساســات الغذائية والصحية والتربوية والتعليمية والاجتماعية ، فإن الــدين الســائد فــي أي مجتمع والذي ينظم العلاقات فيه يعتبر أساسا له علاقة بتقدير حاجات الطفل وكيفية إشباعها.

ومن هنا تستدعى الحاجة إلى فهم طبيعة الدين وإلى ربط الجوانــب الدينيــة ببرامج الرعاة لكي تكون في إطار من التكامل بحيث يزود الطفل بــأهم المبــادئ والأسس والمتطلبات الدينية التي تمكن من فهم ما يدور حولــه وتكيــف علاقاتــه وحياته في إطاره.

(5) الأساس التشريعي :

لاشك أن القوانين والتشريعات السائدة في أي مجتمع أهميتها في تنظيم برامج رعاية الطفولة وإشباع حاجاتها. فالقوانين التي تحترم تشـغيل الأطفـال وتفـرض إلزامية التعليم وتحدد ضرورة تطعيم الأطفال ضد الأمـراض السـارية والمعديـة وكذلك القوانين التي تحدد حقوق الأطفال وتنظم علاقاتهم مع الأجهزة الأمنية ومـع الآخرين وتحرم إساءة معاملتهم ، وما يتصل بذلك من قرارات المنظمـات الدوليـة لحقوق الطفل ورعايته كلها أسس إيجابية تساعد على وضع وتنفيذ البرامج المختلفة لرعاية الطفولة.

كما أن بعض القوانين السائدة في بعض المجتمعات قد تقف حائلا دون تقـديم الرعاية اللازمة للطفل في شكلها الصحيح ، وبالتالي كان لزامـا علـى القـائمين برعاية الطفولة الآخذ في الاعتبار الجوانب والأسس القانونية والتشريعية لرعايـة الطفولة والاهتمام بها[18].

وهكذا فإن رعاية الطفولة لا تنطلق من فراغ بل تستمد جـذورها مـن عـدة أسس ترتبط بحياة الإنسان ككائن متأثر في حياته ونموه وعلاقاته بعاملي الوراثـة والبيئة. إن هذه الأسس التي سبق استعراضها ليست هي الوحيدة التي تقـوم عليهـا رعاية الطفولة ولكنها تعتبر من الأسس الهامة والأطر التي تحدد الملامـح العامـة لرعاية الطفولة وتجعل من اليسير العمل بفاعلية في هذا الميدان.

إن أي برنامج يستهدف تقديم نوع من الرعاية والاهتمام بالطفولـة لابـد وأن ينطلق من هذه الأسس مجتمعه لأن كل أساس منها يكمل بقيـة الأسـس ويـدعهما ويستند عليها، وإن تجاهل أو إهمال أي جانب منها سيؤدي بدرجة ما إلـى فقـدان التوازن في تقديم الرعاية وإلى القصور في فهم حاجات الطفل وأساسيات إشباعها ،

ويرجع ذلك إلى أن الطفل ينمو في اتجاهات مختلفة جسيمة وعقلية ونفسية واجتماعية وغيرها في وقت واحد . فالطفل ينمو جسميا وباضطراد يوما بعد يوم ، وتزداد قدراته على التكيف والتفاعل الاجتماعي والتعلم واكتساب المهارات وإقامة العلاقات وذلك بطريقة متداخلة ومتفاعلة يكون من الصعب معها التركيز على جانب وأساس من أساسيات رعاية الطفولة دون آخر لأن أي خلل في إحداها سيكون له آثر على سواه.

رابعاً:حاجات الطفولة :

تشكل الأسس العامة لرعاية الطفولة والتي سبق مناقشتها حجر الأساس في معرفة احتياجات الطفولة وبالتالي التعرف على نوع وكيفية وطبيعة الرعاية التي يحتاجها الطفل. إن معرفة القدر اللازم من الرعاية وتوقيت تقديمها والشكل الذي يجب أن تقدم فيه يمثل مسئولية خطيرة وعملية في غاية الدقة والأهمية. وهي لهذا تحتاج إلى تعمق في فهم حياة الطفل وطبيعة نموه وإلى توفير الإمكانيات المادية أيضاً إلى أعداد العناصر البشرية القائمة على رعاية الطفولة اعدادا يمكنها من القيام بدورها في تقديم الرعاية اللازمة للأطفال ، كما أن توعية أولياء الأمور والمربيين سيكون لها أثر في تحسن تقديم الرعاية والعناية للطفل صانع المستقبل.

وحيث أن الطفل ينمو بصورة متكاملة شاملة في كل مظهر من مظاهر حياته فإن إشباع حاجات الطفل عملية لا تقتصر على جهة أو مؤسسة دون غيرها ، فهي مثلا لا تقتصر على الأسرة التي توفر لها ما يشبع بعض حاجاته وبالقدر الذي تستطيعه وفي حدود طاقتها وإمكانياتها، ولأن الأسرة سرعان ما يظهر عجزها أمام السوق العلمية الحديثة عن نمو الطفل، وتعقد عمليته وتشعب حاجات كل بعد من

أبعادها الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية فلا تستطيع الأسـرة وحـدها أن تشبع الحاجات جميعها إشباعا سليما أو أسلوبا وقدرا يساعد على صحة نمـوه [19]. بل تتعداه لتشمل جهات ومؤسسات مختلفة ومتخصصة في تربية الطفل ورعايتـه ، كما أنها عملية تستدعي تعاونا أكبر وتنسيقا أشمل وإلى تكامـل الجهـود وتلافـي القصور والتناقض والازدواجية.

وترتبط حاجات الطفل وإشباعها بشكل أو بأخر بمتطلبات النمو في مراحـل الطفولة المختلفة بحيث يحقق إشباع هذه الحاجات تحقيق الطفل لمتطلبات نمو تلـك المرحلة من عمره والتي يمكن تحديد أهمها في الآتي :

(1) **مطالب النمو في مرحلة الطفولة المبكرة** :

تبدأ مرحلة الطفولة المبكرة منذ ولادة الطفل وحتى بلوغه سن سـت سـنوات من عمره ، ولهذه المرحلة من نمو الطفل مطالب تبين مدى تحقيق الطفل لحاجاتـه وإشباعه لرغباته... ويمكن تقسيم مطالب النمو لمرحلة الطفولة المبكرة في الآتي :

- تعلم المشي.
- تعلم الأكل.
- تعلم الكلام.
- تعمل التحكم في عملية التبول والإخراج.
- تعلم الفروق الجنسية.
- تعلم الوصول إلى مستوى الاتزان العضوي الفسيولوجي.
- تكوين مدركات ومفاهيم بسيطة عن الحقائق الاجتماعية والطبيعية.

- تعلم العلاقات الاجتماعية والعاطفية التي تربط الطفل بأمه وأخوته والأفراد الآخرين.

- بدء تعلم التفرقة بين الصواب والخطأ والخير والشر وتكوين الضمير[20].

(2) **مطالب النمو في مرحلة الطفولة المتأخرة** :

تبدأ مرحلة الطفولة المتأخرة من بلوغ الطفل عامه السادس وتنتهـي ببلوغـه 12 سنة. ولهذه المرحلة مطالب نموها التي تتصل بتقدير حاجات الطفل ، ويمكـن تقسيمها إلى الآتي[21]:

- تعلم المهارات الحركية الضرورية لمزاولة الألعاب المختلفة.
- يكون الفرد اتجاها عاما حول نفسه ككائن حي ينمو.
- يتعلم الفرد كيف يصاحب أقرانه.
- يتعلم الطفل دوره الجنسي في الحياة.
- تعلم المهارات الرئيسية للقراءة والكتابة والحساب.
- تكوين المفاهيم والمدركات الخاصة بالحياة اليومية.
- تكوين الضمير والقيم الخلقية والمعايير السلوكية.
- تكوين الاتجاهات النفسية المتصلة بالتجمعات البشرية المختلفة والمنظمـات الاجتماعية.

وخلاصة القول أن مطالب النمو هذه تتصل بتقدير حاجات الطفـل وتوقيـت إشباعها وتعد دليلا جيداً لأي برنامج من برامج رعاية الطفولة. وفي الوقت نفسـه فهي تساعد على قياس جدوى وفاعلية برامج الرعاية.

معنى الحاجة :

قبل البدء في عرض ومناقشة حاجات الطفل في إطار مـــن الأســـس العامـــة لرعاية الطفولة ومن منطلق مطالب نمو الطفل في مراحلهـــا المختلفـــة لابـــد مـــن الوقوف قليلا لتعريف معنى الحاجة حيث يساهم في تعميق الفهم لحاجـــات الطفـــل وأبعادها. والحاجة عموما تعني النقص أو عدم توفر الشيء وتعني تلـــك الأشـــياء الأحوال والإمكانيات الضرورية المفقودة فالطفل يحتاج إلى الطعـــام عنـــد الجـــوع ويفتقده وإلى الشراب عند العطش وإلى العلاج والدواء عند المرض ، وهكذا تتعـــدد وتتنوع الاحتياجات بتنوع ضروريات ومطالب الحياة ومستلزماتها. ويمكن تعريف الحاجة :- بـــ (تلك الأحوال الجسمية والنفسية التي تجعل الفرد يحس بفقدان شـــيء معين يعتبر ضرورياً أو مقيداً لاتزانه الجسمي أو النفسي)[22]. كما تنقسم الحاجـــات إلى حاجات أساسية ترتبط ببقاء الإنسان واستمرارية حياته كالحاجـــة إلـــى المـــاء والغذاء والهواء ، وأخرى مكملة كذلك كالحاجة للعيش في جماعة وتـــوفر المـــأوى وتوفر العطف والمحبة للطفل وتوفر الأمن وما إلى ذلك من الحاجات.

وبتطور الحياة تتطور حاجات الإنسان عموما والطفولة على وجه الخصوص فما كان يعد حاجة ثانوية في عصر من العصور ربما أصبح بالتطور في مجـــالات الحياة المختلفة حاجة أساسية وأن عدم إشباعها قد يؤدي إلى تهديد كيان الطفل مـــن أساسه ويجعله كائناً لا معنى له ولا دور.

وهكذا فإن حاجات الطفل متنوعة ومتعددة وتنقصه القدرة على إدراك حاجاته أو الكيفية التي سيشبع بها حاجاته خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة حيـــث يحتـــاج الطفل إلى الوسيط لتقديم وإشباع الحاجات ، فالطفل في هذه المرحلة قاصر وعاجز ولو ترك لحظة ولادته أو بعدها بأيام دون أن تلبي احتياجاته إلى الغذاء مـــثلا لمـــا استطاع العيش ولانتهت حياته خلال أيام. ومن هنا تكمن أهميـــة رعايـــة الطفولـــة

وارتباط تقديمها بالكبار القادرين على تقديمها. فالطفل ككائن بشـري يحتـاج إلـى الغذاء لنمو جسمه وإلى الراحة عندما يكون متعبا وإلى المأوى لحمايته مـن البـرد وحرارة الشمس وإلى الرعاية الطبية وقاية وعلاجاً ويحتاج إلى الأمن والطمأنينـة في حياته ، كما أن حاجة الطفل لأن ينشأ في جماعة وأن يكيـف سـلوكه وميولـه ورغباته في إطارها كلها وغيرها أشياء تدخل ضـمن حاجـات الطفـل وتلبيهـا بالصورة المطلوبة يمكنه أن يحيا حياة طبيعية داخل الجماعة والمجتمع.

وهكذا يمكن القول بأن إشباع حاجات الطفل يعتبر عاملا أساسيا فـي تحقيـق نموه الجسمي والعقلي والاجتماعي وتكيفه مع الوسط الذي يعـيش فيـه وتحقيـق سعادته وصحته النفسية. وبأن إهمال إشباع الحاجات والتفريط في عدم تقديمها إلى وقتها وبالقدر اللازم يعد من الأسباب المؤدية لعدم قدرته على النمو المتكامل السليم وإلى انحرافه بل وحتى إعاقته عن القيام بدوره الطبيعي في المجتمع.

وينبغي لتقدير حاجات الطفل فهم مراحل نمو الطفل في مظـاهره الجسـمية والنفسية والعقلية والاجتماعية وإدراك العوامل التي تؤثر في نموه وذلك بـالرجوع إلى البحوث والدراسات والمؤلفات التي كتبت في مجالات رعاية الطفولـة وعلـم نفس الطفل وعلم نفس النمو وغيرها من العلوم ذات العلاقة بطبيعة النمو أو القيـام بالدراسة الميدانية اللازمة للوصول لفهم أعمق لطبيعة نمو وحاجات الطفل كما هي على أرض الواقع ، وكذلك دراسة النظم والعلاقات والتوقيعات الاجتماعية السـائدة التي تحدد الاتجاهات والمواقف والتصرفات وبصورة أشمل تحدد ما يحتـاج إليـه الفرد ليؤدي دوره في المجتمع الذي يعيش فيه. وأن الفهم الجيد والدراسة المتعلقـة لطبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع والتي تؤثر في حياة الطفـل. وتحدد الأدوار الاجتماعية التي يلعبها ، وكذلك معرفة ما يتطلبه المجتمع من الفـرد وما المعنى والقيمة التي يعطيها المجتمع للطفل يمكن بالتالي فهم جانب مهـم عـن

حاجات الطفل.

إن حاجات الطفل كل لا يتجزأ فهي متداخله ويؤثر إشباع حاجة منهـا علـى إشباع بقية الحاجات ، إن أي محاولة تستهدف النظر والتركيز على إشـباع حاجـة معينة دون سواها ستكون مبتورة أو ناقصة ما لم يـتم اعتبارهـا فـي صـورتها الشمولية المتكاملة والمتداخلة مع بقية الحاجات ، ويقسم أحد الباحثين[23] الحاجـات الإنسانية إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي :

1- الحاجات الفسيولوجية العضوية ، تتبع من طبيعة التكوين الجسمي ويتطلبها الجسم وتوازنه وصحته.

2- الحاجات النفسية ، وتتصل بتنظيم الفرد النفسي ويتطلب إرضاؤها تكامـل شخصيته وتوازنه النفسي.

3- الحاجات الاجتماعية ، والتي تتبع من الحياة في مجتمع وثقافة معينين لهـذه مطالبهما الخاصة من الفرد الذي يعيش فيها إذا ما أراد أن يكون عنصـرا متكيفا معهما.

ويرى روبرت شل R. Schell واليزابث هال E. Hall بأن أهـم الحاجـات الفسيولوجية تتمثل في الهواء والماء والغـذاء والضـوء وهـي أساسـية لضـمان استمرارية الحياة وبدونها يكون مصير الطفل الموت والفناء وتعتبر الحاجة للغـذاء عند الكائن الحي عموما والإنسان خصوصا عنصرا أساسيا لاستمرار الحياة وعاملاً هاماً في نموه وتطوره وعليها يتوقف نشاطه وقدراته. ويتأثر نمو الطفـل بـأخرى بنوعية وكمية ما يقدم له من إذا فإذا كان الغذاء المقدم ملبيـا لاحتياجـات الطفـل الجسمية فإن نموه سيكون طبيعيا ويحدث العكس في حالة عدم توفر الغذاء الـلازم والصحي للطفل وذلك لأن نمو الطفل يتأثر سلباً أو إيجابا بنوع وكمية الغذاء الـذي

يتناوله[24].

إن المشكلات الصحية التي تعاني منها مختلف دول العالم الثالث ترتبط حسب تقرير الاتحاد العالمي للعلوم الغذائية بسوء تغذيـــة الأطفـــال والأمهـــات الحوامـــل والمرضعات ، وكذلك فإن انتشار العدوى والأوبئة بين الأطفال الصـــغار يـــرتبط أيضاً بسوء تغذية الأطفال بحيث أنه وعلى سبيل المثال حيث لا يتم تـــوفير الغـــذاء المتكامل للأمهات الحوامل فسيكون ذلك مرتبطا بإنجاب أطفال غيـــر مكتملـــين أو ناقصي النمو. وفي هذا الخصوص أشار تقرير الاتحاد العالمي للعلوم الغذائية [25]، إلى أن سوء تغذية الأمهات الحوامل يسبب بصورة مباشرة أو غيـــر مباشـــرة فـــي إنجاب أكثر من (20 مليون طفل) ناقصي النمو سنويا ، وتؤكد معظم البحوث فـــي مجالات تغذية الأطفال أن حليب الأم هو أفضل برنامج غـــذائي للأطفـــال حـــديث الولادة ويزيد من قيمته الغذائية إلى كانت تغذية الأم أثناء فترة الحمـــل والرضـــاعة جيدة. ويرتبط إرضاع الأطفال طبيعيا بانخفاض احتمالات إصابة الأطفال بالعدوى لحصولهم على تغذية متكاملة ومناسبة لحاجاتهم الغذائية.

إن الاتجاه العالمي حول إرضاع الأطفال من أمهاتهم والالتجاء إلى الوســـائل الصناعية في إرضاعهم يعتبر من أهم المشاكل الغذائية خاصة في دول العالم الثالث حيث أن حوالي (10مليون) حالة من حالات إصابة الأطفـــال بالإســـهال المـــرتبط بالضعف والهزال كانت بين الأطفال الذين لم يرضعوا رضاعة طبيعية وأنـــه فـــي بعض المجتمعات المتقدمة فقد وصلت حالات الأطفال المصابين بـــأمراض الســـمنة المفرطة الناتجة عن أخطاء غذائية لهم إلى حوالي مليون حالة سنوياً[26].

وهكذا فإن حاجة الطفل إلى الرعاية الصحية الجيدة وقايـــة وعلاجـــاً تـــرتبط ارتباطا وثيقا بنموه في مختلف الاتجاهات ، وتشكل حجر الأساس في قدرته علـــى

الحياة الطبيعية وعلى الأدوار والمسئوليات التي يتحملها في مستقبل حياته.

ولا يمكن النظر إلى أهمية حاجة الأطفال إلى الرعاية الصحية بمعــزل عــن بقية الحاجات خاصة الغذائية والسكنية وبقية الحاجات الأخرى ، وذلك لأن حاجات الإنسان متشعبة ومتداخلة ويكمل كل منها الآخــر ، وتوفيرهــا بصــورة متكاملــة سيكون له الأثر الإيجابي في نمو الطفل وصحته.

ويعد التعليم حاجة أساسية من حاجات الطفل وعن طريقها يحصل الطفل على مجموعة من المعارف والمعلومات والمهارات والخبرات اللازمــة للحيــاة وســط جماعة وفي إطار مجتمع معين. وتبدو حاجة الطفــل واســتعداداته للمعرفــة منــذ السنتين الأولى من عمره يمكن مشاهدة الأطفال الصغار وهم يحاولون التعرف على ما حولهم وما يحيط بهم من أشياء وأدوات. فالطفل يحاول أن يتعرف علــى كــل شيء جديد في بيئته ويحاول أن يخبره وهكذا نجد أن الحاجة إلــى المعرفــة مــن الحاجات المهمة لدى الطفل[27].

إن التربية والتعليم يجب أن ترتبط بإشباع حاجــات الطفــل وتنطلــق مــن استعداداته وقدراته ، وأن تبدأ من اعتبار أن الطفل لا يمثل فقط أداة أو مرآة عاكسة لاستقبال المعلومات والمعارف وإنما هو عنصر إيجابي يكيــف هــذه المعلومــات ويفهمها في إطار شخصيته واستعداداته. وإذا أريد لعمليات التربية والتعليم أن تكون ناجحة وأن تكون رعاية الطفولة في هذا الجانب مرفقة فلابد مــن اعتبــار الطفــل وحدة إنسانية لها خصائصها ودورها الإيجابي ، وينبغي أن ينظر للتلميذ.

وترتبط حاجة الطفل إلى الرعاية الصحية ارتباطا وثيقا بالاتزان في تغذيتــه ، كما أن العلاقة بين تغذية الطفل وصحته هي علاقــة إيجابيــة متداخلــة حيــث أن التحسين في تغذية الطفل سيعني بالتالي تحسن صــحته زيــادة فــي مناعتــه مــن

الأمراض ، والعكس فإن الإخلال بغذاء الطفل سيؤدي إلى انحـــلال فـــي صـــحته ويكون له آثره في نمو الطفل وحيويته.

إن العناية الصيحة بالطفل وقاية وعلاجاً تعد من الحاجات الأساسية للطفولة ، وهذه العناية الصحية للطفل يجب أن تأخـــذ معناهـــا الواســـع والعميـــق ومكانتهـــا المرموقة في أي برنامج لرعاية الطفولة . وتمتد الحاجة للرعاية الصـــحية للطفـــل حتى قبل الولادة حيث يرى بعض المختصين في مجال طب الأطفـــال أن تعـــرض وإصابة الأم الحامل بمرض قد يؤدي إلى تعريض الجنـــين لتشـــويهات مختلفـــة ، فإصابة الأم الحامل بالحصبة الألمانية مثلا قد تنجم عنه إصابة الوليد بمرض مـــن أمراض القلب أو بالصم والبكم أو ضمور الرأس أو بهما جميعاً ، وتعتبر الشـــهور الأولى للحمل فترة حاسمة في حدوث ذلك[28].

ويعتبر تطعيم الأطفال ضد الأمراض السارية والمعدية جـــزءاً أساســـيا مـــن أساسيات الرعاية الصحية للطفل ، وقد سنت معظم دول العالم القوانين التي تجبـــر أولياء الأمور على التطعيم الإلزامي للأطفال ضد الكثير من الأمراض. وهكذا فـــإن الرعاية الصحية للأطفال في جانبها الوقائي تشمل تزويد الأطفـــال بمناعـــة ضـــد الإصابة بالكثير من الأمراض ، إما عن طريق خلق مناعات طبيعية بالاهتمام بغذاء الطفل ونظافة البيئة التي يعيش فيها ، أو بتطعيمه الأمصال الواقية ضد الكثير مـــن الأمراض المنتشرة التي تصيب الأطفال بصورة خاصة. ومـــن هـــذه التطعيمـــات تطعيم الأطفال ضد الحصبة وشلل الأطفال والسعال الديكي والدفتيريا والتيتـــانوس وغيرها.

كوحدة إنسانية متكاملة يحتاج إليها أيضا من جانب رغباته وميوله ومشـــكلاته وديناميانه ، وأن لديه القدرة على التفكير والتغير ، كما أن لـــه ذاتيتـــه وإمكانياتـــه

الفردية[29].

لقد ازدادت حاجة الطفل إلى التربية والتعليم بتعقد الحيـــاة وتطورهـــا وتعقـــد الأدوار والمسئوليات الاجتماعية ، وأصبح من الأمور التي لا غنى عنهـــا والتـــي تحتاج إلى تحديد مختلف الإمكانيات لإشباع حاجت الطفل إلى التعليم والتربية ، بما يتمشى واحتياجات المجتمع واستعدادات الأطفال والمتعلمين عموماً.

وينادي معظم المتخصصين في هذا المجـــال بعـــدم قصـــر دور المؤسســـات التربوية التعليمية على تلقين وتحفيظ الطفل الكتب والموضـــوعات، بـــل يجـــب أن تتعداه ليشمل التدريب والإعداد والتهذيب للســـلوك وتزويـــد الأطفـــال بالمهـــارات اللازمة للعيش في جماعة ، وهكذا يجب أن تكون المؤسسات التعليميـــة مؤسســـات للتدريب والتحرر لا أماكن تجعل الطالب غريبا وآليا . فالتربيـــة يجـــب أن تغـــذي الطفل عن طريق خلق المحيط الغني النقي وإزالة مـــا ف المحـــيط مـــن شـــوائب اجتماعية.

المراجع

(1) Schell, R. E (et al) ,Developmental Psychology 1979, P24.

(2) Ibid. P. 26.

(3) Lefrancois Guy, of children : anidntrodation to chid1 development. Wadsworth publishing company Belmont California 1973, P.81.

(4) Ibid. P 91.

(5) عبدالستار إبراهيم ، الإنسان وعلم النفس ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 86، 1985، ص 8: 11.

(6) نفس المرجع ، ص 9.

(7) نفس المرجع ، ص 9.

(8) جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : مشروع خطة تربية الطفل العربي ، ص 8.

(9) Schell M Development… op. cit., P.25.

(10) Ibid. PP. 25-27.

(11) Ibid. P 28.

(12) Ibid. P. 28.

(13) عبدالسلام بشير الوبي ، المدخل لرعاية الطفولة المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلن ، طربلس ، 1985، ص ص 10: 25.

(14) انظر الملاحق ، ميثاق حقوق الطفل.

(15) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مشروع خطـــة تربيـــة الطفـــل العربي ص 4.

(16) عمر التومي الشيباني ، الأسس النفسية والتربوية لرعايـــة الشـــباب ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973، ص 23.

(17) نفس المرجع ، ص 24.

(18) عبدالسلام بشير الدوبي ، مرجع سابق ، ص ص 28: 38.

(19) فوزية دياب ، نمو الطفل وتنشئته بين الأســرة ودور الحضـــانة ، مكتبـــة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1980، ص 32.

(20) فؤاد السيد ، الأسس النفسية للنمو ، دار الفكر العربي ، القـــاهرة ، 1975، ص 86.

(21) نفس المرجع ، ص 87.

(22) عمر التومي الشيباني ، الأسس النفسية ، مرجع سابق ، ص ص 25: 27.

(23) نفس المرجع ، ص 28.

(24) Schell, Developmental… op. cit., P.51.

(25) The International Union of Nutritional Science, Good Nutrition start improving the nutrition of Matters and good children, 1979, P. 13.

(26) Ibid. P. 14.

(27) وبلارد أولسن ، تطور نمو الأطفال ، ترجمة إبراهيم حـــافظ وآخـــرون ،

القاهرة ، عالم الكتب ، 1962، ص 13.

(28) مصطفى فهمي ، الإنسان وصحته النفسية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو 1971، ص ص 71-77.

(29) أحمد كمال ، وعدلي سليمان ، المدرسة والمجتمع ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو، 1973، ص7.

الفصل الخامس

حاجـــــات الطفـــــل

أولاً : الحاجات

- أهمية تحديد ماهية الحاجة.
- من يحدد الحاجة للطفل.
- الفرق بين الحاجات والخدمات.
- كيفية إشباع الحاجة.

ثانياً : الحاجات الدينية والأخلاقية للطفل.

ثالثاً : الحاجات النفسية للطفل.

رابعاً : الحاجات التربوية للطفل.

خامساً : الحاجات الاجتماعية للطفل من خلال دور الأسرة والمدرسة.

أولاً : الحاجات

1- **أهمية تحديد ماهية الحاجة** :

أن أول ما يسترعى الانتباه هو غياب تعريف "الحاجـــة" فـــي النصـــوص و الوثائق المتداولة عن الطفل , وأيضا ما يفاجئنا بسؤال إلـــى بعـــض النـــاس عـــن الحاجة, وذلك بناء على الإجابات التي تطرح فـــي إن حاجـــات الطفـــل معروفـــة وواضحة ,وإنها لا تحتاج إلي تعريف , ولكن في الغالب عندما طلب تقـــديم مثـــال عن هذه الحاجات المعروفة جاءت الإجابة بذكر الخدمات أو وسائل تلبية الحاجـــات لا الحاجات نفسها .

وغياب التعريف قد أدى إلى التساهل في استعمال الدلالات والمفاهيم , وهـــذا أمر في غاية الخطورة , لأن غالبا ما يؤدي إلي تشويش الفهـــم , وبالتـــالي ســـوء كفاءتهم في استعمال اللافظ على أنها مترادفات لغوية, من ذلك على ســـبيل المثـــال وليس الحصر : حاجات , وحاجيات , واحتياجات , وضرورات وطلبات ومتطلبات وأيضا الترادف كثيرا ما يبدو ضرورة لتماشي التكرار أكثر مما هـــو بحـــث عـــن اللفظ المناسب للمعنى .

وتبدو هذه الملاحظة في أن استعمال اللغة (دون الحـــديث عـــن المفـــاهيم) مؤشر عن وضع المعرفة , والافتراض هنا أن الارتباك اللغوي في التعبيـــر عـــن حاجة الطفل لا يمكن أن يدل على تحديد علمي لهذه الحاجة بل هو سمة من ســـمات المفهوم أو المصطلح .

ومن الغريب أن الاستعمال الحديث للفظ الحاجة قد استغنى عن التميز العربي القديم بين (الحاجة و الضرورة) والذي كان يمكن عن طريق المساعدة في التميـــز بين الكلمتين أو اللفظين حيث تسمى كتابات اليوم الحاجات الأساسية , والواقـــع أن

ما كان يسمى ضرورات هو أقرب ما يكون إلى ما يسمى اليوم "حاجات أساسـية " ويشمل أيضا ما يسمى "حاجات حيوية " يتوقف البقاء على تلبيتها . وفي هذا يقـول ابن خلدون أعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله و الابتداء بما هو ضروري منـه وبسـيط قبل الحاجة والكمالي. ويرى ابن خلدون إن أهل البدو مقتصرون على الضـروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد, ومقتصرون عما فـوق ذلك من حاجي أو كمالي. ولا شك أن الضروري أقدم من ألحاجي والكمالي وسابق عليه ألان الضروري أصل الكمالي وفرع ناشئ عنه(1).

وما يهمنا هنا وبصفة خاصة : هـو الغمـوض فـي اسـتعمال الحاجـات والخدمات, ويرجع هذا الغموض إلى الافتراض الضمني أن ما يقترح من خـدمات لابد أن يلبي حاجات , فالعمل الأول الذي قدم لمؤتمر الطفل العربـي فـي ابريـل 1980 , عن الاحتياجات الأساسية للطفل في الوطن العربي , مثلا لم يحدد تحديـد علميا لهذه الاحتياجات بقدر ما تم تحديده للخدمات التي يفترض أنها تلبيها , فمـاذا من صعوبات هذا الإقناع بقدر ما تزداد الخدمة المقترحة بما يسمى حاجات حيويـة أو ضرورات من أجل البقاء . أن تقدم الخدمة ليس دليلا بالضرورة عـن وجـود الحاجة, كما إن عدم اقتراحها أو تقديمها ليس دليلا على عدم وجود حاجة حقيقية.

وإثارة تعريف موضوع الحاجة , يقصد منه انه وسيلة عمل تعتمد في تحديـد الحاجات وفي الإقناع بأنها فعلا حاجات . ذلك أن المسألة ليسـت مسـألة ضـبط لوائح, بل المسألة تتطلب معرفة طبيعية الحاجة ودرجة الاحتياج إليها .

الحاجة إذن ليست خدمة , وليست كذلك ما ينقضـي الأفـراد والجماعـات , الحاجة مسافة نفسية واجتماعية بين المحتاج وما يحتاج إليه , ولكن الصعوبة هنا . كيف تقاس هذه المسافة ؟ وهي مسافة غير مباشـرة , تختـرق نسـيج العلاقـات

الاجتماعية , وتتدخل في رسم تصورها والوعي بها , والتعبير عنها أو المطالبة بها , جمله من المؤسسات بمعناها العام وأشكالها المختلفة .

هذه الصعوبات تجهل من المستحيل هنا تحديد مؤشرات أو وضع نموذج متكامل لحاجات الطفل الحقيقية , أو وضع مشروعات كاملا يتبناه خدمة للطفل , بهدف معرفة تعقد الحاجات , وأهم الصعوبات التي تعترض تحديدها والتي يجب حلها أو تناسبها[2].

2- **من يحدد الحاجة** :

إن المحتاجون لا يعبرون عن حاجاتهم إلى في حالات استثنائية فلا يتاح لهم حرية التعبير عن ذلك ، لذلك تتدخل المؤسسات بينهم وبين حاجاتهم لتعبر باسمهم عنها ، وقد يتم رصد حاجاتهم دون معرفة رأيهم ، بل وأحيانا دون معرفة أراء كثيرة منهم . ومن يكون عرض الخدمات وطلبها معادلة صعبة ، فهناك خدمات لا يكفي عرضها للاستفادة منها ، بل قد يكون هناك امتناع عن الاستفادة منها ، والعكس هناك حاجات لا يعبر عنها ، فالعمل على إثارة الطلب عند أصحاب الحاجة ليلقى الخدمات المعروضة عليهم طريقة لم تتحقق بعد وبصرف النظر عن النتائج حول هذه الطريقة. فإنها ليست يسيره إلا في مجالات محددة ، مثال بيع أو توزيع المواد الصحية. وعموما ، فإن الطلب يحركه في الواقع وسائل الإعلام المختلفة بعد اتخاذ القرار لتقديم الخدمة فبعض ما يسند من حاجات إلى الفئات والشرائح الاجتماعية هو في الواقع من حاجات الأجهزة المشرفة نفسها ، فالسلطة بمعناها العام وبأشكالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية ، من طبيعتها ترك الحاجة التي لا تستطيع أن لا ترغب في تلبيتها. وهي على عكس ذلك قد تختلف حاجات لتلبيتها لذلك يصبح التمييز بين حاجات حقيقية عند إجمالها ، وحاجة

وهمية يحددها غيرهم.

وإذا كانت بعض الفئات الاجتماعية لها صوت ومطالب ، فإن الأطفال لا صوت لهم ، وقد لا يكون لآبائهم أيضاً ، فهم لا يكونون مجموعات ضاغطة ، وفي هذا يقوم اسماعيل صبري عبدالله :"لو كان للطفل حق التصويت وكانت لديه القدرة على استخدام الحق في جو ديمقراطي ، لكن الأطفال أقوى فئات أصحاب المصالح في مجتمعنا"[3].

ومن هنا نستطيع القول بأن الطفل لا يحدد حاجاته ، وإنما تحددها حاجات غيره وحاجة غيره إليه أيضا ، بدءً بالوالدين ومروراً بالمدرسة إلى المجتمع ، وإذا كان هذا الطفل غير مرغوب فيه أو هو محل رعاية بعد أن وجد ، فإن ضعف الحاجة إليه في أن تخلف وضع الطفل قد يبعث على التساؤل حول حاجة المجتمع الفعلية إلى هذا الطفل ، رغم كل ما يقال عنه كأولوية قومية.

وإذا كانت بعض المشروعات أو الخدمات تتواصل رغم قلة أو عدم نجاحها فذلك يرجع إلى أن مصير هذا المشروع أو المؤسسة التابع لها مرتبط بها ، وقد تبين أن بعض الهياكل البيروقراطية لا تتنازل بسهولة عن المهام غير المغيرة بها وتصر على القيام بها ، ويرجع أسباب هذا القصور أو العجز إلى عوامل خارجة عن نطاقها ، فالبيروقراطية تلعب دوراً في البلاد النامية عموماً ، خاصة البلاد التي ليست بها الكفاءات اللازمة لإدارة هذه المؤسسات. ومن هنا فهي لا تستوعب تعقد الحاجات التي حددها الطفل ، وبمعنى أخر لا يهتم بذلك باعتبارها حاجات خارجة عن صلاحياته واهتماماته.

ولذ أبرز المهتمون بأوضاع الطفل أن هذه الظاهرة تجد الكثير من الصعوبات في العمل الموجه إلى الأطفال ، خاصة الفقراء منهم ، ففي المجتمعات التي يقل

منها الاستقرار السياسي ، تتغير تبعاً لذلك المسئوليات الإدارية ، وينقطع العمل ويتراجع ، ويحد الروتين من مسيرة العمل ، فكثيراً ما تتغير الإدارة ، وتسعى الإدارة الجديدة إلى إظهار ما يميزها عن الإدارة السابقة ، فتقدم على تغيير الأوليات وتعديل قائمة الحاجات ، وهكذا تتغير حاجات الطفل والوضع كما هو لم يتغير.

إن ارتباط حاجة الطفل بحاجة المؤسسة ، أمر لابد من التساؤل حوله ، بمعنى أخر ، هل هناك موضوعية في إثبات قائمة الحاجات وتوفير ما يوفقها من خدمات ومشروعات. إن الأمثلة كثيرة على ذلك مثل : دور الحضانة ، مطلب معروف ، ولكن هل وجودها تلبي حاجة عند الطفل إلى حضانة الآخرين ، أم يلبي حاجة الأم العاملة أو التي لا تعمل؟

إن للحاجة مضمونا اجتماعيا تاريخياً ، والبحث عمن يحددها في مجتمع ما ، في فترة تاريخية ما يكسبها هذا المضمون ويخلصها من التجريد الذي لا يراعي الواقع. ولهذا فمن المفيد دائما معرفة تطورها وصيرورتها ومعرفة ما تراكم عنها.

والأطفال ليسوا قطاعا ولا فئة متجانسة في المجتمع ، لذلك فبعض ما يعتبر حاجات للأطفال لا يكون في الواقع إلا حاجات فئوية أو طبقية تسعى إلى الانتشار ، وما لم يؤخذ هذا بعين الاعتبار فإن المجال يتسع لقوى اجتماعية ما لتحديد أطفال غيرهم. ولا يكون ذلك إلى في حدود تحقيق مصلحة أطفالها فقط. وإن كانت بعض الضرورات اللازمة كالصحة والغذاء تبدو موجودة فإن قطاعات كالتعليم والثقافة والإعلام قد اتخذت أهداف لها وأشكالا لا يمكن فضلها عن البنية الاجتماعية والسياسية للمجتمع.

لذلك فظروف التمايز وعوالمه موجودة في المجتمع ، يتحمل الطفل في أسرته

تبعاتها ، لذلك لابد من طرح سؤال هام هنا وهو تحديد حاجة أي طفل؟ إن أطفال الفئات الفقيرة هم أكثر الناس حرمانا في أي مجتمع ، وفي أي منطقة من العالم وهم في ذلك يتفقون – عن طريق أوليائهم – ما يساهم في تحمل نفقات أطفال فئات أخرى أكثر حظاً منهم . ومن هنا يجب على المجتمعات أن تعدل نسق ومعايير خدماتها المقدمة إلى أطفالها بما يتناسب مع اتجاه العدل الاجتماعي[(4)].

3- **حاجات أم خدمات أساسية :**

تركز دائماً الأدبيات المتداولة عن الطفل فيما تعتبره حاجات أساسية ، وينطبق هذا على ما سعى منها إلى ضبطه من خلال لوائح في الحاجات ، أي الحاجات التي تنتمي إلى قطاع واحد ، وبمعنى أخر كل ما يركز على حاجة أو مجموعة حاجات تنتمي إلى قطاع واحد تعتبر حاجات أساسية ، والملاحظ هنا غياب ما ليس أساسياً.

وتعتمد تصنيف الحاجات الأساسية هنا على اتجاهين : الاتجاه الأول يعتمد على ما هو متصل ببقاء الطفل ونموه ، والاتجاه الثاني يعتمد على الإدراج في عملية التنمية الشاملة.

وهذا بمعنى أن الأمر أصبح أكثر صعوبة ، فالحاجة تزداد وزنها كلما اقتربت من اختصاص من يحددها وأن تقديرها يكتسب مصداقية فكرية وشرعية مؤسسية على حساب المرء وتكامل الاجتهاد فيها. لذلك نجد نوعا من التنافس في ترتيب الأولويات ، يصبح الترتيب معه صعباً. فتناول الحاجات – حتى لو كانت أساسية يتم عن طريق الخدمات المقترحة ومن الطبيعي أن يحدث من خلال ذلك نقص ، وانطلاقا من هذا الافتراض بأن النقص من خدمات ، وإذا كان النقص لا يساوي الحاجة أساسا فلابد أن تكون الخدمة أساسية ومن هنا نجد أن هناك مرور سهل من حاجات غير محددة إلى خدمات تأتي من تقييم الوضع ، لهذا تمتد لوائح الخدمات

وتغيب الحاجات.

وبمقارنة المقترحات التي تقدم عن الحاجات ، نجد أنها متطابقة ومتشابهة إلى حد كبير مع بعضها البعض ، وان اختلفت في ترتيبها ومسمياتها ، إلا أنهـــا تكـــون مجموعة متجانسة ومتآلفة تؤكد لنا بنائيا أنها مقترحات مشتركة ، أضافتها قليلة ، لا يغير الزمن منها كثيراً.

وقد أمكن بشكل غير نهائي إقرار القائمة الخاصة لخدمات الطفــل الأساســية واستخلاصها من النصوص والوثائق التي قدمت في ميثاق حقوق الطفــل العربـــي والتي أسفرت توصياته عن أن الخدمات الأساسية للطفل تتلخص فيما يلي :-

- أعداد الأسرة لاستقبال الطفل (مع التركيز على التوعيــة الإعلاميــة تجــاه الوالدين).
- الرعاية أمان الحمل (توفير الرعاية أثناء الحمل وعند المخاض).
- التغذية (للرضع والأطفال الصغار والحوامل والأمهات).
- الرعاية في مرحلة ما قبل المدرسة (بما في ذلك حيز مناسب للتحرك واللعب وخدمات الأطفال والأسر العاملة).
- توافر الشروط البيئية (كالماء والتخلص من النفايــات والصــرف الصــحي وسلامة الأغذية والصحة الشخصية).
- التربية (التعليم الرسمي وغير الرسمي).

ثانياً : الحاجات الدينية والأخلاقية للطفل :

سوف نتناول في هذه الأجزاء الحاجات الخاصة بالارتقاء العقلـــي والنفســـي للأطفال الدين ضرورة اجتماعية وكما نعلم أن الإنسان لا يستطيع الحياة بعيداً عــن

المجتمع ، وأنه بالمثل – لا يستطيع الحياة بدون دين ، هذا الميل أو الشعور الديني، هو الذي ينشأ عنه ميل أو شعور بالحاجة إلى قوة أقوى من الإنسان ، وينشأ هذا الشعور عن فعل ما وهو القلق بشيء يتمثل فيه القوة سواء كانت هذه القوة خيرة أم شريرة ، وفي هذا يمكن تفسير أسباب تدين الإنسان على مر العصور المختلفة ، وعبادته لأشكال متنوعة تتمثل فيها القوة المادية التي عبرها ، استجابة لهذا الميل إلى التدين ، وإرضاء للميل إلى المجهول الناشئ عن فطرة الإنسان في شعوره بالحاجة إلى نواة أقوى منه يشعر بالخضوع لها والارتياح إليها والاستمتاع بحمايتها.

هذا ومن المعروف أن الطفل المولود حديثاً يكون عقله صفحة بيضاء ، ثم يخط عليها المجتمع ديانته وثقافته ولغته وآدابه ... وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه" بمعنى أن المولود يستجيب بدافع الميل الطبيعي إلى التدين وإلى نوع من الإيمان الذي يتجه له الأبوان وتلك فطرة الله تعالى في قوله تعالى ، "فطرة الله التي فطر الناس عليه" حيث يكون المجتمع كل على دين ما ويتولى الأبوان نيابة عن المجتمع غرس هذا الدين في ذات الاجتماعية : مثل الدين والثقافة واللغة ، وتتولى أسرته تحويل فطرته إلى اتجاه اجتماعي ونفسي.

ويعرف دوركايم الدين بأنه نظام موحد من العقائد والعبادات المرتبطة بالأشياء المقدسة ، وهو يقوم على أساس أن العقائد عبارة عن حالات فكرية ، أو مجموعة من التصورات الذهنية ، على حين أن العبادات مجموعة من المبادئ العملية التعبدية.

ويعرفه زيدان عبدالباقي أن الدين الإسلامي مجموعة من العقائد والعبادات المرتبطة بالأشياء المقدسة ، وهو يقوم على أساس أن العقائد عبارة عن حالات

فكرية ، أو مجموعة من التصورات الذهنية ، على حين أن العبادات مجموعة من المبادئ العملية التعبدية.

ويعرفه زيدان عبدالباقي بأن الدين الإسلامي مجموعة من العقائد والقواعد والأفكار التي شرعها الله لعبادة ، باختيارهم الرشيد الحميد إلى ما ينفعهم وتصلح من حياتهم ، ويعرفه العقبي بأنه الإيمان والاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية ، لها شعور واختيار ، ولها تدبر وتصرف وتحكم في الشئون التي يعني بها الإنسان ، ويعرف كذلك بأنه "نظام إلهي يرشد إلى الحق في العقيدة والخبرة في السلوك والمعاملات"(5).

من هذه التعاريف نجد أن الدين الإسلامي من صنع ووضع الله الذي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات.

ويتفق معنى الدين بمفهومه مع الشريعة الإسلامية ، إيمان صادقاً بالله ، وبكل ما آمر به ، وما صدر عنه ، وعمل بمقتضى هذا الإيمان يقوم على طاعته ، وثقة مطلقة بأن المصلحة فيما شرعه من أحكام وقوانين في العبادات والمعاملات.

ومعنى الدين لغة وأنه يدينه ، ملكة وحكمة ، وأساسه ودبرة ، أو قهر وحاسته، أو جازاه وكافأه ، وعبارة "يوم الدين" على سبيل المثال معناها "يوم الحساب والجزاء" ويقال : وإن فلان الفلان بمعنى خضع له ، وخشع وأطاعه ، وأن فلان بكذا على معنى المتقدة اعتاده ، واتخذه مذهباً له.

والعاطفي – والميل الديني موجود لدى الإنسان ، ولكنها لا تتبلور ولا تتحقق إلا إذا تجسدت في هيئة دينية ، اعتنقتها جماعة إنسانية تشترك كلها في التسليم بالفكرة أو العقيدة الريفية ، والتزمت بطقوسها ومراسيمها ، وقامت بالتزامات عباداتها ، أي أن العاطفة الدينية عاطفة إنسانية طبيعية ، قبل أن تكون عاطفة

اجتماعية ، وأن الترابط بين الناس في المجال المقدس هو ترابط اجتماعي ، وهــو الذي يشكل جوهر النظام الديني.

ولأن الإنسان يوصف على أساس ما سبق بأنه حيوان متــدين فــإن الطفــل يخضع للارتقاء التدريجي للشعور الديني ، ويظهر لديه لأول مرة وهو في حــوالي الرابعة من عمره بعض الأسماء المحددة العدد والتي تتصل بالدين مثل ، الملائكة ، الجنة ، النار ، الأنبياء ... الخ وما يشعر به الطفل حيال هذه المسميات عبارة عــن مجموعة من الانفعالات التي لم تتبلور عدا في شكل عاطفة دينية ، فــإذا نضــجت تلك العاطفة الريفية فإنها تتركز حول بعض (الأركان الدينية الأساســية) ، وهــي الشهادة ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان ، وحج البيــت لمــن استطاع إليه سبيلاً ، ويكتسب الطفل بجوار ذلك بعض المعايير الدينية مثل الحــلال والحرام والمباح والمنهى عنه ، وما إلى ذلك وكل هذا من خــلال عمليــة التنشــئة الاجتماعية.

ويقع الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة تحت تأثير دافع حب الاستطلاع فهــو يتساءل عن كل شيء يقع في مجال يقره أو ادراكه أو ملاحظته ولا يجــد صــعوبة في فهم الإجابات التي ترتبط بالأشياء الملموسة ، ولكنه يجد الصــعوبة فــي فهــم الإجابات التي تتصل بالأشياء المجردة ، لأنه لا يفهمها ، وهو لا يكف عن الســؤال عنها حتى يفهمها ، أو حتى يفهمهما عند ما يكبر ويتقدم به السن ، وتزداد معلوماته حول العقوبات فأجوبة هذه الأسئلة سوف تتبع فجأة في صــدره ، فــالله ... مــثلا شعور وأحاسيس ، الله راحة... فهو يسأل عن الله، وعــن مكانــه ، وعــن شــكله أوهيئته ولماذا لا يتكلم ، ولماذا خلقني , ولماذا هو كل شيء من المجهول ، وإلــى الأبد المجهول.

وفي الإجابات التي يسمعها الطفل حول هذه الأسئلة يسمع مفاهيم جديدة تــدل

على قدرته العقلية على الفهم مثل الحياة ، الموت ، الحساب ، العقاب وما إلى ذلك، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المعلومات أو الإجابات التي تلقن للطفل في هذه السن يتشربها ويتمثلها ، بحيث تصبح جزءاً كبيراً من كيانه الشخصي ، ومن ثم يدافع عنها بعد ذلك لاعتقاده بأنها أفضل ديانة وأفضل عقيدة ، فهو يدافع عنها ، ويستجيب لأوامرها ، ومن هنا فإن الأب والأم والمربيين والرواد الاجتماعيين وعلماء الدين مسئولون عن نتيجة الشعور الديني لدى الطفل حتى ينشأ نشأة دينية[3].

خصائص الشعور الديني عند الطفل :

يوضح زيدان عبدالباقي مفهوم الدين لدى الأطفال من خلال مجموعة من السمات العامة للشعور الديني لدى الطفل تتلخص فيما يلي :-

أ) الواقعية : حيث يضفي الطفل على موضوعات وأشخاص الدين وجوداً واقعياً محسوساً ، فالملاك في تصوره رجل أو امرأة جميلة بأجنحة وملابس بيضاء.. والشيطان مارد أو عملاق ضخم غليظ أسود كئيب الشكل ، ينبعث من عينيه الشرار ، وعلى جانبي رأسه قرنان طويلان ، وربما له ذيل ، ولرجليه حافران.. الخ.

ب) الشكلية : بمعنى أن الدين في هذه المرحلة من هذا العمر : شكلي ، لفظي ، وحركي ، أي أن أداء الفرائض وممارسة الطقوس الدينية ، ليس إلا تقليداً ومسايرة للمجتمع – وذلك لعدم قدرة الطفل على أن يتمثل الرهبة والخشوع ، وأن يستحضر عظمته أثناء صلواته وما على ذلك.

ج) النفعية : بمعنى أن أداء الفرائض ليس من أجل الفرائض فحسب ، وإنما من أجل تحقيق المنافع مثل الحصول على الحلوى والفواكه واللعب... والنجاح

في الامتحانات ، أو تحقيق الأمن عن طريق المزيد من حب الأبوين.

د) العنصر الاجتماعي : حيث يتأثر المرء بالبيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها ، بمعنى أنه إذا كان الالتزام بالدين التزاما كليا هو النظام السائد في المجتمع – كما هو الحال في المملكة العربية السعودية – فإن الطفل ينمو ويتقدم في العمر على أساس هذا الالتزام الديني . وإذا كان الدين في البيئة الاجتماعية كما يقال – علاقة خاصة بين العبد وربه... والمجتمع يحكم طبقا لقوانين موضوعية لم تستلهم فيها حكمة السماء... فإن الطفل يشب وينمو على أساس هذا الفصل بين الدين والمجتمع ، ولقد نجح الاستعمار في فصل الدين عن الدنيا في كافة الدول العربية باستثناء المملكة العربية السعودية وبعض الإمارات . ومن هنا يصبح الدين في الحلة الأولى وسيلة من وسائل التوافق الاجتماعي ، وتختلف لأمر عن ذلك في الحالة الثانية.

الدين والارتقاء العقلي :

لما كانت الأصول الدينية عبارة عن مجردات ، فإنها تحتاج من أجله فهمها إلى بعض القدرات العقلية العليا القادرة على التفكير والتخيل والتصور... فالطفل في السنوات العشر الأولى من عمره لا يكون قادرا على التجريد بصورة كاملة – كما قدمنا من قبل- وإنما يكون حسيا فحسب . وكلما تقدم الطفل في فهم المجردات، أي كلما أصبح تفكير الطفل موضوعيا ، يأخذ الدين مكانه في عقله ويزيد في التكوين العقلي ثبات واستقرار فكرة الألوهية ، وفكرة الخلق ، وفكرة البعث وفكرة الخلود ، وما يتصل بكل ذلك من الرسل والأنبياء والملائكة والخلق أجمعين.

هذا والتصور الديني لدى الطفل الصغير يشابه تصور الإنسان البدائي ، حيث يكون مليئاً بالملائكة والشياطين . ومع وصول الطفل إلى مرحلة الطفولة المتأخرة،

حيث يرتفع مستواه العقلي والفكري يتجه الدين في تصوره إلى البساطة والوحـــدة ، ويبتعد عن الانفعالات المتداخلة ، ويقترب مـــن التصـــورات المنظمـــة والأفكـــار العقلانية.

الدين والارتقاء الاجتماعي :

لقد أوضحنا من قبل أن الطفل في السنوات العشر الأولى من عمره ، يكـــون حسياً ، ومن ثم فإن الدين في نظره هو ما يفيد أحاسيسه ، بمعنى أن علاقة الطفـــل بالدين تكون علاقة نفعية لطرف واحد وهو الطفل ، أي علاقة نفعية أنانية . ولكمـــا تقدم الطفل في العمر ، وزادت قدرته على التكفير الموضوعي المتوازن فإنه يخرج من حدود ذاته الضيقة ، ويتمكن من (الربط بين ذاته وبين العالم في آن واحد) ثـــم ينتقل إلى مرحلة فكرية أكثر موضوعية يتمكن فيها من إدراك أن (الله رب العالمين ليس ربه هو وحده) وأنه ربه ورب الناس أجمعين من كافة الأديان السماوية وغير السماوية في آن واحد. وأن الدين الذي يعتنقه الطفل – وهو دين أســـرته – تعتنقـــه أسر كثيرة. وجوار ذلك هناك أسر أخرى سواء في نفس المجتمع أو غيـــره تتبـــع أديانا أخرى... الخ.

ويهتم الدين الإسلامي ، الذي جاء للبشرية كافة ، بالحث على تعليم الأطفـــال تعاليم الدين منذ الطفولة المبكرة. وتوجيه الطفل إلى ضرورة استخدام العقـــل فـــي التفكير بما حوله ليهتدي إلى الخالق وإلى التدين : على اعتبار أن التدين من الميول الفطرية لدى الإنسان. وهذا الميل الفطري يحتاج إلى صقل وتهذيب وتوجيه حتـــى يسير في مساره الطبيعي ، بعيدا عن الانحرافات التي قد تمسح الفطرة التي فطـــر الله الناس عليها كبارا وأطفالا.

هذا ويمكن تلخيص ما يجب على الآباء حيال أبنائهم فيما يلي :

1- أن يتخيروا لهم الأسماء الحسنة.

2- أن يقوموا بالإنفاق عليهم طعاما وكسوة حتى يبلغوا مبلغ الرجال.

3- أن يعلموهم – وجوبا- ما يعلمون الحلال والحرام ، وما يعرفون أمور دينهم.

4- أن يحسنوا تربيتهم وتأديبهم وتعويدهم العادلات الإسلامية والآداب الاجتماعية الحميدة ، وأن يعرفوهم على أداء الفرائض والطاعات منذ صغرهم.

5- أن يساووا بين الأبناء في العطية وأن يعدلوا بينهم في كل الأمور ، لقوله صلى الله عليه وسلم ساووا بين أولادكم في العطية ، فإني لو كنت مؤثرا أحدا لآثرت النساء على الرجال ، (رواه الطبراني).

6- وأن يعدلوا بينهم لقوله عليه السلام (إن شلهم عليك من الحق أن تعدل بينهم، كما أن لك عليهم أن يبروك) (رواه الشيخان).

7- أن يرفعوا بهم ويرحموهم حيث يستحب الرفق والرحمة بالأولاد ، ومعاشرتهم باللطف ، وتقبيلهم عن شفقة ورأفة ومباسطتهم بالكلام.

8- أن يعلموهم علما ينتفع به ، أو خدمة صالحة ، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانهم.

9- أن يدعو الآباء للأبناء بالخير ، ففي الحديث (دعاء الوالد لوده كدعاء النبي لأمته).

وقد وردت النصوص الكثيرة في تربية الأبناء من قبل الآباء والإحسان إليهم، مما يؤدي إلى بناء الأسرة على أسس كريمة ، تساعد على ازدياد قوة المجتمع

وتكافله وتعاونه [4]، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقــول (ألزمــوا أولادكم وأحسنوا أدبهم) (رواه ابن ماجه) وفي وقله (الرجل راع في أهله ومســئول عن رعيته ، والمرأة راعيه في بيت أهلها ومسئولة عن رعيتهــا) (رواه البخــاري ومسلم).

ومن الناحية الأخلاقية ، فإن الأخلاق ترتبط بالدين ارتباطهــا وثيقــا ، فقــد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام قائلاً (وإنــك لعلــى خلــق عظيم) وقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن غاية رسالته (مكارم الأخــلاق) فقال (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق حسن) فالنبي صلوات الله وسلامة عليه أدخل الأخلاق في مفهوم الإيمان ، حيث قال عندما سئل : أي الإيمان أفضل يارسول الله؟ فقال (خلق حسن) وقال أيضاً (خير ما أعطى الناس خلق حسن) وقال (إن أفضــل شيء في الميزان : الخلق الحسن) فقد فضل صلوات الله وسلامه عليه آخر وصاياه لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن قاضيا ومعلما ، إذ قال له (أحسن خلقــك للناس يا معاذ) وكل ذلك يؤكد أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يكن يكف عن الحث على التمسك بالأخلاق... ومن جهة أخرى فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت (كان خلقه القرآن).

والأخلاق الإسلامية منبعثة عن العقيدة ، فلا تميلهــا المصــلحة ولا تســيرها المنفعة ، فإذا انتهت هذه المصلحة أو تحققت المنفعة انتهى الخلق وتركــت القيمــة لأن هاتين الصفتين تقوم عليهما الأخلاق. فإذا وجدنا ، وجــدت الأخــلاق وإذا لــم توجد انعدمت الأخلاق. ولكن الأخلاق والقيم في نظر الإسلام أخلاق ثابته وقــيم لا تتغير ، لأن المسلم يتلقى الأوامر والنواهي من الله سبحانه وتعالى. والله عز وجــل قد بين جملة الأخلاق الصالحة والآداب الحميدة في القرآن الكريم والســنة النبويــة ووضحها توضيحا لا لبس فيه ولا غموض ليكون المجتمع المسلم متماسكا ومتكاتفا

أفرادا وجماعات ، وليحفظ لهذا المجتمع وحدته المتماسكة والمتكاتفة وشخصيته المتميزة بين الشخصيات الأخرى فالإسلام دعا إلى الصدق والبر والعدل ومعرفة الواجب وأداء الحق والحلم والحياء والصبر على البلاء والشدة والمصيبة والشجاعة والعزة والتواضع والرحمة والشفقة والوفاء والعفة وصلة الرحم ورعاية حق الجار، وصون اللسان وعمل المعروف وعيادة المريض وإغاثة الملهوف ورعاية الفقراء والمحتاجين من المساكين وغيرهم.

وأوضح الإسلام كذلك السنن الحميدة مثل : طلب الحلال كالجهاد والصلاة والنظافة والطهارة وكذلك المعاشرة والموالاة والمؤاخاة – وبين كذلك حقوق الوالدين وذوي الأرحام والضعفاء ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كل هذه الأشياء التي دعا إليها الإسلام ووضحها تشكل المقومات الأخلاقية بمفهومها الإسلامي ، والتي أوجب الدين العمل بها. أما الأشياء التي تتعارض مع الأخلاق الإسلامية ، والتي عنها ، وأمرنا بالابتعاد عنها ، فهي التي تعمل على هدم جوانب الأخلاق لدى الإنسان ومن أمثلتها : الكذب ، وشرب الخمور ، والحسد ، والنميمة ، والزنا ، وأكل الربا والظلم وشهادة الزور ، والإفساد في الأرض... وما إلى ذلك من الأشياء الذميمة التي يجب على الإنسان المسلم أن يبتعد عنها ، ويحرص كل الحرص على تسربها إليه وطبعها على قلبه.

المبادئ الخلقية في الإسلام :

لقد جاء الإسلام بقواعد وأسس تجلب الخير للإنسان وتحقق له السعادة ، وتبين له المثل العليا والقيم السامية التي ترفع من شأن الإنسان المسلم ليظهر بالمظهر اللائق به.. ومن أهمها :

1- أخلاق إلهية :

ينطوي القرآن الكريم على كثير من الآيات التي تحث المسلم علـــى التمســـك بالأخلاق ومن أمثلتها " وإنك لعلى خلق عظيم ، وهي تحصن المسلم بالقيم العليا في سلوكه وتصرفاته. وعلى أن يكون حليما مثل الرسول عليـــه الصـــلاة والســـلام ، فالإنسان محتاج إلى الحلم ، لأن الحلم سيد الأخلاق ، وكذلك محتاج إلى الرأفة وما إلى ذلك من الخصال الطيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتـــي جعلـــت الله يصفه بالآية السابقة.

2- التوحيد :

التوحيد هو الإيمان بالله الواحد القهار ، الذي لا شريك له في ملكـــه ، وهـــو العزيز الحكيم ، ومن ثم فإن التوحيد من مقومات الأخلاق بمفهومها الإسلامي.

3- العدالة :

تقوم الأخلاق الإسلامية على العدالة لضرورتها في تنظيم المجتمـــع ، حيـــث تؤدي إلى حفظ كرامة الإنسان ، ونشر الأمن ، وتســـاند الأفـــراد فـــي المجتمـــع. والعدالة الإسلامية حق للجميع.

4- الحرية :

كفل الإسلام الحرية لجميع المواطنين ، وجعل الحرية أساسا تبنى عليه الـــنظم الدستورية ، وكفل في مجتمعه حقوق الأفراد والجماعات . وجعل مناط التكليف في كثير من الأحكام ، قائماً على أساس الحرية ، ضمن المفهوم العام للمجتمع.

والحقيقة التي لا مشاحة فيها أن الإسلام أول من قرر الحرية للأفراد والأمم ، وأعطاها لهم ، وجعلها أساساً من الأسس التضامن الاجتماعي في المجتمع ، وهـــذه

الحرية تعني انعتاق الإنسان من عبودية أخيه الإنسان ، وانعتاق الشعوب الأخـــرى لقوله تعالى (يا أيها الإنسان إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـــاكم شـــعوبا وقبائـــل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات13)... ومعنى ذلك أن الإسلام يقرر الحرية في كل شيء مثل : حرية الذات ، حرية المأوى ، حرية الاعتقـــاد ، حريـــة الرأي حرية التعليم ، وحرية التملك.

5- **الإخاء** :

يعتبر الإسلام المواطن المسلم أخ للمسلم مهما بعدت المســـافة ومهمـــا طـــال الزمن لقوله تعالى (إنما المؤمنون أخوة) والأخوة تقوم على الإيمان ، بل هي شرط من شروط الإيمان لقوه صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مـــا يحبه لنفسه) وقوله أيضاً (كل المسلم على المسلم حرام ، دمـــه ومالـــه وعرضـــه). فالأخوة توجب التعاون والتكاتف في الشدائد والمحن وعن الأخوة في الإسلام يقول الشاعر :

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنا

الشام فيه ووادي النيل سيـــــــــــان

وكلمـــــا ذكـــر اســـــم الله في بلـــد

عدوت أرجاءه من لبن أوطـــــــاني

6- **المساواة** :

الإسلام لا يفضل أحدا على أحد ، حاكما أو محكـــوم ، إلا بـــالتقوى والعمـــل الصالح ، لقوله تعالى (إن أكرمكم عنـــد الله أتقـــاكم) (الحجـــرات 13). ويـــرفض الإسلام التفرقة العنصرية لأن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة لقوله تعالى : يـــا

أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) (النساء-100) فالإسلام لا يعمل إلا بالمساواة والمساواة لا تكمل إلا بالخلق الحسن.

7- **الخلق** :

يطلق القرآن الكريم كلمة (الحق) على الإسلام ، فالإسلام هو العقيدة الحقــة ، لدعوته إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة ، من أجل إقامة المجتمع الفاضل.

وإذا كان مفهوم الأخلاق الإسلامية مستمد من العقيدة الإسلامية ، فمـــن هـــذه العقيدة صدرت المفاهيم الأخلاقية وتحددت القيم والمثل العليا.. أما الأخـــلاق فـــي المجتمعات الأوربية فهي مستمدة من الدين المسيحي مع ملاحظة أن هذه الأخـــلاق لو بقيت على صورتها المستمدة من هذا الدين لتقاربت – إن تتطابق- مع الأخـــلاق الإسلامية. غير أنها – أو أريد لها – أن تنحرف شيئاً فشيئاً عن الدين ، حتى غلبت عليها الفلسفة التي ترى أن المثل الأخلاقية بعيدة عن السلوك الواقعي ، ومـــن ثـــم استبدلت بالأسس أو المصادر التي انبثقت عنها الأخلاق المسيحية بأسس ومصـــادر أخرى. وبذلك تحولت إلى أخلاق عامة لا ارتباط بينها وبين الدين.

ومن هنا تغير مضمون الأخلاق عند الغربيين عن مضمونها عنـــد المســـلمين لانفصالها عن العقيدة المسحية. أما مضمون الأخلاق عند المســـلمين ، فلايـــزال – وسيظل- مرتبطا بالعقيدة الإسلامية التي هي أساس الأخلاق الإسلامية.

ومن هذا يتضح لنا أن أوروبا استبدلت الدين بالفلسفة ، وطبقت عليها قواعـــد أخلاقها ، وقالوا: إن الأخلاق لا تنتسب إلى الدين ولا للتقوى ، بل نسبوها للواجب وللضمير ، وأباحوا عندهم كل ما يجلب الفائدة للأفراد ، بغض النظر عن مســـاوئ ذلك بالنسبة للمجتمع فأباحوا الربا والملاهي والشهوات الجنسية المحرمة ، مـــع أن كل ذلك محرم في الدين المسيحي : وهناك ظهرت النظريات الجنسية التي لا تقـــيم

وزناً للعفة الجنسية ، واعتبروها من فضائل المجتمع.

وإذا كانت الأخلاق بمفهومها ومقوماتها على هذا النحو ، فكيف تــتم تنشــئة الطفل خلقياً؟ أو يتشبع – أو يتشرب – الطفل تلك الأخلاق؟

والإجابة أنه مادامت الأخلاق تكتسب من المجتمع ، فإن الجنــين والرضــيع كلاهما لا يستطيع اكتساب أية قيم أخلاقية. ولكن الارتقاء العقلــي للطفــل – فــي مرحلة الطفولة المبكرة – وإن لم يصل بعد إلى درجة تســمح لــه بــتعلم المبــادئ الأخلاقية المجردة فيما يتعلق بالصواب والخطأ – فإن يستطيع بالتــدريج أن يــتعلم مبادئ ذلك في مواقف الحياة اليومية ، وإن كانت ذاكرة الطفل لا تساعده – بعــد – على الاحتفاظ بشروط وخصائص أنما للسلوك الأخلاقي ؛ فضلاً عن عــدم قدرتــه على تعميم ما يتعلمه في مواقف على موقف آخر بنجاح أو بدقة.

ومن الأخطاء الشائعة هنا أن الآباء والمربيين يتعجلون تعلم الطفــل شــروط وخصائص أنماط السلوك الأخلاقي. وقد يدرك الطفل توجيهات الآبــاء والمــربيين ويستجيب لها بنجاح في بعض الأحوال، وقد يخطئ في أحوال أخرى. ومــن ثــم يتعرض للعقاب أو الزجر ، وفي الوقت الذي يكون فيه عقلــه غيــر قــادر علــى استيعاب الفلسفة الأخلاقية الكامنة وراء هذا السلوك الخاطئ... وفي حالة ما قد يقع في نفس الخطأ الذي عوقب من أجله من قبل – أو خطأ آخــر مشــابه- ولكنــه لا يعاقب. وقد يلبيه الطفل ، لذلك وقد يغفل عنه : ومن الأخطاء التي تعتبــر صــورة أخرى للأخطاء غير المفهومة بواسطة الطفل ، أن يأتي الوالدان أو أحدهما أو أحــد المربيين بنمط سلوكي ما ، ويحرمه – في نفس الوقت – على الطفــل ، بينمــا لا يدرك الطفل أسبابا مقنعة لذلك الذي يحرم عليه مرة ويباح أخــرى ، وفــي نفــس الوقت الذي يبيحونه لأنفسهم دونه ولهذا يرى حامد زهران أن أفضل قاعــدة لــتعلم السلوك الأخلاقي للطفل ليست هي مطالبته بإطاعة التعليمات فحسب ، وإنمــا هــي

(أن تقول للطفل افعل كما نفعل ، وليس ، افعل كما نقول ، أن الطفل يتعلم من الكبار المحيطين به)[7].

وهناك بعد الأطفال نتيجة للغيرة من طفل شقيق جديد ، أو نتيجة للحرمان العاطفي بسبب انشغال الأم عنه بعملها أو بصديقاتها أو بالأعمال العامة وتركها إيه للمربيات أو الشغالات ، أو بسبب اليتم ... الخ يأتون بعض الأنماط السلوكية التي تتعارض مع القيم الأخلاقية مثل الكذب والتخريب والعدوان... الخ. ولكنهم بالقطع لا يدركون ارتباط هذه المخالفات بالأخلاق.

وفي مرحلتي الطفولة الوسطى والمتأخرة تكون قدرة الطفل على إدراك بعض الأمور المجردة قد ارتفعت إلى يمكن الطفل من إحلال المفهوم العام لما هو صواب وما هو خطأ ، وما هو حلال وما هو حرام ، ... محل القواعد المحددة وكذلك يتمك – إلى حد ما - من إحلال المعايير الداخلية تدريجيا محل الطاعة للمطالبة الخارجية. وكذلك يزداد إدراكه لقواعد السلوك الاجتماعي القائم على الاحترام المتبادل ، فضلا عن زيادة قدرته على فهم جزئي للمعايير الأخلاقية الكامنة وراء الأنماط السلوكية[5].

وباقتراب الطفل من نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة ، تبدو – لديه – في شكل عام بالاتجاهات الأخلاقية للطفل عادة ، في ضوء الاتجاهات الأخلاقية السائدة في أسرته وبيئته الاجتماعية ومدرسته ، إذ يكتسب الطفل الأنماط السلوكية الملتزمة بالقواعد الأخلاقية من الكبار – إذا كانت متوافرة لديهم- حيث يتعلم ما هو حلال وما هو حرام.. ما هو مباح وما هو ممنوع. ما هو متفق مع الدين ، وما هو متعارض مع الدين .. الخ بمعنى أن الطفل يتطبع بالطباع السائدة في أسرته ، فإن كانت الأسرة ملتزمة بالأخلاق ، فإن الطفل يكون صورة منها والعكس صحيح... وإن كان الطفل في بداية المراهقة واثناءها يمكن أن يتخذ موقفا مضاداً لما هو قائم

من أسس أخلاقية – أو لا أخلاقية في أسرته[6].

ولا تنتهي مرحلة الطفولة المبكرة إلا ويكون الطفل قد اكتسب الكثير من القيم والمبادئ والقواعد الأخلاقية مثل : الصدق ، والأمانة ، الإخلاص ، التسامح ، صلة الأرحام ، والإحسان إلى الفقراء ، ومساعدة الضعفاء... وذلك بالإضافة إلى ما يحققه من توازن بين رغباته الشخصية وبين السلوك الأخلاقي العام ، حيث يمارس الضمير ، ضمير الطفل بعض الرقابة الذاتية على الأنماط السلوكية العامة للطفل.

أما ما يترتب على محاولات الطفل إنشاء علاقات مع أشقائه وجيرانه في المدرسة ، في الوقت الذي لا يملك فيه أي خبرة عن إنشاء مثل هذه العلاقات بصورة إيجابية.. الأمر الذي يؤدي إلى حد مشاجرات بينه وبين بعضهم مع بعض بتبادل الألفاظ النابية والشتائم وما إلى ذلك . وكذلك اختباره لقدراته في السرقة والغش والتخريب ، ومعابثة المدرسين ومضايقة المربيين... فهذه كلها مخالفات طفلية – أو – كما يقول العامة من الناس "شقاوة عيال" هذه الشقاوة من التعسف اعتبارها المخالفات الأخلاقية.

ويلاحظ اختلاف مدلول الألفاظ النابية من مجتمع محلي إلى آخر ، فعندما تركت الريف سنة 1949 للحياة في المدينة – طلبا للعلم والرزق- كان الصبية والمراهقون لا ينادون الواحد منهم الآخر ، إلا بالمرادفات العامية لكلمتي قبل ودبر منسوبة إلى المنادى عليه. وقد نادني بعضهم بهذا الأسلوب ، ولم أكن أعرف أن ذلك شيئاً عادية لديهم. ومن ثم لم أكتف بتحذيره بعدم العودة إلى مثل هذا أو الابتعاد عنهم – كما أفعل حالياً- وإنما كنت أكتفي مع كل منهم بضربه علقة ساخنة بين دهشة الجميع لسلوكي هذا. هؤلاء الذين لم تختف دهشتهم إلا عندما أبلغتهم أن أبناء الريف لا يتنادون بهذه الألفاظ البذيئة ، وأن كلا منهم يكاد يصل احترامه لأمه إلى مستوى القداسة ، ومن ثم يرفض الريفي أن يذكر أحد مجرد اسم امه ، فكيف

بالحديث عن أماً كن العفة فيها بهذه الألفاظ القذرة. الخ ، وقد تطورت هذه الشتائم بإضافة شتائم جديدة إليها في المدن ، وهو أن يصف كل منهم الآخر – يصف أمه – بأنها عاهرة عن طريق وصفها بمعناه تقديم فراشها لمن يطلبه بالأجر وبدونه والهدف من رواية هذه الوقائع هو أن الألفاظ البذيئة في المدن يعتبر من يتقبلها أو يتبادلها مع الآخرين متحضراً ، ومن يرفضها يعتبر ريفياً متخلفاً ، صحيح أنه اعتبار خاطئ ، ولكنه سائد.

وهذه الأخلاق الإسلامية تلزم الأب والأم والبيئة الاجتماعية والمدرسة والمجتمع بكافة مؤسساته الحكومية والأهلية.. إذ كانوا يرجون الله واليوم الآخر ، أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ، لقد كان لكم في سول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً".

ثالثاً : الحاجات النفسية للطفل :

سبق وأن أشرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب إلى مفهوم الحاجة كما عرفها لنا "حامد زهران"[7] بأنها الافتقار إلى شيء ما وفي حالة توافر هذا الشيء والحصول عليه يتحقق الإشباع والرضا والارتياح ، وبذلك تصبح الحاجة من الأشياء الضرورية ، لاستمرار الحياة نفسها كالحاجة الفسيولوجية ، أو للحياة بأسلوب أفضل كالحاجة النفسية.

- وقد أوضحنا على سبيل المثال الحاجة إلى الأكسجين والتي تعد ضرورة لا غنى عنها وبدونها يموت الإنسان كذلك الحاجة إلى الهواء ، الغذاء ، ودرجة الحرارة المناسبة.
- كما أوضحنا أهمية الحاجة إلى الحب والمحبة ، بأنها ضرورة للحياة بأسلوب أفضل ، وبدون إشباعها يصبح الفرد غير متوافق.

- ومن المعروف أن هذه الحاجات توجه سلوك الكائن الحي سعياً من أجل إشباعها ، ومن جهة أخرى فإن الطفل في الحاجة ، أنها حالة من التوتر والقلق والضيق تنأ حيث يثار الدافع ، ومن ثم فإنها تزول بإشباع هذا الدافع . غير أن المعالجين النفسيين يطلقون لفظ الحاجة على الفرد الذي يعاني من إحباط دوافعه الأساسية مثل الأكل والشرب واستنشاق الهواء وغيرها من الدوافع الناتجة عن حوافز بدنية ترتبط باحتياجات الإنسان الفسيولوجية ، وتلك المجموعة من الحاجات واضحة وضوحاً كاملاً . ولا يختلف أحد على أهميتها وضروريتها ، بمعنى أنها لا تختلف باختلاف البيئة الاجتماعية ، كما أن جميع الأفراد يتساوون في الشعور بها مهما اختلفت الثقافات والحضارات.

أما اليوم فإن الغالبية العظمى من علماء النفس يستخدمون اصطلاح "الحاجة" على أنه مرادف لاصطلاح "الدافع" وربما يرجع هذا إلى نظريات الدوافع التي لم تتبلور بعد تبلوراً تاماً أو ربما يرجع إلى تعقيدات الحياة الاجتماعية التي تعوق الدوافع (أي تحول بينها وبين الإشباع) ، بالإضافة إلى خوف الإنسان الموصول من إتيان العقبات والمصاعب في سبيل إشباع دوافعه.

وعلى هذا يمكن القول أن دوافع الإنسان هي حاجاته الأساسية ولهذه الحاجات مستويات ثلاثة فقد يكون :

1- الدافع : حاجة أساسية.

2- الدافع : حاجة تستهدف المحافظة على البقاء.

3- الدافع : حاجة تستهدف توليد الذات.

وذلك أن الحاجات الأساسية للإنسان تصنف طبقاً لأهميتها النسبية بالنسبة للإنسان من الحاجات الجسمية العضوية الدنيا التي تستهدف المحافظة على البقاء

إلى الحاجات النفسية العليا التي تستهدف توكيد الذات والانفصال عن الشخصية.

وفي ضوء ذلك يحدد زيدان عبدالباقي أهم الحاجات النفسية للأطفال على النحو التالي[9].

1- الحاجة إلى الحب والمحبة :

من الحاجات الانفعالية التي يشترك فيها الطفل مع البالغ والتي يسعى كل منهما إلى إشباعها ، حاجة المرء إلى أن يحب وإلى أن يكون محبوباً بمعنى أن الطفل في حاجة الشعور بأنه "محب محبوب" وأن هذا الحب متبادلاً بينه وبين والديه وأشقائه وشقيقاته وأقاربه وجيرانه وزملائه في المدرسة إلخ. ويحتاج أيضاً إلى إشباع دافع الانتماء بمعنى أن يشعر بأنه منتهي إلى أبوين يفخر بهما ، وأشقاء يحتمي بهم ، وعائلة كبيرة يجد من الكثير من أفرادها الصداقة والحماية والحنان ... ومن هنا فإن على كل أبوين أن يشبعا كل تلك الحاجات للطفل ، حتى لا يتعرض لما يعرف "بالجوع العاطفي" ومن ثم يشعر بأنه مرغوب فيه ، الأمر الذي يؤدي به إلى سوء التوافق الاجتماعي واضطراب النفسي.

2- الحاجة إلى التوجيه والرعاية الوالدية :

من أهم الأمور التي يحتاج إليها الطفل – بسبب عدم خبرته بالحياة الاجتماعية – التوجيه القائم على الإخلاص ، حتى يتم التقبل المتبادل بينه وبين المجتمع ، ومن هذا التوجيه لا يوفره إلا أبوان تلقيا هذا الطفل وهما راغبان فيه وسعيدان به وفخوران بأبوتهما له. فإن كانا كذلك فسوف يوفران له رعاية كاملة كلها الحب والحنان ، وتوجيها دقيقاً يساعده على أن يحيا صحيح النفس والبدن بين أهله وجيرانه. وكما قدمنا من قبل ، فإن غياب الأب يحرم الابن من القدوة وغياب الأم سواء بالوفاة أو بالطلاق أو بالانفصال عن الزواج أو بالاهتمام بأشياء أخرى غير

طفلها. وتركه للمربيات والشغالات (الخادمات) أو إيداعه في إحدى مؤسسات رعاية الطفولة ، فإن ذلك يؤثر تأثيراً سيئاً في نفسية الطفل.

3- **الحاجة إلى إرضاء الكبار** :

إن الطفل الذي يتمتع بصحة جيدة وبظروف وأحوال اجتماعية ونفسية طيبة ، يحرص في كل أوجه نشاطه ، وفي كل ما يأتيه من الأنماط السلوكية .. يحرص كل الحرص على إرضاء هؤلاء الذين يوفروا له كل ما يتسمع به في حياته الاجتماعية ، رغبة منه في ضمان الحصول على الثواب. وتلك الحاجة إلى الثواب –أي إرضاء الكبار- تساعده على الارتقاء بسلوكه إلى ما يحقق له التوافق النفسي والاجتماعي. وعلى ذلك فإنه من الأمور الطبيعية أن ترى عناية الطفل باستجابات الكبار والآخرين لكل كبيرة وصغيرة في حياته.

ومن ثم يسعى لكي تكون استجاباتهم نحو الإيجابية.

4- **الحاجة إلى إرضاء الأقران** :

لما كان التشابه من أهم عوامل التجاذب والتماسك ، فإن كل طفل يسعى إلى مصادقة ومصاحبة من كان في مثل عمره ، حيث يكون أسلوب التفكير – في الغالب- لديهما متشابه ومن ثم يكون التفاهم ميسوراً ، الأمر الذي يجعل الحب والسرور والبهجة تغلب حياة الأطفال الصغار المتقاربين في العمر وفي المستوى الاجتماعي. ومن هنا نجد أن كل طفل يحرص على أني كون عضواً في جماعة الأقران – أي المتقاربين في السن والمستوى الاجتماعي وهذا الحرص يدفعه إلى إرضاء هذه الجماعة ، حتى ترحب باستمراره كعضو فيها وعلى الأبوين أو الكبار المحيطين بالطفل ، أو الذين يتولون ولاية أمره عليهم الاهتمام بإشباع هذه الحاجة لدى الطفل بإتاحة فرص التفاعل الاجتماعي مع أقرانه بالمشاركة معهم في اللعب

والعمل ، وكل نشاطات إزجاء وقت الفراغ.

5- الحاجة إلى التقدير الاجتماعي :

والمقصود بالتقدير الاجتماعي هنا هو مدى ترحيـب – أو عـدم ترحيـب- الأسرة بالطفل . فالأسرة التي لا ترغب في الإنجاب ، أو تلك التي ترغب إنجـاب طفل ذكر ، فيرزقها الله أنثى. والأسرة التي ترغب في أنثى يرزقها الله طفلاً ذكرا. وكذلك الأسرة التي يرزقها الله العديد من الذكور والإناث ، ولا ترغب في المزيد ، والأسرة التي ترتبط ولادة الطفل فيها بحادث مفجع مثل وفاة الأم – أثناء الولادة – أو وفاة الأب ، أو حدوث كارثة أسرية تؤدي إلى ذهاب رأس مال الأسرة. كل هذه الأسر ينخفض ترحيبها بالطفل إلى حد كبير ، إذا قورن بترحيب أسرة كانت ترغب في مولود ذكر ومن الله عليها بتحقيق هذه الأمنية ، فإن الأسـرة الأخيـرة تعطـي تقديراً واهتماماً متزايدين لهذا الطفل ، وكذلك جميع من حول الوالدين مثل والـدي الوالدين وأشقائهم وبذلك تكون البيئة الاجتماعية كلها في رعاية هذا الطفل. ومن ثم يشعر بالتقدير الاجتماعي يساعده على القيام بالدور الاجتماعي الذي يحددونه له بما يتناسب مع عمره ومع قدراته وإمكاناته. وبما يتفق مع القيم والمبـادئ والمعـايير والعادات والأعراف والتقاليد السائدة في الأسرة. ومن هنا فإن إشباع هذه الحاجـة لدى الطفل ينبغي أن تكون من أهم عناصر عملية التنشئة الاجتماعية.

والحاجة إلى التقدير الاجتماعي بهذا المعنى هي الحاجة التي تدفع الفرد إلـى أن يكون موضع تقدير واعتبار واحترام من الآخرين ، بمعنى أن تكون لـه مكانـة اجتماعية . وتلك المكانة يمكن قياسها سوسيومتريا. وأن تكـون فـي أمـان مـن استهجان المجتمع ونبذه. وقد تتشابه هذه الحاجة إلى الأمن ، ولكنها تختلف عنهـا. ذلك أن التقدير الاجتماعي يعزز الشعور بالأمن ، ولكنه ليس مصدره ، على اعتبار أن الإنسان يشعر بالأمر إذا لم يكن هناك ما يهدد كيانه المادي والمعنوي ، غير أن

حاجته إلى التقدير الاجتماعي لا تشبع ومن أجل ذلك فالطفل يرنو ببصـــيرته إلـــى التقدير الاجتماعي بالرغم من توفير أبويه لكافة الضمانات التي يحتاج إليها.

والحاجة إلى التقدير الاجتماعي هي أساس الفرد وغروره ورغبته في الشهرة وبالإضافة على ذلك فإنها أساس احترام الذات وهي العاطفة التي تميل بالفرد مـــيلا جارفاً إلى إخفاء عيوبه عن الناس ، بل وعن نفسه ، وإلى التمسك بألوان معينة من السلوك. ذلك أن كل إنسان يدرك نفسه من خلال مفهوم ذاتي يسعى إلـــى تحقيقـــه. وبالتالي فإن دوافعه تتجه كلها نحو تحقيق ذلك المفهوم الذاتي لكي يصل إلى مرحلة تحقيق الذات ومن ثم فإن حاجات الإنسان تتركز حول تحقيق الصورة الصورة التي يريدها الفرد لنفسه.

6- **الحاجة إلى الحرية والاستقلال** :

أوضحنا من قبل أن الطفل يلتصق بأمه ليشبع حاجاته إلى الحب وإلى الـــدفء وإلى الغذاء من صدر أمه... وفي ما بين الثانية والثالثة مـــن عمـــره يميـــل إلـــى الاستقلال بحيث يرفض أن يسمح لأحد بالإمساك بيده إذا كان يسير في الشـــارع ، بالرغم مما قد يتعرض له من حوادث مفجعة. أما في داخل المنزل ، فإنـــه يحـــاول الاستيلاء على أي شيء تصل إليه يده ويعتبر ملكية هذه الأشياء أو اللعـــب بهمـــا ، وذلك من الأمور الطبيعية في هذا السن. والمطلوب من الآباء هنا أن يعملوا علـــى تنمية اتجاهاته نحو الحرية والاستقلال حتى يعتمد على نفسه فيما بعد – على تسيير أموره دون انتظار مساعدة من الآخرين . ولا يكون ذلك إلا باحترام وجهة نظره – إلى حد ما – فيما يرغب في ارتدائه أو تناوله أو ممارسته أو التفكير فيـــه... فكـــل هذه الأمور يحتاج فيها إلى تشجيع الأبوين حتى يتمكن من الانفطام الهـــادئ عـــن الأسرة.

7- **الحاجة إلى تعلم المعايير السلوكية :**

السلوك هو كل عمل أو نشاط أو تفكير يمارسه الإنسان ، ويوصف كل منهـــا باسم نمط سلوكي وهذه الأنماط السلوكية تخضعها المجتمعات – طبقا لأيديولوجياتها – لمعايير معينة. ومن الضروري أن يتعلم الطفل أن السلوك الإنساني يخضع لثلاثة مبادئ رئيسية وهي : السبب والدافع والهدف بمعنى أن أي مظهر للسلوك البشـــري ناتج بالضرورة عن سبب ينبعث من داخل الفرد يؤدي إلى تحريك السلوك وإنشائه أصلاً . ومن هذا الأصل ينشأ الدافع الذي يحدد اتجاه السلوك ودرجـــة الإصـــرار عليه. وهكذا يستمر الدافع بالنسبة في تحريك السلوك إلى أن يصل إلى الهدف الذي يمثل نقطة النهاية بالنسبة للسلوك. أي النتيجة التي كانت الرغبة في الوصول إليهـــا سبباً لإثارة هذا السلوك.

وعلى أساس تلك القاعدة فإن الشعور بالجوع سببه وجود تقلصـــات تحـــدث بالمعدة وبالأمعاء. نتيجة لعدم وجود المواد الغذائية المطلوبة لجسم الطفـــل. وهـــذه التقلصات المعوية تمثل نوعاً من التغير في ظروف بيولوجية ، تؤدي إلـــى إثـــارة الرغبة في البحث عن الطعام كوسيلة لإنهاء تلك التـــوترات البيولوجيـــة... الـــخ. وتظهر وظيفة المعايير في حالة البحث عن إشباع أي دافع ، حيث تشترط المعايير الأخلاقية أن يكون الحصول على الطعام من أجل إشباع دافع الجوع مـــن مصـــدر حلال.

وكلما التزم الطفل في كل نشاطاته بالمعايير السلوكية ، وبعبارة أخرى فإنـــه كلما أخضع الطفل أنماط سلوكه للمعايير السلوكية ، زاد توافقه مع المجتمع حيـــث يرحب المجتمع بمن يحترم هذه المعايير. وعلى ذلـــك فـــإن الوالـــدين والمـــربيين والعاملين في مختلف أجهزة الإعلام، عليهم أن يوضحوا حقوق الطفل وواجباتـــه ، ويبينوا له ما يباح وما لا يباح أثناء قيامه بواجباته أو أثناء مطالبته بحقوقـــه ، وأن

يبينوا له أن التزامه بالحلال والحرام لا يكون بينه وبين الناس فحسب ، وإنما بينــه – أيضا - وبين نفسه ، بمعنى أن يراعي الله في السر وفي العلن. ومن ثم فإن على الكبار – بجوار ذلك – أن يكونوا قدوة له ليسر على نهجهم.

8- **الحاجة إلى تقبل السلطة** :

وإشباع تلك الحاجة يرتبط بإشباع الحاجة إلى إرضاء الكبار ، حيــث تــرتبط رضاء الكبار بخضوع الطفل للسلطة السائدة في الأســرة. ولمــا كانــت الأســرة باعتبارها وحدة اجتماعية ، أي مجتمعا محليا صغيرا ، فإنها تحتــاج إلــى نفــس الضرورات التي يحتاج إليها المجتمع ومن أهم هذه الضرورات "ضرورة الســلطة" وطبيعة النظام الاجتماعي تقضي بأن يكون لكل مجتمع – صــغر أو كبــر – مــن يصرف شئونه ويمسك بدفه التوجيه فيه ، ونفس الطبيعة تقضي بــأن تســند مهــام الإشراف على الأسرة إلى ما ترشحه لها مؤهلاته والتزاماته الاجتماعية.

كما أوضحنا من قبل فإن الرجل هو أنسب من يتولى الســلطة فــي الأســرة بشرط التزامه بالممارسة الرشيدة للسلطة وعلى ذلك فإن علــى الزوجــة والأبنــاء والبنات أن يخضعوا لمن يمثل السلطة في الأسرة حتى يتطبع الطفــل داخــل هــذه الأسرة بقبول ما تقتضي به تلم السلطة الأسرية. لاسيما وأن الطفل أشد مــا يكــون حاجة إلى توجيهها من يمثل السلطة الأسرية لعدم خبرته بالحياة ومتطلباتها.

9- **الحاجة إلى التحصيل والنجاح** :

والطفل وهو في حاجة إلى تحقيق ذاته وتأكيد وجوده يعلم أن ذلك لن يتحقــق له إلا بالتحصيل العلمي والنجاح في المدرسة. والطفل وهو ينجح في دراسته يشبع دافعه الذاتي إلى الإنجاز ، ويشبع في نفس الوقت دوافع والديه التي تــدور حــول نجاح فلذة كبدهما. ولا ريب أن مثل هذا الحاجة ضرورية من أجل هذا الابن ومــن

أجل تنمية شخصيته. ومن ثم فعل الكبار أن ييسروا للطفل فرصة التعليم ليحصل على المعرفة ، وفرصة العمل ليمارس الإنجاز والإنتاج.

10- **الحاجة إلى احترام الذات** :

أي الحاجة التي تدفع إلى التعبير عن الذات والإفصاح عن الشخصية وتأكيدها، والوسيلة إلى ذلك هي أن يحقق الفرد ما لديه من إمكانات ، أو أن يبدي ما لديه من آراء ، أو أن يقوم بأعمال نافعة وذات قيمة للآخرين ، أو أن يكون منتجاً مبدعاً . ويمكن أن يتحقق ذلك للطفل عن طريق العوامل الآتية :

أ) الاستماع إلى شكواه متى شعر أنه ظلم.

ب) إفساح المجال لشخصيته في النشاط الذي يمارسه ، وكذلك إتاحة الفرصة له ليبدي رأيه فيما تعز الأسرة إحداثه من تغيرات في نظام الحياة اليومية.

ج) عدم تأثر المصلحة العامة للأسرة بأي مصلحة شخصية.

ولذلك فإن الارتقاء السوي للذات ، وتنمية مفهوم صحي موجب الذات يحتاج إلى إشباع هذه الحاجة الأساسية . تلك التي ترتبط بها مكانة الطفل الاجتماعية.

11- **الحاجة إلى الأمن** :

وهي الحاجة التي تدفع الطفل إلى تجنب الأخطار الخارجية والداخلية التي تؤدي إلى – أو تنسب – الأم ، مثل الحاجة إلى الملبس ، والحاجة إلى المسكن ، و الحاجة إلى النظافة ، والحاجة إلى تجنب مسببات المرض ، والحاجة إلى تجنب مسببات الامتعاض والتقيؤ مثل الأطعمة المرة والروائح النفاذة المؤلمة ، وكل ما يسبب الآلام الجسمية بصفة عامة. وعلى الوالدين مراعاة الوسائل التي تشبع هذه الحاجات لدى الطفل ، حتى لا يشعر بتهديد خطير على كيانه مما يؤدي إلى أساليب

سلوكية قد تكون انسحابيه أو عدوانية.

12- الحاجة إلى اللعب :

للعب دور ، بل أدوار في تنمية الجسم ، وفي التنفس الانفعالي ، وفي رفع الروح المعنوية ، وفي التعليم وفي التشخيص ، وفي العلاج. ومن هنا فإن اللعب يسد حاجة ضرورية للجسم ولنفس الإنسان. هذا اللعب يكون تلقائياً يسد فترة الطفولة المبكرة بمثابة سلوك يقوم به الطفل بدون غاية – أو تخطيط مسبق – وكل مخلوقات الله التي تعيش على الأرض تمارس في كل مراحل عمرها أنواعاً معينة من اللعب قد تختلف من مرحلة إلى أخرى من مراحل العمر ، ذلك أن اللعب من أهم وسائل الصغار في تفهيمهم للعالم – أو البيئة – المحيطة بهم ، وهو يتطلب الأمر من أجل إشباع هذه الحاجة ، إتاحة وقت الفراغ للعب ، وإفساح مكان للعب ، واختيار مختلف الألعاب المشوقة وأوجه النشاط البناء ، وتوجيه الأطفال نفسيا وتربويا أثناء اللعب.

13- اللعب في مراحل الطفولة :

يلاعب الطفل نفسه – أو هكذا يخيل إلينا – في فترة الرضاعة عن طريق المناغاة ، حيث نراه – كما لو كان يلعب – وهو يعبر عن سروره – وهو مستلق على ظهره – عندما يرى أمه تقترب منه من أجل رفعه أو إرضاعه ، فإذا هو يحرك يديه ورجليه في حركة رباعية في وقت واحد ويتوجه بابتسامة تملأ وجهه ، وقد يصاحب الابتسامة صوت يعبر عن السرور والبهجة.

وفي فترة الطفولة المبكرة يلعب الطفل في بعض الأحيان مع الآخرين ولكنه في غالب الأحيان يلعب مع نفسه ، ويكون لعبه بسيطاً في جملته وعضلي في حركاته ، وكثيراً ما يبدي بعض اللمحات من الذكاء أثناء اللعب.

وفي السنوات الأولى من مرحلة الطفولة المتوسطة يظهر عنصر التفكير في لعب الطفل كما يبدو في كثير من أوجه نشاطه ، حيث نراه يجري ويتسلق ويقذف الأطفال أن الواحد منهم ينمي عضلاته عن طريق اللعب ، أو أن عضلاته تنمو عن طريق اللعب دون قصد منه . وكذلك يدرب وينمي ذاكرته ، وترتقي قدراته واستعداداته على الكلام. ويوف لعبه في بعض الأحيان – خلال تلك الفترة – "باللعب الإيهامي".

وكلما تقدم في العمر ، مع نمو الارتقاء الاجتماعي النفسي ، يتخذ له بعض من الإخلال لكي يلعب معهم . وتلك أول "سمة اجتماعية" تكتسبها شخصية من خلال اللعب ، كما يتعلم بعض القواعد الاجتماعية مثل أصول اللعب ، ومراعاة أدوار الآخرين واحترامه لأفكارهم وحقوقهم في اللعب . ومن جهة أخرى فإن شبكة صداقته تتسع أبعادها مع ارتباط ذلك بروح التعاون والمحبة ، كما يتعرف على المثيرات الاجتماعية التي تتخلل اللعب ومن هنا يقل الزمن الذي يقضيه في اللعب مع نفسه أو اللعب الانفرادي – وفي الأوقات التي يخصصها الطفل للعب الفردي نجده يلعب ألعاباً مختلفة عن ألعاب الجنس الآخر. وينمو هذا الاتجاه نجد البنت تلعب مع البنات ، والولد يلعب مع الأولاد مع تأكيد دور البنت كأنثى ودور الولد كذكر.

ومما تجدر الإشارة إليه أن لعب الأطفال في مرحلة الطفولة المتوسطة يمكن تنظيمه والتخطيط له بواسطة مدربين متخصصين.. فقد تعلمت "الرباب" السباحة وهي الخامسة من عمرها ، حيث كانت تعبر حوض سباحة نادي طلعت حرب الجيرة وكذلك كانت شقيقتها اللاتي تدربت معهن على السباحة ، تحت إشراف مدرب السباحة بالنادي – تعبرن حوض السباحة بمهارة أكثر بسبب فارق السن. فقد كانت الوسطى 7 سنوات والكبرى 9 سنوات كانت تشترك في مباريات السباحة مع

ارتابهن من الذكور والإناث من أبناء أعضاء النادي.

وفي مرحلة "الطفولة المتأخرة" يجد الطفل الفرصة لممارسة الكثير من ألـــوان اللعب المنظم داخل المدرسة الابتدائية ، ولاسيما الهوايات. تلك الهوايات التي ترجع أهميتها إلى أنها يعطي الطفل الفرصة للتعبير عن فرديته وميوله واهتماماته وتحقيق إلى أنها تعطي الطفل الفرصة للتعبير عن حالة عجزه عن تحقيق ذلك فـــي اللعـــب الجماعي. والهواية تختلف عن اللعبة في أن هدفها يكـــون أكثـــر وضـــوحاً ومـــن الهوايات التي تشبع بين الأطفال في هذه الفترة : التريكو وأشغال الإبرة والكانفـــاه بالنسبة للأطفال الإناث ، وأعمال النجارة والفنون التشكيلية والجماليـــة .. بالنســـبة للذكور.

ثالثاً : الحاجات التربوية للطفل :

تتعهد التربية الإسلامية للفرد منذ طفولته وحتى شيخوخته وطبيعة هذه التربية تقوم على رعاية فطرة ومواهب الطفل ، أو قدرته واستعداداته ، والمقصود بالفطرة هنا هو الطبيعة الأصلية للطفل (القدرات والميول) لكل فرد ، حيث تولد بسيطة ، ثم تتفاعل مع البيئة الاجتماعية ، وتنمو في اتجاهات قد تتفق أو لا تتفـــق مـــع نظـــرة المجتمع.

دور الأسرة في تطبيع الطفل اجتماعياً :

يولد الطفل بريئاً وخاليا من كل شيء ، وتوجيهه نحو الخير أو الشر يرجـــع إلى تربيته وبيئته الاجتماعية التي يتلقى منها ، الأمر الذي يلقى على عـــاتق الآبـــاء والمسئولين مهام جسيمة نحو الأجيال التالية في تربيتهم وتعلـــيمهم علـــى مراعـــاة طبيعة الطفولة وميول أفرادها لذلك فإن المجتمع يتولى بواسطة الأسرة تضييع هذا الطفل اجتماعيا بنفس القيم والمبادئ والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد وما إلى

ذلك من محددات السلوك الأخرى ، فيتحول من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي يدرك حقوقه ويتمسك بها ، كما يدرك واجباته ويقوم بها ، وفي هذا يقول الإمام الغزالي "الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ، ومائل لكل ما يمال به إليه".

ويتفق قابل الغزالي هذا مع أحدث نظريات علم التربية ، ذلك أن الطفل البشري يولد وهو في حالة من العجز الشديد ، بحيث إذا ترك وشأنه هلك ، ومن أجل ذلك كانت رحمة الله بالأطفال ماثلة في عاطفة الأمومة والأبوة ، حيث يتولى الأبوان رعاية أطفالهما على حد تفضيلهم على نفسيهما.

والطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يتلقى من أمه عدداً من خبرات البذل ، وعدداً أكبر من خبرات الحرمان , وإذا كانت خبرات البذل والعطاء مثل الإرضاع ، وتغيير الملابس المبتلة ، وتختلف أنواع الرعاية الأخرى ضرورية لحياة الطفل ، فإن خبرات الحرمان أكثر ضرورة لحياته الاجتماعية ، حيث تغيب الأم عن طفلها إما لعملها خارج المنزل ، أو لإنجاز بعض المهام المنزلية ، الأمر الذي يساعد على وضع أساس ثابت لوظيفتي التذكر والتوقع لدى الطفل ريثما أنه لا يمارس في الشهور الأولى من غمرة هاتين الوظيفتين.

وتساعد خصائص الطفل ومن أهمها الطاعة والاندماج في ظل ظروف حالتي البذل والحرمان على تنمية وسائل التعبير والطالب لدى الطفل بمعنى أن خاصية الطاعة تسمح له بتشكيل سلوكه بأشكال متنوعة تتناسب مع أشكال السلوك السائدة في المجتمع ، فالعجز الشديد لدى هذا الوليد يحتم عليه قبول ما يقدم إليه من الكبار من مساعدات وتوجيهات تربوية.

ومن ناحية أخرى فأن هذا العجز الشديد يعرض الطفل في طفولته المبكرة

لخبرات الحرمان التي لا يستطيع التغلب عليها بنفسه , ومــن ثــم يشــعر بحــدود شخصيته , وبأنه كائن له حدوده , ومن هنا توضع البذرة الأولى لاستقلال شخصيته وإحساسه بفرديته , وبذلك تساعد خبرات البذل والحرمان التي تقدمها الأم لوليــدها على وضع الأساس النفسي لشخصيه الطفل .

دور الأسرة في الارتقاء بالطفل نفسيا واجتماعيا:

وتمثل تلك المرحلة اتجاه الطفل من التمركز حول ذاته إلــى الانــدماج فــي المجتمع ، والارتقاء به نفسيا واجتماعياً ، ومن مميزات هذه المرحلــة أن الطفــل يكون عاجزاً كلياً عن أن يرى وجهة نظر الآخرين في أي مشكلة هــو بصــددها ، ولأنه مدرك لوجهة نظره فقط ومن مظاهر التمركز حول الــذات عنــد الطفــل ، الأنانية الشديدة والرغبة في الحصول على أي شيء يريده وبأي شكل ، فالطفل هنا متمركز في قدراته المختلفة ، ولم يتطبع بعد بالبيئة المحيطة به.

دور الأم في التربية :

يأتي دور الأم في نقل خبرات الطفل من التمركز حول الذات إلى الشخصــية ذات الطابع الاجتماعي المطلوب للمجتمع ، فتتولى تدريبــه علــى نطــاق مقــاطع الكلمات ، ثم على الكلمات والعبارات ، ثم تشرع في تلقينه مختلف القيم الاجتماعية والمبادئ والأعراف والتقاليد ، وهذا يؤكد الأساس العلمي لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة ، وإنمــا أبــواه يهودانــه أو ينصــرانه أو يمجسانه" أي أن المولود يلد مزوداً بقدرة فطرية تجعله يتطلع إلى الإيمان وإفراد الله بالعبادة ، ولكنه يتأثر ببيئته وأولها أسرته في تمويل هذه الفطرة إلى الإيمان بــالله ، أو يعبد الآلهة مع إيمانه بالله والواحد الأحد ، أو يتحول من عبادة المادة كالنار التي يعبدها المجوس ، وإذا كان الحديث الشريف يجمع بين دور الأب ودور الأمر فــي

تهويد أو تنصير أو تمجيس الطفل ، فإنه الدور البارز في هذا المجال للأم أكثر من الأب.

دور الأب في التربية :

وفي مرحلة تالية يتفوق دور الأب على دور الأم في تربية الأبناء ولاسيما بعد السنوات الثلاث الأولى من عمر كل منهم ، وذلك أن الأبناء – بنين وبنات – هم ثمرة القلوب وأفلاذ الأكباد ، وفي أعناق الآباء أمانة جليلة تتمثل في حسن الرعاية ، ودقة التربية واستقامة التنشئة الاجتماعية ، ومن ثم فإن الإسلام يلزم الآباء بتوفير التربية السليمة للأبناء ، ويشهد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، ومعلوم أن الراعي – كما أن عليه حفظ من استرعى وحمايته ، والتماس مصالحه ، فكذلك عليه تأدية وتعليمه ، وقال ابن خلدون "أن التربية الإسلامية ينبغي أن تعتمد على القرآن الكريم ، حيث قال " أعلم أن تعليم الوالدين للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الله ، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لم يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائد من آيات القرآن الكريم. وبعض متون الحديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات ، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً ، وهو أصل لما بعده ، لأنه السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات ، وعلى حسب الأساس ويكون حال ما يبنى عليه.

ومن الواجب على الأب أن يوجه على غرس الأخلاق الفاضلة في نفس الولد أو البنت وتعويدهما العبادات الكريمة والأعراف القوية والتقاليد المألوفة وتجنيبهما الترف والنعيم ، وإبعادهما عن قرناء السوء ، كما عليه أن يؤدبه ويعلمه ممارسة الأخلاق ، كما يعوده الخشونة في المطعم والملبس ، ولا يجب إليه الزينة وأسباب

الرفاهية ، بل ينبغي أن يراقبه من أول مرة.

كما يجب على الأم والأب معاً عدم إشعار الأبناء بتميز بعضهم على بعــض ، مما يربي الغرور في نفس من يقدمانه على غيره ، ويرى الغيظ والحقد فــي نفــس من يحرمانه أو يؤخرانه عن بقية أشقائه. وفي هذا يقول الرسول الكريم "اتقــوا الله واعدلوا في أولادكم ، هذا وبالإضافة إلى ذلك فقد حاول بعض المسلمين أن يشــهد الرسول على أنه اختص أحد أبنائه بشيء فرفض عليه الصــلاة والســلام ، وقــال "أشهد غيري ، فإني لا أشهد على جور ونصحه النبي عليه الصلاة والســلام بــأن يسوي بينهم ، حتى يكونوا متساويين في برهم له[10].

مناهج التربية الحديثة :

لكي يتكامل المنهاج التربوي الإسلامي ، ينبغي أن يشمل كل خصائص مناهج التربية الحديثة ، بحيث يتناول كل ما يتعلق بعملية التنشئة الاجتماعية الكاملة للبنــين والبنات على السواء ، وفي ضوء هذا يرى زيدان عبدالباقي أن هناك عــدداً مــن الأساليب التربوية حددها فيما يلي [11].

1- **أسلوب التربية من خلال العمل** :

وهو أكثر أساليب التربية الإسلامية فعالية ، فالتربية تكــون فعالــة أكثــر إذا ارتبطت بأنماط سلوكية يمارسها الطفل أو الصبي أو الشاب ، ولاسيما الأفعــال أو السلوكيات المرتبطة بالدين لغرس الخصائص الإسلامية في ذواتهم ، حيــث نجــد الفرائض الدينية الإسلامية ، وسائل لتربية الطفل أو الصبي أو الشاب وتوجيهه نحو الأهداف السامية المرجوة ، وكذلك نجدها تعلمهم الطاعة لله تعالى وتقديم الشكر له، فضلا عن تقوية الإرادة وضبط النفس ، والصب ، والتزام الطاعــة والنظــام مــن خلال فريضة الصوم التي تساعد على الارتفاع بإرادته إلى حد الامتناع عن ملذات

الحياة طوال أيام الصيام ، مما يساعد المسلم على ضبط نفسه ، والتحلـــي بالصـــبر والالتزام بالنظام من حيث مواعيد الإفطار والسحور ومواعيد الصلوات ومـــا إلـــى ذلك... وينتج عن كل هذا إدراك مزايا التكافل الاجتماعي ، ومعرفة فوائد الإيثـــار باعتباره استثمارا روحانياً.

2- **أسلوب التذكير والتواصي (التعزيز)** Re-Enforcement :

وهذا الأسلوب يعتمد على أن المسلم ، كما هو (رعية) فهو من وجهة أخـــرى (راع) بمعنى ان على كل مسلم أن يذكر أخاه ويوصيه بفعل الخير واجتناب الشـــر. ومثل هذه القاعدة في التربية يكون معناها أن يربـــي المســـلم أخـــاه ، وأن أفـــراد المجتمع يفترض أن يربي بعضهم بعضاً ، أو كل منهم الآخـــر ومـــن هنـــا يحـــث الإسلام على شروره التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــر ، والتواصـــي بالحق وبالصبر . وفي هذا يقول سبحانه وتعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (العصر3) وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مـــذكر) (الغاشية21) وقوله تعالى (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) (الذاريات 55).

3- **الأسلوب القصصي** :

والقصص في القرآن الكريم يتناول مختلف نشاطات الحياة ، وكذلك مختلفـــة الميول والمشاعر والأحاسيس الإنسانية .. ومن أهمها القصص التي تنطوي علـــى إعلام الناس بالعلاقة بين الله والإنسان بشكل مباشر ، وبينهمـــا بواســـطة نبـــي أو رسول إذ تعبر كل قصة من هذه القصص عن فترة هامة من فترات تاريخ العائلـــة البشرية.

ولعل قصة آدم وحواء وإبليس – وهي أقدم القصص القرآني وأكثرها عظـــة وعبرة – الهدف منها هو إعلامنا بأن آدم هو خليفة الله في الأرض لقولـــه تعـــالى

(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها مــن يفســد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال : إني أعلم من الله مــالا تعلمون) (البقرة 30) .. وأن مع الطاعة لله كل الخيــر لقولــه تعــالى (وعلــم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضها على الملائكة فقال أنبئــوني بأســماء هــؤلاء إن كنــتم صادقين) (البقرة 31) .. وإن الاستجابة لموسوسات الشيطان ليس معها سوى الشر لقوله تعالى (فوسوس إليه الشيطان ، قال : يأدم ، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنــة وعصى آدم ربه فغوى) (طـ12).. وأن طبيعة الإنسان هي النقــاء والطهــر لقولــه تعالى " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقنــاهم مــن الطيبــات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (الإسراء70).. بينما طبيعة الشيطان هــي الرجس والنجس .. وقد رويت هذه القصة – لأهميتها- في القرآن الكريم بأســاليب مختلفة ، أكثر من خمسة وعشرين مرة.

وهناك قصة ابني آدم في سورة المائدة ، وهي تصور فظاعة الحسد والحقــد في نفس أحدهما واعتدائه على أخيه المتسامح المسالم.. وقصة يوسف مع "زليخــا" امرأة العزيز وما فيها من تميز غير تربوي وغيرة وجنس وكيد وصبر وثبات مــن يوسف أمام المرأة التي راودته عن نفسها. وكيف كاد أن يرتكب معها الفاحشة "ولقد همت به وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشــاء إنه من عبادنا المخلصين" (يوسف 24) وكيف استعصم بالله وانتصر على حــوافز الجنس؟ ، كيف دخل السجن وخرج منه منتصرا مزهو بدينه؟

4- **أسلوب الوعظ والإرشاد** :

والوعظ في التربية الإسلامية يشترط فيه أن يكون بواســطة وعــاظ ممــن يعملون بما يقولون. قالو الواعظ أو الناصح أو المربي من هذا الصنف من النــاس

يصبح في نظر الآخرين قدوة يقتدى بها. ومن ثم تكون لمواعظه أو لنصائحه فعالية تامة. ومن مواعظ القرآن الكريم التي كان – ولا يزال- لها أثرها في النفوس – سواء عند سماعها أو قراءتها – موعظة لقمان لابنه ، إذ يقول سبحانه وتعالى " وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم... – إلى أن قال تعالى – ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، وأن الله بما تعملون خبير" (لقمان من 13-29).

5- **أسلوب القدوة والصداقة** :

وهو من الأساليب التي أشار إليها الإسلام في كثير من آيات القرآن الكريم ، باعتباره من الأساليب الفعالة في دفع الناشئة إلى التماس الصراط المستقيم الذي يرسمه لهم المربون في حياتهم التعليمية والاجتماعية ، مع تأكيد أهمية القدوة الحسنة لقوله تعالى " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " (الأحزاب21) ، وببعض الإسلام اتباع القدوة غير الحسنة فيقول سبحانه وتعالى "ويوم يعض الظالم على يديه ، فيقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً" (الفرقان 27، 28). وقوله تعالى "وقال الشيطان لما قضي الأمر ، إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان ، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم..." (إبراهيم 22).

6- **أسلوب المحاكمة العقلية** :

ومن الأمثلة التي وردت في القرآن الكريم حول هذا الأسلوب ، مثل قوله تعالى على لسان مريم ابنة عمران عندما جاءها المخاض ، ولم تكن قد تزوجت من قبل ، ولم يمسها بشر فقط "فجاءها المخاض إلى جذع النخلة ، قالت : يا ليتني مت

قبل هذا وكنت نسياً منسياً "(مريم 23) ونراها هنا قـد حاكمـت نفسـها عقليـا ، وأصدرت حكما على نفسها تمنت فيه لو أنها ماتت قبل أن تجد نفسـها فـي هـذا الموقف.

7- **أسلوب العبر التاريخية** :

ومن هذه العبر ما يتصل بالمعجزات مثل معجزات موسى وعيسـى عليهمـا السلام ، فمن معجزات موسى ، ما جاء في قصته وأخيـه هـارون مـع فرعـون وسحرته ، وتحدى سحرة فرعون لموسى وهارون يوم الزنية وقد حشـر النـاس ضحى ، إذ "قالوا : يا موسى ، إما أن تلقي أو نكون أول من ألقى ، قال : بل ألقوا، فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى. فأوجس فـي نفسـه خيفـة موسى ، قلنا : لا تخف ، إنك أنت الأعلى . وألق ما في يمينك تلقف ما صـنعوا ، إن ما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى . فألقى السحرة سجداً ، قالوا: آمنا برب هارون وموسى" (طه65-70).

وهناك معجزة ميلاد المسيح عليه السلام باعتبارها آية من آيـات الله لقولـه تعالى "قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قالوا : كذلك ، قـال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضـيا" (مـريم 20، 21) وقد ذكر القرآن الكريم كثيرا من القصص التاريخية للأمم والشعوب وللأنبياء والمرسلين لما فيها من العبر والعظات . فبعضها ينطوي على كفر بعض الشـعوب وطغيانها وفسادها ، وبعضها ينطوي على صلاح بعض الشعوب وصدقها.. الخ.

8- **أسلوب الاستجواب** :

وهو عبارة عن توجيه مجموعة من الأسئلة للمخاطب ، تقوده إلى أن يتوصل إلى الحقيقة . وقد استخدم الإسلام هذا الأسلوب في القرآن الكريم بأسلوب معجـزة

ومقنع في قوله تعالى " غذ قال الله يا عيسى بن مريم : أأنت قلت للناس اتخــذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي به بحق، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب" (المائدة 116). وكذلك قوله تعالى "قل لمن الأرض ومــن فيهــا إن كنــتم تعلمون سيقولون لله ، قل : أفلا تذكرون قل : مــن رب الســموات الســبع ورب العرش العظيم سيقولون : لله ، قل : افلا تتقون قل : من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون : لله ، قل ، فأنى تسحرون. وآتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون" (المؤمنون 84-90) وكذلك قوله تعــالى "قــل : الحمــد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، أالله خير أم ما يشركون أمــن خلــق الســموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ... إلى أن قــال تعالى – قال هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين") (النمل 59-64).

9- **أسلوب التربية والغفران** :

وهو أسلوب يرتبط برحمة الله التي تتسع بكل شيء فإذا كان الله كما جاء فــي الفقرة السابقة – يغفر لكل من عمل سوءاً بجهالة ثم تاب من بعد ذلك – فإنــه فــي هذه الفقرة يغفر لمن ملأت ذنوبه الآفاق إذا تاب توبة صادقة واتخذ لنفســه طريقــا مستقيماً في الحياة وفي هذا يقول سبحانه وتعالى فمن تاب من بعد ظلمــه وأصــلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم (المائدة 39) وكذلك قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفــر الــذنوب جميعــاً (الزمر 53) وأيضا قوله جل شأنه ورحمتي وسعت كل شيء (الأعراف 156).

10- **أسلوب ضرب الأمثال** :

وهو من الأساليب الأساسية في مجال التربية الإسلامية ، وقد اســتخدم علــى

نطاق واسع من القرآن الكريم. ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه وتعالى "ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم" (النور 35) وقوله تعالى "ألم تر كيف ضرب الله مثلا ، كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار" (إبراهيم 23 – 26) وهذه الأمثلة وما إليها تدعو الناشئة إلى الرغبة في البحث والتنقيب عن أسبابها ونتائجها.

11- **أسلوب الترغيب والترهيب** :

وهو من الأساليب المرتبطة بالدين وبالتدين ، أي من الأساليب الطبيعية التي لا غنى عنها . فالتلميذ والطالب والمواطن في حاجة إلى معرفة نتائج مختلف أنماطهم السلوكية ، الطيب منها والخبيث . ومن هنا نجد القرآن الكريم يشير إلى أن السلوك الطيب نتائجه طيبة ، ويربط ذلك بالجنة ونعيمها. وفي المقابل يشير إلى السلوك السيء ويؤكد أن نتائجه سيئة . ويربط ذلك بأهوال الجحيم والعذاب المقيم للكفار والطغاة والمفسدين ، ذلك أن الإنسان محاسب على كل عمل يقوم به ، والجزاء مطابق للعمل ، فلا ظلم ولا عدوان ، لقوله تعالى " من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد" (فصلت 46) وقوله تعالى في مجال الترهيب "من يعمل سوءاً يجزى به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيراً" (النساء 133). وحتى لا يقنط الناس من رحمة ربهم ، رغبتهم في العمل الصالح عن طريق قبول التوبة النصوح بقوله تعالى "إنه من يعمل منكم سوءاً بجهالة ، ثم تاب من بعد وأصلح فإن الله غفور رحيم" (الأنعام 54).

المنهاج التربوي الإسلامي ومراحل التعليم :

وعن تطبيق واستخدام هذه الأساليب في المراحل التعليمية ، نتحدث – فيما

يلي – عن مناقب ومثالث استخدام هذه الأساليب في مختلف المراحل التعليمية.

1) **في مرحلة الحضانة ورياض الأطفال** :

ففي هذه المرحلة ، نرى المسلمين من المربيين الأوائل ، أمثال ابن سينا الذي يشير بأن البرنامج اليومي لأطفال الحضانة ورياض الأطفال بالاستحمام ، ثم باللعب الحر حينا من الزمن ، ثم تناول وجبة خفيفة من الطعام ثم اللعب المنظم تحت إشراف المربيين الرياضيين والأخصائيين الاجتماعيين ، ثم تناول الغذاء وهذه المرحلة في التربية الإسلامية تبدأ منذ عهد الرضاع ، حيث يطالب الإسلام المسلمين باختيار المرضعة الصالحة والمربية الصالحة... ويشترط الغزالي – حجة الإسلام- في المرضعة أن تكون متدينة وتأكل من حلال ، حتى تؤثر في الوليد تأثيراً صالحاً ، لأن هذا في نظره يتفق مع قول الرسول عليه الصلاة والسلام "كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به".

وهذه المرحلة من مراحل التربية الإسلامية تبدأ – كلما قدمنا- منذ لحظة ميلاد الطفل تطبيقاً للنظريات التربوية الحديثة . وتقوم على أكتاف "الحاضنة" التي ينبغي أن تكون على خلق سليم وذات ومؤهلة تأهيلا علميا تربويا ونفسيا واجتماعياً.

2) **في المرحلة الابتدائية** :

والتي فيها ينبغي أن يقوم المعلم أو المؤدب أو المربي بالإشراف على تربية الطفل ، مع التدرج في إلزامه بالكتاب وبالعلم ، ومع التقليل من فترات اللعب بالتدريج ، بالإضافة إلى زيادة فترات الدراسة ، وأول ما ينبغي تزويد الطفل به في هذه المرحلة هو غرس عناصر الإيمان بالله وحده لا شريك له في نفسه. وعن طريق هذا الإيمان تنبثق في مدركاته حقيقة "الوجود" وأنه من صنع الله . ومن ثم

يتمكن من معرفة طبيعة الكون الذي يعيش فيه ويتعامل معه علـــى هـــذا الأســـاس. وبالتالي يمضي مع الوجود كله إلى خالق الوجود – ومع بقية الموجـــودات – فـــي طاعة ومحبة وإيجابية.

هذا ومن المعروف أن الإيمان بالله وحده لا شريك له هـــو بـــؤرة القواعـــد الأساسية في التربية الإسلامية لأنه ، يبعث في النفس الإنســـانية الطمأنينـــة والثقـــة بالطريق المستقيم أو بالصراط السليم بعيداً عن الحيرة أو الخوف أو اليأس . وفـــي نفس الوقت يحمل الطفل أو الصبي أو الشاب المسلم متجرداً عن الهوى والغـــرض الشخصي وتحقيق المغانم الخاصة ، حيث يتحول الطموح الفردي إلى التعلق بهدف أبعد من ذات الفرد وهو التعلق بدين الله لاستحقاقه لخلافة الله في الأرض. ذلـــك أن الهدف الأعلى للتربية الإسلامية هو معرفة الله وتقواه. والوسيلة إلـــى ذلـــك هـــي معرفة النفس والمجتمع ومعرفة النظام الكوني... باعتبار تلـــك المعـــارف بمثابـــة الوسائل التي ترتقي بالطفل والصبي والشاب إلى معرفة الخالق جلت قدرته وتعالت حكمته.

وما دام الطفل أو الصبي أو الشاب قد تشربت نفســـه الإيمـــان بـــالله ، فمـــن الضروري أن يستجيب تلقائيا لقواعد هذا الإيمان ، أو بالأحرى لعبـــادة إلـــه هـــذا الإيمان. والعبارة بمعناها المحدد تشمل كل الأنماط الســـلوكية اللفظيـــة والحركيـــة والاتصالية التي يمارسها الإنسان. وبمعنى آخـــر فـــإن العبـــادة تشـــمل الشـــعائر والمعاملات والحروب ، وما يتصل بكل ذلك . وبشرط أن يكون المقصود من وراء كل هذا هو وجه الله تعالى ، ومن ثم فإن الطفل أو الصبي أو الشاب المؤمن بـــالله حين يدرك أن العبادة بهذا المعنى هي غاية وجوده الإنساني ، فإن الارتقاء النفســـي والاجتماعي يأخذ طريقه إلى الأمام مرتفعاً عن الدنيا وعن المآخذ الدنيويـــة ، فـــلا يغدر ، ولا يطغى , ولا يتجبر ، ولا يتخذ من الوسائل غير المشروعة ما يبلغه تلك

الغاية على اعتبار أن إيمانه سوف يشعره بأنه بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة لله وبالعمل في حدود الطاقة الإنسانية . ونتيجة كل هذا هي تسرب عناصر ومكونات وأهداف العبادة إلى نفسه حيث تستقر في قلبه وعقله ، وتتحول إلى سمة ذاتية... وتلك هي الدرجة العليا التي ينبغي أن يصل إليها الطفل أو الصبي أو الشاب المسلم. ولذلك فقد طلب الإسلام من هذا الطفل أو الصبي أو الشاب أن يكون محسناً في عمله. وقد شرح الرسول عليه الصلاة والسلام "حسن العمل" بقوله " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك" (من حديث للشيخين).

وهذه المرحلة من أهم المراحل في حياة الأطفال التعليمية ، على اعتبار أن مزايا التعليم فيها ، كما أشار إلى ذلك كثير من خبراء التربية الإسلامية ، ومن أمثلتها قولهم :

- من أدب ولده صغير ، سر به كبيراً ، وقولهم أيضاً.
- التعليم في الصغر كالنقش على الحجر ، وكذلك قولهم.
- أطيع الطين ما كان رطبا ، وأعصر : العود ما كان لدنا -... الخ.

كما يطالب حجة الإسلام الغزالي – بالإضافة إلى ذلك – بإلزام الطفل بالقيام بالفروض الدينية ، إذا بلغ سن التمييز والتكليف . والرسول يقول – مثلا – في شأن الصلاة بالنسبة للبنين والبنات "مروهم بها لسبع واضربوهم عليها لعشر " والقدوة العملية في مجال التربية – كما قدمنا- أنفع وأجدى.

الحاجات الاجتماعية للطفل :

نقصد هنا بالحاجات الاجتماعية تقديم فرص الارتقاء الاجتماعي والجسمي والنفسي للطفل وإمكانية توفير هذا ومن المؤكد أن الأطفال في الدول النامية مازالوا

في حاجة إلى رعاية وتوفير متطلبات الحياة بالنسبة لهم ، وإتاحة الفرص لكي يشبوا في مجتمع صحي ، يمكنهم من تحقيق رغباتهم وأمانيهم ، وبالتالي يزيدون بعلمهم وخبرتهم الجميلة للمجتمع الذي ينتمون إليه.

وتصور الطفل كطاقة إنسانية متفاعلة مع المحيط الاجتماعي يتأثر به ويؤثر فيه لم ينال البحث والعناية الكافية ، ويرجع ذلك إلى صعوبة إجراء البحوث والدراسات في هذا المجال ، لما تحتاج إليه هذه الدراسات من إدراك كامل ودقيق لكافة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمتغيرات المستمرة التي يتأثر بها الطفل ويتفاعل في نظامها. مما يجعل دراساته منعزلا عن المجتمع أو منفصلا عنه من الأمور البعيدة التحقيق.

أهمية دور الأسرة والمدرسة في حياة الطفل :

ولكي ندرس الطفل دراسة وافيه لابد من دراسة الحياة اليومية له ، وما يفعله في المنزل؟ وكيف نعامله؟ وماذا يقوم به الطفل في المدرسة؟ وكيف يتأثر بها ويؤثر فيها؟ وكذلك كيف يعيش في المجتمع ويتفاعل معه... الخ.

والواقع أن حياة الطفل في المنزل كلها حركة دائمة مستمرة ، ولكنها في الغالب حياة تائها وغير هادفة ، ويعمل البيت من جانبه على إبعاده على كل ما يريد أن يستمتع به من إمكانات منزلية مما يعجل بخروجه إلى الشارع ، حيث أبناء الجيران ، والطفل في البيت لم يزود بعد بأية اتجاهات اجتماعية صالحة لتشكيل علاقات سليمة مع هذه الجيرة وجماعة الرفقاء في حين أن التحاق الطفل بالمدرسة يشكل له حدثاً كبيراً في حياته. وهو يفاجأ بانفصال هائل حياته داخل المدرسة وخارجها نتيجة تصرفات الآباء والأمهات بل والمعلمين إزاءه فالمدرسة بالنسبة إليه لا تحقق امتداد طبيعيا لحياته الاجتماعية ، بل تمثل ضغوطاً مفروضة تخاطب

مستقبله أكثر ما يخاطب حاضره ، فالطفل كثيرا ما يجد نفسه مطالبا بأن يعمل ، بل ويكدح في سن مبكرة دون أن يكون قد تشكل في صورة اجتماعية إنسانية تسمح له بأن ينمو في يسر خلال مراحل حياته.

وهكذا نجد الطفل في المجتمعات الحضرية الكبيرة أو الريفية الصغيرة مهـدد بأن تذوب مرحلة طفولته بحيث لا تتضح لها معامل أو بداية ونهاية ، ولاريـب أن التقدم الاجتماعي والاقتصادي الذي تشهده غالبية المجتمعات سـيؤدي إلـى إطالـة المرحلة الاجتماعية للطفولة ، كما سيبرز سماتها باعتبارها فترة الإعداد والتنشـئة الاجتماعية التي يعتمد عليها المجتمع في إعداد الأجيال الجديدة.

والأسرة كما نعرف من أهم الجماعات الأولية التي بدأت تفقد قـدرتها علـى الرقابة على السلوك الاجتماعي وضوابطه ، ومن ثم فإننا لسنا في مجال الحكم على مثل هذا التغير الاجتماعي. فقد أصبح الأمر يتطلب مواجهة هذا الموقف بأسـلوب يسمح للأسرة بأن يبقى لها دور أساسي في تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سـليمة ، وفي نفس الوقت الاطمئنان إلى أن الجماعات الثانوية التي أصبحت أكثر قدرة فـي توجيه الأطفال ، أصبحت ذات فاعلية في تزويد الطفل بنسق قيمـي يعينـه علـى اختيار أنماطه السلوكية في ضوء معايير اجتماعية جديدة.

وعلى هذا الأساس فإن الخدمات التي تقدم أو يقترح تقديمها للطفولة ينبغي أن تنتقل إلى موقع الجماعات الثانوية التي تنتمي إليها الأطفال خارج كل من الأسـرة والمدرسة ، فجامعات الشارع وأصدقاء اللعب ، ورفاق الجيرة والنادي والمعسـكر وما إليها أصبحت أكثر الجماعات تأثيرا في الطفل.

وإذا كانت الأسرة والمدرسة قد اجتمعا أقل تأثيرا على الطفل فإنـه يمكـن أن تستعيد قدرتها التأثيرية ، فلو أدركنا ما يمر به المجتمع من متغيرات ، وأثـر ذلـك

في احتياجات الطفل ومشكلاته ، ومشكلات الطفل ليست بمشكلات ناتجة عن أثـار نموه الذاتي . وإنما هي أساسا ناتجة هن مواجهة احتياجاته ، وما يؤدي إلى ظهور مشكلاته ، فالطفل أكثر حاجة إلى من يتفهم مشكلاته ، فالطفل أكثر حاجة إلى مـن يتفهم حريته الطبيعية التي لا تتطلب ضغوطاً اجتماعية ، بل توجيها جانبـاً ، وهـو يريد أكثر من أي وقت أخرى أن يكتسب مهارة أو أكثـر تجعلـه يشـعر بقدراتـه الفردية ، وبالتالي بكيانه الاجتماعي ، وهي في مسيس الحاجة إلى استعادة اطمئنانه النفسي الذي يجب أن تشارك في توفيره كل من الأسرة والمدرسة.

وهكذا يحتاج الطفل إلى تأثير إرشادي أفضل عن طريق الجماعات الثانويـة غير الرسمية التي أصبحت تنتمي إليها بشدة ، وإلى توجيه ديناميكي من الجماعـات الرسمية التي يعيش في نظامها فترات طويلة ولاريب أن كل ذلك يوضـح أهميـة التكامل في توجيه الطفل بين الجماعات الرسمية وغير الرسمية التي ينتقل إليهـا ، كما يتطلب الأمر أن تتحرك خدمات الطفولة مع تحرك مواقع الأطفال من بيئة إلى أخرى.

هذا وينبغي هنا أن نعرفه بين حاجات الطفل في القرية وحاجات الطفـل فـي المدينة ، فمما لاشك أن هناك فرصا للنمو والارتقاء في كل منهما ، بالإضافة إلـى اختلاف أساليب الرعاية الاجتماعية ، وطرق التنشئة وأنماط المحافظة عليها وتوفير الحاجات الحيوية ، ولذلك سوف نتناول حاجات كل منهما على حدة .

1- **حاجات طفل القرية** :

وهنا نطرح سؤال هام حول الطفل في القرية ، هل توجد لديه فرص الارتقاء الاجتماعي والنفسي والجسمي ، أم لا توجد؟ وهل تتاح له كافـة الفـرص مقارنـة بغرض الطفل في المدينة أم هناك جوانب تنقص يفتقدها هذا الطفل؟

وسوف نهتم هنا بعرض بعض الإيجابيات والسلبيات الخاصة بالطفل :

- الطفل في القرية يعيش في ظروف أفضل مـن البـاحثين الاجتماعيـة والنفسية إذا ما قورن بطفل المدينـة فالثقافـة الريفيـة تتميـز بالـدفء الاجتماعي وما يطلق عليه التكامل الاجتماعي الذي يساعد على تكـوين الشعور الإسلامي الأصيل الأمر الذي يضفي على مشاعر طفل القريـة أمناً واطمئناناً بين أفراد أسرته وأقاربه.
- يتاح لطفل القرية حرية الحركة والانطلاق في ألعاب خارج المنزل وفي الحقول والحدائق ، مما يقلل من قلق الطفل مقارنة بأطفال المدن.
- لا يعاني طفل القرية من صراع القيم والتوجهات وتضـارب المحـددات السلوكية ، فهو ينشأ في مجتمع له نسقه القيمي ولـه عاداتـه وأعرافـه وتقاليده الواضحة.
- يتعامل الطفل في القرية مع مواقف وخبرات اجتماعية محـددة ، وذلـك تحكم سمات البيئة الاجتماعية الريفيـة ، والأشـياء والأدوات محـدودة والاتصالات الشخصية محددة والفرص محددة سواء ما كان منهـا فـي منزله أو بيئته المحلية. مما يفتقد معه الطفل المصادر الخصـبة لثقافتـه وخبرته ، حتى المدرسة فالنظام التعليمي لا يستمر عادة في المدرسة إلى ساعات أو فترات محددة.
- تخلف نوعية السلع والخدمات المتاحة كمصدر لاستمتاع الطفل ، وعلـى سبيل المثال ، نوعية الملابس والأذواق إذا ما قورنت بطفـل المدينـة ، معدل الاتفاق ، الخدمة غير السامية المسكن ، المرافق العامـة ، نظافـة النازل والشوارع ، هذا بالإضافة إلى عدم توافر الخـدمات الحضـرية

الأساسية كالمياه النقية والإضاءة والكهرباء والشوارع المرصوفة.

- عدم توفر الإمكانيات التعليمية والصحية والاجتماعية ، ومؤسسات الخدمات مقارنة بمثيلاتها في المدينة . هذا بالإضافة إلى التلوث البيئي الناتج عن الاستخدام غير الواعي للمبيدات الحشرية لوقاية المحاصيل الزراعية وترتيبا على ذلك أصبح طفل القرية عرضه للأخطار نتيجة التلوث البيئي ، وانتشار الناموس والذباب وبعض الحشرات الأخرى الناقلة للأمراض المعدية.

2- **حاجات طفل المدينة** :

إن النسق القيمي في المدينة غير محدد وغير مستقر فهو متغير باستمرار هذا اللاتجانس في النسق القيمي الحضري يجعل الطفل أيضاً غير متجانس فطفل المدينة يرتبط بقضايا التغير الاجتماعي الذي يحدث في مجتمعه.

وسوف نركز على أربعة قضايا هامة تتصل اتصالا مباشراً ومؤثراً في طفل المدينة وهي :

- **التفكك القيمي** :

إن الأسرة الحضرية أكثر تحرراً من الأسرة الريفية ، ويرجع ذلك إلى فرص الاتصال في القرية فضلاً عن افتقارها إلى الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية، كذلك فالأسرة الريفية متماسكة باعتبارها تشكل وحدة اقتصادية واجتماعية هامة ، عكس الأسرة الحضرية الذي يعمل كل فرد من أفرادها ممن هم في سن العمل ، وله دخله المستقل. وعدم تماسك الأسرة الحضرية أو تحررها ليس ميزة على الدوام ، فقد يكون التحرر ميزة حيناً ومشكلة في بعض الأحيان ، فالطفل الذي يولد في أسرة متحررة ينشأ طفلا مبتكراً ومحدداً ومعتمداً على نفسه ، ذو

شخصية مستقلة في أغلب الأحيان ، والطفل الذي يولد في أسرة مغلقه ، ينشأ منغلقاً جداً يعيش في الماضي ويتشكك بالغيبيات ، والطفل الذي ينشأ في أسرة تبـالغ فـي التحرر عن الحد المقبول مثل هذا الطفل تبدو عليه مظـاهر التسـبب واللامبـالاة والانحراف.

ومعنى ذلك أن الإسراف والإمعان في الانغلاق ، لا يقل خطراً عن الإسراف والإمعان في التحرر.

والقضية هنا ليست قضية تعاونية بين أسرة متماسكة وأخرى مفككة ، ولكنهـا قضية مقارنة بين أسرة جامدة وأخرى متحررة ، كما أن المشكلة هنا ليست مشـكلة عدم تماسك الأسرة المصرية ، ولكنها مشكلة عدم تحرر أفراد الأسـرة المصـرية حول طرق ترويض الطفل المتحرر بقدر ما يدور حـول طـرق تحـرر الطفـل المنغلق، وفتح افاق الحياة أمامه

- **طفل المرأة العاملة** :

لقد أدى خروج المرأة إلى العمل وارتفاع أعـداد النسـاء العـاملات خـارج الأسرة, الى حدوث خلل وارتباك في أهم واجبات الأسرة وهو رعايـة الأطفـال , فالمرأة العاملة تترك طفلها الرضيع عند امها أو جارتها أو خادمتها وحـين يصـل الى سن الرابعة تلحقه بإحدى دور الحضانة , أو كما يقال (مخازن الأطفـال) بمـا فيهم المريض وغير النظيف... الخ.

والقضية هنا ليست في خروج المرأة للعمل أن بقائها في البيت ، وإنمـا هـي قضية الطفل الذي تخرج أمه للعمل دون أن يستعد المجتمع بما فيـه الكفايـة لهـذه النقلة الواسعة ، ودون أن يعد البديل للأم في رعاية الطفل ، أصبح أن الحكومـات قد بدأت في إعداد دور الحضانة الحكومية , وكنها ولا شك حضانات قليلة العـدد ،

ضعيفة الإمكانيات ، والغالبية منها لا تزيد على أنها أمكنة لإيواء أكبر عدد من الأطفال ، وفي أصغر قدر ممكن من المساحة ، وتحت إشراف غير تربوي ، مما نتج عنه أن فقد الطفل جو الحب والعطف والاهتمام والأمان ، كما فقد الغذاء الجيد والرعاية البدنية والنظيفة ، والنظافة العامة.

- **أمن الطفل وانتماؤه** :

لقد اختلف دور الأسرة في المجتمع الجدي عن دوره في المجتمع التقليدي الذي نعرفه ، وعلى ذلك فإن دور الأسرة في المدينة لم يتبناه أحد ويظهره ويصقله وذلك لأسباب اقتصادية واجتماعية ونفسية أثرت على أمان وطمأنينة الطفل في المدينة فالصور الحضرية الآن لم تعد تحظى بنظام الجيرة أو المجاورات. التي كانت موجودة في الماضي ، والتي كان الطفل المصري يلعب ويتحول ويروح ويجيء بالليل مثل النهار أمناً مطمئناً حيث يعتبر كل شخص من الكبار في الحي أو الجيرة مسئولاً عن صغارها قبل كبارها ، وكل أسرة من أسر الجيران هي أسرته أو امتداد لها ، ومن هنا كان الانتماء واضحاً لدى مثل هؤلاء الأطفال.

- **لعب الطفل في القرية والمدينة** :

اللعب هو سلوك يقوم به الفرد بدون غاية عملية مسبقة وكل أفراد الجنس البشري يلعبون ، وللعب أهميته النفسية في التعليم والتشخيص والعلاج وهو من أهم وسائل الطفل في تفهمه للعالم من حوله . وإحدى الوسائل الهامة التي يعبر بها الطفل عن نفسه.

وللعب حاجة أساسية يتشابه منها من طفل القرية والمدينة إلا أن الواقع يقول أن لعب الأطفال في الريف غير لعبهم في الحضر.

- الطفل في القرية يلعب مع الطبيعة ومع الواقع ، فهو يلعب بالحيوانات

والنباتات والحجارة ، أما الطفل في المدينة يلعب مع الأشـياء المقلـدة غيـر الطبيعية مثل العرائس ونماذج الحيوانات والطائرات ... الخ.

- الطفل في القرية يعلب في الخلاء في حين أن طفـل المدينـة يلعـب داخـل الحجرات ، وفي زحام الشوارع وبين السيارات والأتوبيسات... الخ.
- الطفل في القرية يلعب في كل وقت ، فبينما طفل المدينة يلتزم بالتقسـيم بـين وقت اللعب ووقت الدراسة.

من كل هذا نرى أن طفل القرية محظوظ عن طفل المدينة في مجال اللعـب ، حيث يلعب الطفل في القرية بأدوات المنزل وآلات الحقل ، وكثيراً ما يلجـأ إلـى الخيال والابتكار لكي يلعب ، عكس طفل المدينة يلعب بلعـب صـنعت خصيصـاً لذلك، وطفل القرية يلهو ويلعب ويجد وهو يلعب ، فهو أحسن حالا من طل المدينة الذي يعد الدقائق لكي ينتهي من العمل لكي يبدأ في اللعـب والـتخلص مـن قيـود العمل.

والخلاصة أن طفل المدينة طفل من نوع خاص له مشكلاته الخاصـة التـي تختلف تماما عن مشكلات طفل القرية.

المصادر

(1) عبدالرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، كتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخير في أيام العرب والعجم والبربر ، 1984، ص 165.

(2) الطاهر لبيب ، الطفل العربي بين الحاجات والمؤسسات ، المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1977، ص ص 87، 89.

وأيضاً :

Ismail Sabri Abdallah; "Needs and Desines : A new Approch to Consuprion analysis, Development and Peace, Vol. 7. 1986.

(3) إسماعيل صبري عبدالله ، عناصر استراتيجية لنتيجة الطفل العربي ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الطفل العربي ، تونس ، إبريل ، 1980.

(4) الطاهر لبيب ، مصدر مذكور ، ص ص 90، 91.

(5) زيدان عبدالباقي ، اسس المجتمع الاسلامي والمجتمع الشيوعي دراسة مقارنة ، مكتبة دار المعارف ، القاهرة ، 1976، ص 38.

(6) زيدان عبدالباقي ، الأسرة والطفولة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1980، ص ص 219، 222.

(7) حامد زهران ، علم نفس النمو ، الطفولة والمراهقة ، عالم الكتب ، ط4، القاهرة ، 1977. ص ص 266- 268.

(8) زيدان عبد الباقي ، علم الاجتماع المهني ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1978، ص ص 75- 77.

(9)زيدان عبدالباقي ، الأسرة والطفولة ، مصـــدر مـــذكور ، ص ص 283-277.

(10)زيدان عبدالباقي ، المصدر السابق ، ص 285- 294.

(11)زيدان عبدالباقي ، نفس المصدر ، ص ص 332-338.